

Adolf Hetlerhu
Mein Kampf

(1889 - 1945)

■■

كفاحي.. هتلر

إعداد:

إيهاب كمال

الناشـــــر

الخلود
للنشر والتوزيع

تليفون: 01281607185
dar_alkholoud@yahoo.com

التنفيذ الفنى



01065086008

رقم الإيداع: 2012/21304

الترقيم الدولى: 978-977-5313-38-6

جميع حـقوق الطبع محفوظـة للناشر ولا يجوز نهائياً نشر أو اقتباس أو اختزال أو نقل أى جزء من الكتـاب دون الحصـول على إذن كتـابى من الناشر



Adolf Hetlerhu

Mein Kampf

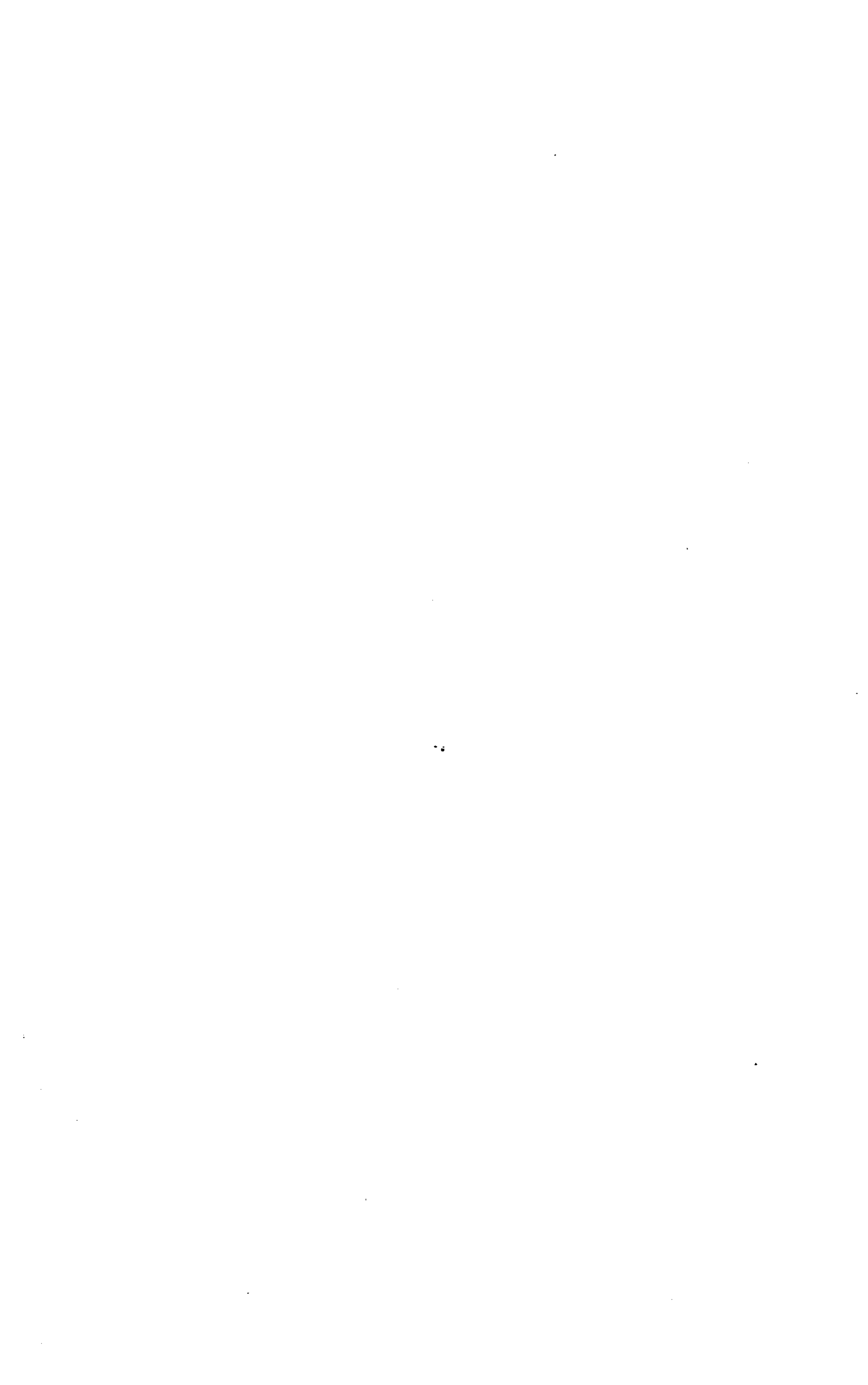
(1889 - 1945)

إعداد

إيهــاب كمــال

الخلود للتراث

للنشر والتوزيع





هل تحب هتلر؟

ربما تكون من محبى ذلك الرجل، تراه معاديا لليهود الذين يكرهون المسلمين، وتراه فنانا، وتراه رجلا أحب وطنه، وعمل من أجل رفعته، وناضل من أجله ومات فى سبيله.

هل تكره هتلر؟

ربما تكون ممن لا يطيقون صورته، وتراه مجرما أحرق الملايين وقتل البشر وتسبب فى حرب عالمية، فشل فى أن يكون فنانا فانتقم من العالم أبشع انتقام.

ربما تكون هذا أو ذاك لكنك بكل تأكيد لا تنكر أهمية وجاذبية وشعبية هذا الرجل.

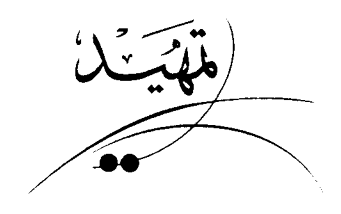
وليس أدل على كلامنا هذا من أن السينما الغربية بكافة أطيافها اهتمت به، وصنعت له الأفلام، وهو فى النهاية ما نعتبره تمجيداً، سواء كانت تلك الأعمال معه أو ضده.

إن هالة من الإعلام تكشفت حول ذلك الرجل لم تكن يوما حول شخصية أخرى فى العصر الحديث، كمٌ هائل من الكتب والمراجع والدراسات، أحبار أريقت ومطابع عملت وأيام قضاها الباحثون فى تفنيد

حياة الرجل وتشريحها، لكن يبقى أهم ما فى ذلك هو كتاب هتلر نفسه "كفاحى" الذى نورده فى السطور القادمة. كما نكشف عن كتاب آخر مجهول للفوهرر قبل آن نستعرض حياته بشكل مفصل، بما فى ذلك الحديث عن الدين والجنس والسياسة فى حياة زعيم الرايخ الثالث.

أحب هتلر أو اكرهه. أنت حر، لكن لا يمكنك تجاهله، وكل ما نفعله هنا هو أن نمكنك من قراءة كلماته وحياته واحكم أنت.

■ ■ ■

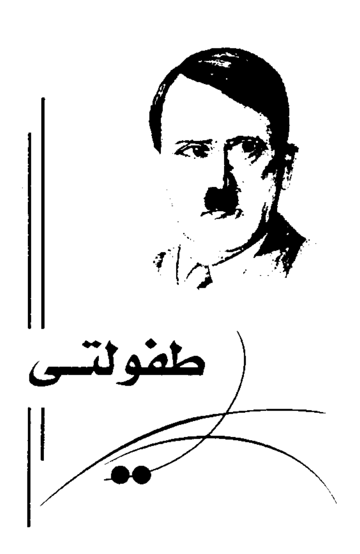


قد يكون أدولف هتلر أهم الشخصيات السياسية فى القرن العشرين.. ومن المعروف أن وجود صورته على ظهر كتاب يزيد مبيعاته بنسبة ٢٠٪. وقد وُلد كما يقص فى مذكراته لأسرة متواضعة، وعاش جل أعوام طفولته وشبابه الأول خارج ألمانيا. ثم عاد لوطنه الأم وساهم فى تأسيس الحزب النازى. وخلال عشرة أعوام، بات قائداً للأمة الألمانية.

فى كفاحى، يقص هتلر حكاية صراعه فى سبيل الوصول للفلسفة التى يؤمن بها أولاً، ثم الكفاح فى سبيل تحقيق ما يعتبره طموحات الشعب الألمانى. نختار أولاً وصف هتلر لطفولته الباكرة وحياته الأسرية الباكرة ثم معاناته من الفقر المدقع فى فيينا، وصولاً إلى آرائه التى لم يغيرها أبداً بشأن القضية اليهودية.

■ ■ ■





طفولتي



يبدو وكأن القدر تعمد اختيار براوناو موقعا لأولد فيه؛ فتلك المدينة الصغيرة تقع على الحدود بين دولتين سعينا نحن الجيل الجديد لتوحيدهما بكل ما لدينا من قوة.

فلابد من عودة ألمانيا النمساوية للوطن الأم، وليس بسبب أى دوافع اقتصادية، بل وحتى أن الحق الاتحاد اضرارا اقتصادية، فلابد منه. دمائنا تطلب وطنا واحدا، ولن تستطيع الأمة الألمانية امتلاك الحق الاخلاقى لتحقيق سياسة استعمارية حتى تجمع اطفالها فى وطن واحد. وفقط حين تشمل حدودنا آخر ألمانى، ولا نستطيع تأمين رزقه، سنمتلك الحق الأخلاقى فى احتلال أراض أخرى بسبب معاناة شعبنا.

سيصير السيف أداة الحرث، ومن دموع الحرب سينبت الخبز للأجيال القادمة. وهكذا يبدو لى أن هذه القرية الصغيرة كانت رمزا للمسئولية الغالية التى أنيطت بى، ولكن هنالك صورة بائسة أخرى تذكرنا تلك المدينة بها. فقبل مائة عام، كانت مسرحا لكارثة مأساوية ستخلد فى صفحات التاريخ الألمانى. فحين انحطت الأوضاع إلى أسوء حال ممكن تحت وطأة الاحتلال الفرنسى، استشهد جوهانا، بائع الكتب، فى سبيل الوطن الذى أحبه. وقد رفض التخلى عن شركائه وشجب

الذين كانوا افضل منه فى قدراتهم. وقد ابلغ احد ضباط الشرطة الألمان عنه الفرنسيين، وبقى العار ملحقا باسمه حتى الساعة.

فى هذه المدينة الصغيرة، المضيئة ببريق الشهادة فى سبيل الوطن، والتى حكمتها النمسا وإن كان دم شعبها ألمانيا، عاش والدى فى اواخر الثمانينات من القرن الماضى ،وبينما كان والدى موظفا حكوميا، رعت أمى افراد الاسرة. ولم يبق حاليا فى ذاكرتى سوى القليل عن هذا المكان لاننا سرعان ما رحلنا منه لبلدة باسو فى ألمانيا.

وخلال تلك الايام كان التنقل مصيرا محتوما على الموظف. وهكذا انتقل والدى مرة ثالثة إلى لينز، وهناك أخيراً تمت احالته إلى التعاقد. ولكن ذلك لم يعن له الراحة ابدا. فمنذ طفولته كان لا يطيق البقاء فى المنزل بلا عمل، وهرب فى سن الثالثة عشر إلى فيينا وتعلم حرفة وحصل على التجربة والنجاح قبل سن السابعة عشر. ولكنه ما قنع بكل هذا، بل إن معاناة الأعوام الأولى دفعته للسعى وراء مستقبل افضل.

وهكذا بحث على وظيفة حكومية، وبعد عشرين عاما من الصراع الدءوب، عثر عليها. وهكذا حقق قسمه القديم، وهو ألا يعود لقريته الصغيرة إلا بعد أن يكون قد كون نفسه.

حقق الرجل حلمه، ولكن لا احد فى القرية تذكر الطفل الذى هاجر، بل وبدت له قريته غريبة تماما، وكأنه يراها لأول مرة.

وأخيراً، وفى سن السادسة والخمسين، بعد تقاعده، ما استطاع احتمال الفراغ، فاقتنى مزرعة وعمل فى زراعتها كما فعل أجداده من قبل.

وخلال تلك الفترة تكونت داخلى بوادر الشخصية الأولية. اللعب فى الحقول، المشى إلى المدرسة، وخصوصا الاختلاط مع أصدقائى العنيفين

الذين أقلقت علاقاتى معهم والدتى. كل هذه جعلتنى من النوع النشط الذى لا يرتاح للبقاء فى المنزل. وبالرغم من عدم تفكرى بالحرفة المستقبلية ما كانت عواطفى ابدا تتجه نحو المسير الذى اتخذه والدى لنفسه. أؤمن بأنى حتى آنذاك تمتعت بقدرات بلاغية مميزة ظهرت فى شكل حوارات عنيفة مع زملاء الدراسة. بل وبت زعيما لمجموعة؛ ونجحت فى المدرسة بالفعل، ولكنى كنت شديد المراس. اشتركت فى النشاطات الكنائسية، واسكرتنى عظمة هذه المؤسسة العريقة. وبدا لى القس مثالا لما ينبغى أن اكونه، كما بدا لوالدى من قبل. ولكن الاخير فشل فى التعامل مع قدرات ابنه البلاغية وما إستطاع تصور مستقبل ممكن له، بل واقلقه هذا الوضع كثيرا.

هذا الحلم الكنائسى تخلى عنى سريعا، بعد أن عثرت على بعض الكتب العسكرية التى وصفت المعارك بين فرنسا وألمانيا عام ١٨٧٠-١٨٧١. عشقت هذه النصوص، وصارت الصراعات البطولية والنشاط الفكرى والخيالى الاساسى لكيانى. ومنذ ذلك الوقت صرت اعشق كل ما له علاقة بالجنود. ولكن الاسئلة الصعبة بدأت تفرض نفسها على فكرى: هل هناك فوارق - بين الألمان الذين خاضوا تلك المعارك والاخرين؟ ولماذا لم تشترك النمسا فيها؟ ولماذا لم يطلب من والدى الاشتراك؟ ألا ننتمى جميعا لذات الوطن؟ ألا ننتمى سوية؟ بدأت هذه التساؤلات تشغل بالى لاول مرة. طرحت الاسئلة واجابونى بحذر قائلين: أن الألمان غير المحظوظين لا ينتمون لذات الدولة التى اسسها بسمارك، وكان هذا الوضع عسيرا على الفهم، ثم قالوا لى أن الأوان قد حان للذهاب للمدرسة الثانوية. أكد والدى أنه يرغب فى أن اذهب لمدرسة خاصة لاعداد الموظفين. فهو - بسبب تجاربه الحياتية - ما رأى طائلا وراء

المدارس العادية. كانت رغبته هى أن اصير موظفا حكوميا مثله، بل وافضل لاننى كنت سأتعلم من اخطائه واستفيد من تجاربه، لانه تصور استحالة أن ارفض السير على دربه، كان قراره واضحا، مؤكدا.

معاناة عمر طويل ومشاق الحياة وهبته طبيعة متعسفة. وبدا له من المستحيل أن يترك الأمر لابنه غير المجرب، الغير قادر على احتمال المسئوليات. بل وتصور أنه سيكون مذنبا أن لم يستخدم سلطته لتحديد مستقبله، ورأى أن هذه مسؤولية تحتمها عليه الوظيفة الابوية.

ومع ذلك سارت الامور بطريقة مغايرة: فقد رفضت الفكرة بشكل قاطع، وما كان عمرى أكثر من احدى عشر سنة. ولم ينجح الترغيب أو الترهيب كليهما فى تغيير رأيى. وكل مساعى والدى الذى قص على قصصا عن تجاربه فى العمل، راجيا أن اقنع به واحبه، ادت لنتائج عكسية. تثائبت واهنا إذ تصورت اننى سأقضى العمر أمام مكتب، بدون أن يكون وقتى ملكا لى، قاضيا حياتى فى تحويل الدنيا إلى فراغات يقوم أحدهم بملأها فى صورة طلب أو وظيفة. واى افكار كان يمكن لمشهد كهذا أن يخلقه فى نفس طفل طبيعى؟ الوظائف المدرسية كانت سهلة.

وامتلكت الوقت الحر لدرجة أن الشمس عرفتنى أكثر من حيطان حجرتى. وحين يبحث اعدائى السياسيين فى الماضى البعيد، ويعثرون على ما يؤكد أن هتلر كان طفلا شقيا. اشكر الله على أنهم قد اعادوا لفكرى ذكريات بعض تلك الايام السعيدة. الغابات والحقول باتوا حلبات الصراع التى قضيت فيها حياتى، والمدرسة الجديدة لم تغير هذا الوضع، وطالما كانت معارضتى الأساسية لفكرة والدى نظرية، استطعنا التعايش سويا. فقد احتفظت بآرائى الخاصة، وما خالفته بصوت مرتفع.

ولكن - وفى سن الثانية عشر - بدأت اطمع فى أن اصير رساما. ومع أن والدى كان يشجع هذه الهواية، إلا أنه لم يتصور ابدا أن اسير فى هذا الاتجاه.

"رســـام"؟

تشكك حتى فى عقلى، وربما تصور أنه لم يفهم ما اعنيه. ولكن بعد أن فهم، عارض الفكرة بكل ما فى طبيعته من عناد. "رسام! فقط بعد موتى". ولكنه اكتشف أن ابنه قد ورث منه ذات العناد. وهكذا بقى الحال زمنا طويلا، وما كانت النتائج طيبة. فقد اصابت المرارة نفس الرجل الكبير، وما كان باستطاعتى الرضوخ له. وهكذا حين اكد استحالة دراستى للفن، قررت ايقاف الدراسة بشكل عملى، متصورا أنه حين يرى فشلى الدراسى، سيسمح لى بالسير فى الاتجاه الذى اختاره. كانت نتائجى المدرسية آنذاك غير طبيعية. فكل ما له علاقة بالرسم جلبت فيه افضل النتائج، وفى الباقى أسوأها. ولكن انجازاتى كانت مميزة فى حقلى الجغرافيا والتاريخ الألمانيين، لاننى عشقت هاتين المادتين وكنت افضل التلاميذ فيهما، وحين اتطلع لتلك المرحلة الان، بعد مرور السنوات الكثيرة، ألاحظ حقيقتين هامتين: فأولاً: صرت قوميا، وثانياً، تعلمت معنى التاريخ. ففى دولة متعددة الاجناس كالنمسا، كان من الصعب جدا أن يعرف المرء معنى الانتماء لألمانيا. فبعد المعارك الفرنسية الألمانية قل الاهتمام بالألمان فى الخارج، ونساهم البعض تماما. ومع ذلك، فلو لم يكن الدم الألمانى طاهرا قويا، لما استطاع العشرة ملايين ألمانى ترك بصمتهم واضحة جلية فى دولة تتكون من أكثر من خمسين مليون نسمة، لدرجة أن الناس تصورت أن النمسا كانت دولة ألمانية مستقلة.

القليلون أدركوا قسوة الصراع الوحشى الذى خضناه للحفاظ على اللغة الألمانية، المدارس الألمانية، والأسلوب الخاص للحياة: اليوم فقط، حين يحلم الملايين من الألمان بالعودة للوطن الأم، ساعين على الأقل للحفاظ على لغتهم القوية، يدرك جل الناس صعوبة هذا الصراع، وربما يقدر بعضهم أهمية هؤلاء الأفراد الذين حموا الوطن من الهجمات من الشرق، وحاربوا من أجل ابقاء اللغة المشتركة حين ما اهتمت الحكومات الألمانية إلا بالمستعمرات البعيدة، متناسية معاناة الألمان فى الجوار.

وحتى الأطفال اشتركوا فى الصراع القومى: إذ رفضنا ترديد الأغانى غير الألمانية، وارتدينا الثياب التقليدية، بالرغم من التهديد والعقوبات. فمنذ طفولتى لم يعنى شعور "الوطنية" أى شىء لى، بينما عنت المشاعر القومية كل شىء. وقد كانت دراسة التاريخ دافعا قويا لخلق الحس القومى، نظرا لعدم وجود تاريخ نمساوى مستقل. بل أن مصير هذه الدولة مرتبط بألمانيا لدرجة أن ظهور تاريخ نمساوى خاص يبدو مستحيلاً. فتقسيم ألمانيا لموقعين هو في حد ذاته جزء من التاريخ الألمانى.

ضرورة توحيد الألمان والنمساويين كانت نتيجة حلم بقى فى قلوب الجماهير بسبب تذكرها للتاريخ الذى كان بئرا لا ينضب. وخاصة فى أوقات النسيان، سما التاريخ فوق الثراء المرحلى وهمس الماضى للشعب بأحلام المستقبل.

تعليم التاريخ فى ما يسمى المدارس الثانوية لا يزال حتى اليوم فى حال يرثى لها. والقلة من الأساتذة تفهم أن الهدف من دراسته ليس حفظ أرقام أو تواريخ، فمعرفة التاريخ تعنى معرفة القوى التى تسبب

النتائج المسماة أحداثا تاريخية. والمعرفة هى: القدرة على تذكر الأساسى، ونسيان كل ما هو غير ضرورى.

وقد يكون احد اهم أسباب تشكيل شخصيتى الحالية دراستى للتاريخ مع احد القلة الذين عرفوا هذه القواعد وراعوها فى التدريس، الأستاذ ليوبلد بوتش. فقد كان ذلك الرجل العجوز خبيرا متقنا لمادته، وتمتع أيضاً بقدرة بلاغية مميزة سحرت اللب وجعلتنا، ونحن نستمع لبعض قصصه، ننسى الحاضر، وكأنه ساحر يأخذنا لعصور ماضية، عبر ضباب عشرات السنين، صانعا من الأحداث التاريخية واقعا معاشا.

وقد كنا من المحظوظين جدا لأن هذا المدرس عرف كيف ينير الماضى بأمثلة من الحاضر، وكيف يجلب من الماضى وقائع تلقى الضوء على الحاضر. ونتيجة لهذه القدرة فهم أكثر من غيره المصاعب التى نعانيها، واستغل مشاعرنا القومية لتقويمنا، مستنشدا بإحساسنا بالشرف للانتماء للوطن. وبهذه الطريقة نجح فى تهذيبنا بشكل افضل من أى أسلوب آخر، هذا المدرس جعلنى عاشقا للتاريخ. وهكذا بت ثوريا بدون أن يسعى هو متعمدا لذلك. فمن يستطيع دراسة التاريخ الألمانى مع أستاذ كهذا بدون أن يكره الدولة التى كادت تدمر مصير الأمة؟ ألم نعرف أن النمسا ما حملت للألمان سوى البغضاء؟ ألم نشاهد أفعالهم كل يوم؟ فى الشمال والجنوب كان اسم الدول الأخرى يدمر جسد وطننا، وحتى فيينا تم تحويلها لمدينة لا ألمانية. فقد حاولت الأسرة الحاكمة جلب سكان البلاد الاخرى، وخصوصا التشيك، بقدر الاستطاعة، وكان مقتل السيد فرانسز فوردناد، عدو الألمان الأول، على ايديهم دلالة على عدالة الرب الأزلى.

كانت الاثقال التى ناء بحملها الشعب الألمانى هائلة، إذ دفعوا المال والدم، وبلا فائدة. ولكن ما أغضبنى ادعاء أن كل هذا نتج عن علاقات متميزة بين ألمانيا والنمسا، نتج عنها أن الشعب الألمانى تم تدميره بموافقة من الحكومة الألمانية ذاتها. وكانت نتيجة هذا النفاق هو ازدياد الكراهية للحكومة الألمانية لدرجة الازدراء. ولكن حكام ألمانيا ما فقهوا كل هذا، ومثل رجل أعمى، عاشوا بجوار الجثة متصورين فى سكون الموت علامة ميلاد حياة جديدة. وهذا التصور الخاطئ أدى للحرب العالمية الأولى والدمار الناتج عنها.

ادركت فى هذه الفترة أن الأمة الألمانية ستبقى فقط لو تم تدمير النمسا، وما هو اهم، أن الحس القومى يتعارض كلية مع مشاعر التبجيل للملك. عرفت أن هذه الأسرة الحاكمة لا هدف لها سوى اخماد نار الأمة الألمانية. ومع ذلك احببت النمسا كجزء من الوطن الأم.

طبع التفكير التاريخى الذى تعلمته خلال هذه الايام ما هجرنى أبدا بعد ذلك. بات التاريخ العالمى موردا لا ينضب عرفت عن طريقه مغزى الأحداث المعاصرة. وهكذا تحولت باكرا إلى سياسى ثائر.

ما كان المسرح سيئا فى شمال النمسا. فقد شاهدت المسرحيات المختلفة فى سن الثانية عشر، وبعض أعمال الأوبرا كذلك.

كل هذه العوامل دفعتنى لرفض العمل الذى اراد والدى اعدادى له. أيقنت اننى لن استطيع الوصول للراحة النفسية فى أى وظيفة حكومية. سأكون رساما، ولن تقدر أى قوة فى العالم على جعلى موظفا.

ومع ذلك، تحولت مع مرور الاعوام إلى حب المعمار أكثر من الرسم.

وعلى كل حال، فقد تدخل القدر، واصيب والدى بالجلطة، وانتهت رحلته الدنيوية، وتركنا جميعا فى حالة من الحزن العميق. لقد كان

طموحه الاخير مساعدة ابنه حتى لا يعانى كما عانى ويكرر ذات الاخطاء. وإن لم ينجح إلا أن البذور التى زرعها لعبت دورها فى خلق مستقبل لم يستطع هو - ولا انا - ادراكه آنذاك.

وقد رغبت أمى فى أن استمر فى الدراسة كما اراد والدى. ثم اصبت بمرض ساعدنى على التغلب على هذا الصراع المنزلى. إذ اكد الطبيب اننى لا استطيع البقاء فى مكتب، وألح على ابتعادى عن المدرسة لعام كامل. وهكذا حققت لى الاقدار الهدف الذى سعيت له.

وافقت أمى مكرهة أخيراً على أن ادرس فى المعهد الفنى. كانت اسعد أيام العمر امامى - إلا أنها بقت أحلاما لأن والدتى توفيت بعد وفاة والدى بعامين نتيجة لمرض قاتل اصابها على حين غرة. احترمت والدى، ولكننى احببت امى، وقد احزننى رحيلها كثيرا.

وهكذا وجدت نفسى مضطرا لاتخاذ قرارات صعبة. الاموال القليلة المتبقية كانت قد انفقت فى علاج امى، وما قدمته الحكومة للايتام ما كان كافيا حتى لشظف العيش. وهكذا كان امامى مسؤولية الاستقلال الاقتصادى.

وضعت ثيابى القليلة فى حقيبة، وفى قلبى ارادة جديدة، واتجهت إلى فيينا، مثل والدى، قررت أن انتزع من القدر مصيرا مميزا، وإن اكون شيئا خاصا، أى شىء، باستثناء موظف حكومى.

■ ■ ■





أعوام الدراسة والمعانـــاة فى فيينا



حين ماتت والدتى، حدد القدر اجزاء كثيرة من مصيرى المستقبلى.

خلال الشهور الاخيرة من مرضها، ذهبت إلى فيينا لاجتياز الاختبار المبدئى لدخول المعهد الفنى. كنت قد اعددت بعض اللوحات، متأكدا من أن الامتحان سيكون فى غاية السهولة. فقد كنت الافضل فى الفصل فى مجال الرسم دائما، ومنذ ذلك الوقت، تقدمت قدراتى بسرعة، فاصابنى الغرور.

ومع ذلك، شعرت بالمرارة لأن قدراتى على الرسم الهندسى فاقت بكثير قدراتى كرسام. وكل يوم كان ولعى بالفنون المعمارية يتزايد - خصوصا بعد رحلة لمدة اسبوعين قضيتها فى فيينا فى سن السادسة عشر. وقد كان هدف تلك الرحلة هو دراسة متحف الفن. وإن وجدت نظراتى تتطلع أكثر لهيكل المتحف. فمنذ الصباح الباكر وحتى المساء، تجولت فى الاروقة متابعا كل ما يشغف فكرى، وإن كان جل اهتمامى قد انصب على المتحف ذاته. لساعات وقفت أمام مبنى الاوبرا، وبدا لى المكان ساحرا مثل قصور الف ليلة وليلة.

والآن كنت فى المدينة الخلابة للمرة الثانية، منتظرا على احر من الجمر نتائج الامتحان. كنت متأكدا من النجاح لدرجة أن سقوطى اصابنى بذهول

مطبق. وحين تحادثت مع المسئول، وطلبت منه التوضيح، اكد لى أن اللوحات التى قدمتها تشير إلى عدم توافر الموهبة المطلوبة للرسم لدى، وإن اكد أن مجال الرسم الهندسى هو الملائم لى ولم يصدق اننى لم ادرسه البتة. مكتئبا تركت المبنى، لاول مرة فى حياتى غير عارف بما يجدر بى فعله.

عرفت الآن أنه لابد لى أن أدرس الهندسة. وكان الطريق صعبا: فكل ما رفضت دراسته خلال صراعى مع والدى بات ضروريا. ما كان ممكنا دخول كلية الهندسة بدون الشهادة الثانوية. وهكذا بدا أن حلمى الفنى لن يتحقق ابدا.

حين عدت لفيينا مرة ثالثة، بعد وفاة والدتى، كان الطموح والعناد قد عادا لى.

قررت أن اصير مخططا هندسيا، وكل الصعاب كانت التحدى الذى لابد لى من اجتيازه. كنت مصمما على مواجهة العقبات، وامامى صورة ابى، الذى بدأ حياته مصلحا للاحذية، وصعد بجهوده الخاصة إلى موقع حكومى جيد، توفرت لدى امكانيات اكثر، وهكذا بدا لى أن الصراع سيكون اسهل، وما بدا لى آنذاك سوء الحظ، امتدح اليوم كمساعدة القدر الحكيم، فبينما ازدادت معاناتى اليومية، ازدادت ارادة المقاومة داخل ذاتى وفى نهاية المطاف تفوقت على غيرها من العوامل. تعلمت خلال تلك الايام الشدة، وتحولت من طفل مدلل إلى رجل قذف به إلى قلب المعاناة والفقر المدقع. ومن ثم تعرفت على اولئك الذين سادافع عنهم فى أيام مستقبلية.

خلال تلك المرحلة ادركت وجود خطرين مدقعين يحيطان بالشعب الألمانى، وهما اليهودية والشيوعية، ولا تزال فيينا التى يتصورها الكثيرين

مدينة اللذات البريئة، تجلب لذهنى أسوء صور المعاناة الانسانية التى عرفتها لمدة خمسة اعوام اضطررت خلالها للعمل، اولا كمستأجر يومى، ثم كرسام.

ما جلبته من مال ما كفى حتى لاشباع الجوع اليومى، كان الجوع صديقا لى آنذاك، وما تركنى للحظة، بل شاركنى فى كل شىء، كل كتاب اقتنيته، وكل مسرحية شاهدتها، جعلته اقرب إلى. ومع ذلك، درست خلال تلك الايام أكثر من أى فترة اخرى، باستثناء زياراتى النادرة للأوبرا التى دفعت ثمنها جوعا، ما كان لدى أى لذة سوء القراءة. وهكذا خلال تلك الفترة قرأت كثيرا وبعمق كل وقت الفراغ المتاح لى بعد العمل قضيته فى القراءة. وبهذه الطريقة جمعت خلال بضع اعوام المعارف التى تغنينى حتى الساعة.

خلال تلك الاعوام، تكونت فى ذهنى صورة للعالم تبقى القاعدة التى استخدمها فى كل قرار اتخذه. وكل تصرف اقوم به. وانا اليوم مقتنع بان كل سلوكياتنا تنبع من آراء تنتج أثناء شبابنا. فحكمة النضوج تحوى الآراء الخلاقة التى ينتجها الفكر الشاب ولا يمكن تطويرها آنذاك، مضافا لها الحذر الذى يتعلمه الانسان بالتجربة. وهذه العبقرية الشبابية ستكون الاداة الاساسية لخطط المستقبل، التى سيمكن تحقيقها فقط لو لم تدمرها تماما حكمة النضج.

كانت طفولتى مريحة، بلا قلق يذكر، كنت انتظر مجىء الصباح، بلا أى معاناة اجتماعية. فقد انتميت لطبقة الرأسمالية الصغيرة. وكنت لهذا السبب بعيدا عن الطبقات العاملة، وبالرغم من أن الفرق الاقتصادى بين الطبقتين كان محدودا. إلا أن الفاصل بينهما كان شاسعا. وقد يكون

سبب العداء بين الطبقتين هو أن الموظف، الذى ما استطاع إلا بصعوبة ترك الطبقات العاملة، يخشى من العودة إلى تلك الطبقة المحتقرة، أو على الاقل أن يتصوره الناس جزءا منها. هناك أيضاً الذكريات المخيفة للفقر، وانعدام المعايير الاخلاقية بين الطبقات المنحطة، وهكذا يخشى الرأسمالى الصغيرة أى اتصال مع هذه الطبقة. وهذا الصراع عادة يدمر كل شعور بالرحمة. فصراعنا للبقاء يدر عواطفنا لاولئك الذين تخلفوا ورائنا.

اشكر القدر الذى اجبرنى على العودة لعالم الفقر والخوف، لأن التجربة ازاحت عن عيونى غشاء نتج عن تربية الرأسمالية الصغيرة.

عرفت الآن معاناة الانسانية، وتعلمت التفرقة بين المظاهر الفارغة والكائن الموجود فى داخلها.

كانت فيينا التى شاهدتها احدى أكثر مدن أوربا تخلفا. الثراء الفاحش والفقر المدقع تجاورا، فى مركز المدينة وحاراتها شعرت بنبض ٥٢ مليونا. اما المحكمة الفخمة والمناطق المجاورة لها، وخصوصا المبانى الحكومية فجذبت لها الذكاء والثراء، وهذه المناطق كانت كل ما يوحد الشعوب المختلفة الموجودة فى هذه الدولة. فالمدينة كانت العاصمة الثقافية والسياسية والاقتصادية، مجموعة مديرى الشركات العامة والخاصة، موظفى الحكومة، الفنانين، والمدرسين والمثقفين، عاشت فى مواقع قريبة بجوار الفقراء، وواجهت جيوشا من العمال كل يوم، خارج القصور المعروفة تشرد آلاف من العاطلين، وفى ظلال اسوارها رقد من لا يملكون مسكنا.

معرفة هذه الاوضاع المزرية ودراستها لن يتم من مواقع عالية: لا احد ممن لم يسقطوا فى اشداق هذه المعاناة يمكن له أن يفهم آلامها. ومن

حاولوا دراستها من الخارج غرقوا فى لغو الحديث والعاطفة، وانا لا ادرى أن كان تجاهل الاغنياء للفقير أكثر ضررا من افعال اولئك الذين يدعون الشفقة عليه بتكبر وغرور. والنتيجة دائماً سلبية على كل حال، بينما تزداد الاوضاع سوءا، ولا يجدر بالفقير أن يرضى بصدقة بدلا من أن تعاد له بعض حقوقه.

لم اعرف الفقر من بعيد: بل ذقت طعم الجوع والحرمان، ولم ادرسه بطريقة موضوعية، بل خبرته داخل روحى. وكل ما استطيع فعله الآن هو وصف المشاعر الاساسية، وذكر بعض ما تعلمته من هذه التجارب. لم يكن العثورعلى وظيفة صعبا، نظرا لافتقارى للتجربة، وهكذا اضطررت للعمل كمساعد عامل أو كعامل باجر يومى، حلمت بالهجرة إلى أمريكا، تحررت من الافكار القديمة عن الحرفة والمركز، أو المجتمع والتراث، وسعيت وراء أى فرصة متاحة، وتقبلت أى عمل، مدركا أن أى عمل شريف لا يجلب العار لصاحبه، عرفت بسرعة أن العمل متوفر ويمكن الحصول عليه بسهولة، ولكن يمكن أيضاً بسهولة أن يفقده المرء. بدا لى أن عدم ضمان الوصول لرغيف العيش كل يوم كان أسوأ ما عانيته.

العامل المدرب لا يجد نفسه فى الشارع بيسر مثل العامل غير المحترف، إلا أنه قد يواجه ذات المصير ايضا، ولذلك ترى العمال يضربون عن العمل: مما يؤدى للاضرار باقتصاد المجتمع ككل.

ذلك الفلاح الذى يهاجر إلى المدينة، متخيلا سهولة العمل، وقلة ساعاته والاضواء الكهربائية الملونة، كان قد اعتاد على نوع من الضمان بخصوص لقمة العيش. ففى القرية، لن يترك عمله إلا إذا ضمن لنفسه عملا افضل منه. ونظرا لوجود حاجة دائمة للايدى العاملة فى الفلاحة، تبقى امكانيات البطالة محدودة. ومن الخطأ تصور أن الفلاح الذى

يهاجر للمدينة أكثر كسلا من ذلك الذى يبقى فى عقر داره. العكس هو الصحيح: فالمهاجر عادة يكون الاكثر صحة ونشاطا. ولذلك لا يخاف من مواجهة الصعاب، هو يصل أيضاً للمدينة ومعه مدخراته، ولذلك لا يخاف أن لا يصل للوظيفة المرغوبة من أول يوم، ولكن الامور تزداد سوءا إن عثر على وظيفة ثم فقدها. فالعثور على غيرها، خصوصا فى فصل الشتاء، سيكون شاقا بل ومستحيلا. ومع ذلك سيعيش وستعاونه الفوائد الحكومية للعاطلين. ولكن، حين تنضب هذه الموارد مع مرور الوقت، ستبدأ المعاناة الحقيقية، سيتشرد الفتى الجائع فى الشوارع، وسيبيع أو يرهن ما يملك، وستسوء حال ثيابه، وينحط إلى مستوى مادى وروحى فى غاية التعاسة. فتتسمم روحه. وإن فقد سكنه فى الشتاء، وهو ما يحدث كثيرا، فستكون معاناته فظيعة. وفى نهاية المطاف، سيعثر على وظيفة اخرى، ثم تتكرر ذات القصة مرة ثانية وثالثة، وشيئا فشيئا يتعلم عدم المبالاة، ويصير التكرار عادة، وهكذا يتحول هذا الرجل النشيط سابقا إلى كسول يستخدمه الآخرين لمصالحهم، وقد عاش حياة البطالة لوقت طويل بدون ذنب حتى ما عاد يهمه طبيعة العمل الذى يقوم به، حتى وإن كان هدفه تدمير القيم السياسية الثقافية الاجتماعية، وحتى أن لم تعجبه فكرة الاضراب، فلن يبالى بها. وقد شاهدت آلاف القصص المشابهة التى اقصها. وكلما شاهدت المزيد، ازدادت كراهيتى للمدينة الكبيرة التى تمتص دماء الرجال وتدمرهم.

فحين جاءوا فرادى، انتمى كل منهم للمجتمع، وبعد اعوام، ما انتموا لأى شىء.

وانا أيضاً عانيت وعثاء حياة المدينة: شعر جسدى بصعابها وامتصت روحى معاناتها. وقد شاهدت أيضاً أن التنقل السريع بين العمل

والبطالة، وما ينتج عنه من تقلب اقتصادى يدمر شعور الفرد باهمية الاقتصاد، بدا أن الجسد يعتاد على التبذير حين يتوفر المال.

ويستحمل الجوع حين انعدامه. وبصراحة، أن الجوع يقضى على أى ارادة تسعى للتنظيم الاقتصادى حين يتوافر المال لانه يضع أمام ضحيته المعذبة سراب الحياة السعيدة لدرجة أن الرغبات المريضة ستدمر أى قدرة على التحكم ساعة الوصول لاى موارد، وهكذا حين يصل الرجل للمال ينسى كل افكار تتعلق بالنظام والترتيب، ويعيش حياة البذخ ويسعى وراء اللذات الآنية. وغالبا ما سيكون لهذا العامل زوجة واطفال وسيعتادون جميعا على التبذير ثلاث ليال من الاسبوع، والجوع باقيه. وفى ساعات الظهيرة سيجلسون سويا أمام الصحون شبه الفارغة، منتظرين يوم وصول المرتب، متحدثين عنه، حالمين طوال ساعات الجوع بلذات التبذير.

وهكذا يعتاد الاطفال منذ طفولتهم على هذه الاوضاع السيئة. وقد شاهدت هذه الاوضاع مئات المرات وتقززت منها اولا، ثم فهمت حقيقة المأساة التى يعيشها هؤلاء الناس الذين باتوا ضحايا لظروف اجتماعية سيئة. وما كان أكثر بؤسا هو اوضاع السكن السيئة، بل اننى اشعر بالغضب حتى هذه الساعة حين اتذكر الغرف الصغيرة والاكواخ الخشبية المحاطة بالقاذورات والاوساخ من كل جانب. وقد خشيت ذلك اليوم المرعب، حين سيخرج هؤلاء العبيد من اقفاصهم للانتقام من قسوة البشرية عليهم.

والمسئولون والاثرياء يتركون الامور تسير على مجاريها: وبدون أى تفكير يفشلون حتى فى الشك بان القدر يخطط للانتقام من هذا الجور. اما انا فعرفت أن تحسين هذه الاوضاع ممكن بطريقتين: فلابد من

وجود احساس عميق بالمسؤولية لخلق اسر افضل للتقدم، ومعه ارادة وحشية تدمر كل ما سيقف فى طريقها ويعوق تقدمها. وكما لا تركز الطبيعة جهودها فى الحفاظ على ما هو موجود، بل تسعى لخلق اجيال مستقبلية افضل. سيكون من الضرورى صناعة قنوات جديدة أكثر صحية منذ البداية.

تجاربى المختلفة فى فيينا علمتنى أن المشاريع الخيرية غير مفيدة، والمطلوب تدمير الفوضى الاقتصادية التى تؤدى إلى انحطاط الافراد الخلقى، بل أن عدم قدرتنا على استخدام الوحشية فى الحرب ضد المجرمين الذين يهددون المجتمع سببها هو عدم تأكدنا من براءتنا التامة من الاسباب النفسية والاجتماعية لهذه الظواهر. شعورنا الجمعى بالذنب تجاه مآسى الانحطاط الاخلاقى يشل قدرتنا على اتخاذ اقل الخطوات قسوة فى الدفاع عن مجتمعاتنا. وفقط حين نتحرر من سلطة عقدة الذنب هذه سنقدر على الوصول للقوة والوحشية والضروريين لتدمير الاعشاب الضارة والافكار المارقة.

وبما أن النمسا كانت عمليا بلا قانون اجتماعى صالح، لم تكن الدولة قادرة دورة على التعامل مع هذه الامراض البتة.

ولا اعرف حتى الساعة ما ارعبنى اكثر: هل كان سوء الاوضاع الاقتصادية لمن عرفت، ام انحطاطه الخلقى، ام الضعف الفكرى؟

تصور مثلا هذا المشهد: فى شقة تتكون من حجرتين سكنت أسرة عامل تتكون من سبع اشخاص. بين الاطفال الخمسة، كان هناك طفل فى الثالثة، وهو السن الذى تتكون خلاله انطباعات الفرد الأولى. هناك بعض الموهوبين الذين يتذكرون هذه الانطباعات حتى أرذل العمر. مجرد

ضيق الشقة وازدحامها لا يؤدى لخلق ظروف صحية ونفسية ملائمة للنمو. قد تحدث مثلا خلافات بسيطة بين افراد كل اسرة، وعادة يذهبون كل إلى حجرة مختلفة، وينتهى الامر، اما فى شقة صغيرة، فكل سيرى نفسه فى مواجهة الآخرين طوال الوقت. بين الاطفال الخلاف شىء طبيعى. وهم ينسون اسبابه بسرعة. ولكن أن شاهد الاطفال الابوين فى حال خصام دائم، تستخدم خلاله الالفاظ النابية، وربما العنف، فستكون النتائج سلبية، سيتصور الطفل العالم بطريقة تخيف من يقدر على تصورها. فقد تم تسميمه اخلاقيا، وما تغذى جسده كما ينبغى، ومن ثم يذهب هذا المواطن الصغير إلى المدرسة بعد صراع مضن، قد يتعلم القراءة والكتابة، اما الواجب المنزلى، فانجازه مستحيل، بل أن والديه سيقذعان المدرسة بابشع الالفاظ، كل ما سيسمعه الطفل لن يعلمه احترام مجتمعه، سيكره المدرسين وكل انواع السلطة، وحين يطرد من المدرسة بعد ذلك، سيلاحظ الناس غبائه وجهله، وكذلك سوء اخلاقه. أى موقع سيستطيع هذا الشاب اليافع الوصول اليه فى ظروف مثل هذه؟ كل ما لديه هو كراهية المجتمع والبشرية. وبعد هذا فى سن الخامسة عشر، سيبدأ ذات الحياة التى عاشها والده، فيذهب للحانات، ويعود متأخرات لمنزله، وينتهى به الأمر فى السجن.

وكم من مرة غضب الرأسمالى إذ سمع العامل الفقير يقول أنه لا يهتم سواء أكان ألمانيا أم لا، مادام يجد الغذاء والكساء: فقدان الشعور القومى بهذه الطريقة فظيع. كم من الألمان فى عصرنا يشعرون بالفخر أن تذكروا إنجازات أمتهم الثقافية والفنية؟ وهل يدرك المسئولون أن الشعور بالفخر والعزة الوطنية لا يصل إلا لقلة من افراد الشعب.

لذلك لابد من تحسين الاوضاع المعيشية ومن أن يركز التعليم على قيم اساسية تتفشى فى اذهان الناس عبر التكرار.

ولكن ألمانيا، بدلا من الدفاع عن القيم القليلة الموجودة، تسعى لتدميرها، والفئران التى تبث سمومها فى القلب والذاكرة تنجح فى الوصول لغاياتها، بمساعدة الفقر والمعاناة: يوما بعد يوم، فى المسارح ودور السينما، نرى السم يقذف على الجماهير، ثم يتحير الاثرياء عن اسباب انحطاط القيم الاخلاقية للفقراء، وانعدام الشعور الوطنى بينهم.

قضية خلق الشعور الوطنى إذاً تعتمد على توفير ظروف ملائمة لتعليم الافراد لأن اولئك الذين يتعلمون عن طريق الأسرة والمدرسة فقط هم الذين سيستطيعون تقدير الانجازات الثقافية والاقتصادية والسياسية لوطنهم لدرجة الانتماء لذلك الوطن. استطيع أن احارب فقط من أجل ما احب، واحب فقط ما احترمه، واحترم على الاقل ما اعرفه.

ومع ازدياد اهتمامى بالقضايا الاجتماعية، بدأت أقرأ المزيد عنها. وفتح عالم جديد ابوابه لى.

خلال الاعوام ١٩٠٠-١٩١٠ تغيرت اوضاعى لاننى ما عدت اعمل كعامل، بل بدأت العمل كخطاط ورسام بالالوان المائية. ومع أن المال ما كان كافيا، إلا أنه كفى لتحقيق طموحى آنذاك. إذ استطعت الرجوع للمنزل وانا قادر على القراءة بدون أن يدفعنى التعب من عمل اليوم للنوم فورا. بات بعض وقتى ملكا لى.

تصور الكثيرون اننى غير طبيعى، ولكننى تابعت ما اعشق، الموسيقى والعمران. كنت اجد فى الرسم والقراءة كل اللذات وسهرت كثيرا حتى الصباح مع لوحة أو كتاب. وهكذا كبرت طموحاتى، وحلمت بأن المستقبل

سيحقق امالى، ولو بعد حين. كذلك تابعت قضايا السياسة وقرأت المزيد عنها لاننى ارى أن التفكير فى شؤونها وظيفة تقع على عاتق كل مواطن يفكر. وبدون معرفة شىء عن طبيعتها لا يحق للفرد النقد أو الشكوى.

ما اعنيه بالقراءة يختلف عما يقوله دعاة الثقافة فى عصرنا. فقد عرفت رجالا قرأوا كثيرا، ولكنهم ما كانوا مثقفين. نعم، هم عرفوا الكثير من المعلومات، ولكنهم استطاعوا تسجيلها وتنظيمها. وهكذا افتقدوا فن تمحيص القيم من الغث، والتحرر مما كان بلا فائدة، والاحتفاظ بالمفيد معهم طول العمر. فالقراءة ليست غاية فى حد ذاتها، بل وسيلة لتحقيق الغايات. وظيفتها الاساسية هى ملأ الفراغ المحيط بالمواهب والقدرات الطبيعية للافراد. المفروض هو أن نقدم للفرد المعدات التى يحتاجها لعمله الحياتى بغض النظر عن طبيعة هذا العمل.

كذلك يجدر بالقراءة أن تقدم رؤية معينة للوجود. وفى كلا الحالين، الضرورى هو إلا تتحول محتويات الكتاب إلى الذاكرة بجوار كتب لاحقة، بل أن توضع المعلومة المفيدة بجوار غيرها لتوضيح الرؤية الاساسية فى فكر القارئ. وإن لم يحدث هذا، ستتجمع المعلومات بشكل فوضوى فى الذهن، بلا قيمة سوى خلق الكبرياء. فالقارئ من هذا النوع سيتصور أنه قد عرف المزيد، وإن كان فى الواقع يبتعد أكثر فاكثر عن الواقع حتى ينتهى المطاف به فى مستشفى المجانين.. أو مجلس الشعب، وهو ما يحدث كثيرا. وهو أن يستطيع إذا الاستفادة مما قرأه.

اما القارئ الناجح، فيستطيع بسرعة ادراك ما سيستفيد منه وترك الباقى. المعلومة المفيدة ستصحح الاخطاء، وتوضح الصورة الكلية. ثم، حين تضع الحياة سؤالا أمام القارئ، ستعرف ذاكرته كيف تجلب الاجزاء المطلوبة للاجابة، وتقدمها للعقل حتى يختبرها ويتحقق بشأنها، حتى تتم

الاجابة على السؤال. وهذه هى القراءة المفيدة. ومنذ صباى حاولت القراءة بهذا الاسلوب، وفى هذا المسعى عاوننى الذكاء والذاكرة. اما تجارب الحياة اليومية فقد دفعتنى لقراءة المزيد والتفكر بشأنه. وفى هذا السعى عاوننى الذكاء والتجارب. وهكذا وجدتنى أخيراً قادرا على الربط بين النظرية والواقع، وعلى اختبار النظرية فى ظل الواقع، ونجوت بهذه الطريقة من الكبت الذى تخلقه النظرية لمن لا يعرف سواها، ومن التفاهة التى يحياها من لا يعرف سوى الواقع اليومى المعاش.

خلال تلك المرحلة دفعتنى تجارب الحياة إلى دراسة سؤالين اخرين، كانت الماركسية احدهما. فما عرفته عن الفكر الديمقراطى كان قليلا وغير دقيق. آنذاك، أسعدتنى فكرة الصراع من أجل حقوق الانتخاب. فحتى فى ذلك الزمن الباكر، ادركت بان هذا سيضعف من سطوة السلطة الجائرة فى النمسا. وكلما زادت اللغات المستخدمة فى مجلس الشعب النمساوى الذى بات مثل ـ بابل ـ بدا تشتت تلك الدولة الحتمى وشيكا، ومعه ساعة تحرر الشعب الألمانى.

نتيجة لكل هذا، لم اتضايق من حركات الديمقراطية الاجتماعية، بل أن ادعاءاتها بمساعدة الطبقات الفقيرة بدت لى من العوامل التى وقفت فى صفها. ولكنى رفضت فى هذه الحركات عدائها لكل محاولات المحافظة على الشخصية الألمانية، ومغازلتها "للرفاق السلاف"، الذين ما تقبلوا من افكارها إلا ما سيستفيدون منه، وتركوا الباقى باحتقار تام. حدث لقاءى الأول مع هذه الحركات خلال عملى كعامل بناء. وكانت التجربة سيئة منذ البداية: كانت ثيابى نظيفة، ولغتى جيدة، وسلوكى حذرا. فكنت لا ازال اسعى وراء مصيرى لدرجة تجاهل الناس حولى. بحثت عن العمل فقط خوفا من الجوع، وللاستمرار فى الدراسة.

ربما ما كانت القضية ستهمنى البتة لو لم يطلبوا منى فى اليوم الرابع الانضمام لتجمعهم. ونظرا لجهلى بالموضوع، رفضت موضحا اننى لا اعرف ما يكفى عنهم للانضمام اليهم. ربما لهذا السبب لم يعادوننى، بل ورغبوا فى اقناعى بالانضمام إلى صفوفهم. ولكننى خلال الاسبوعين القادمين عرفت افكارهم جيدا، وما عاد باستطاعتى البتة الانضمام لمجموعة بغضتها.

ساعة الظهيرة حين كنا نتناول الطعام فى الحانة: كنت اشرب الحليب واكل الخبز فى زاوية متطلعا لهم بحذر أو متأملا حظى السيئ. وهكذا استمعت لهم، بل أنهم جاءوا بجوارى حتى استمع واتخذ موقفا. وما كان امامى منفذ آخر لأن آرائهم أغضبتنى جدا: قالوا أن الحس الوطنى نتج عن إعلام الطبقات الرأسمالية،وانه عبارة عن سلاح يستخدمه الأثرياء لاستغلال العمال، والمدرسة ليست سوى مؤسسة لانتاج العبيد وأسيادهم، اما الدين فادعوا أنه اسلوب لتخدير الشعوب حتى تسهل السيطرة عليهم، والأخلاق ليست سوى دلالة على الغباء. ما كان هناك ما لم يلقونه فى الوحل. فى البداية لذت بالصمت، ولكننى سرعان ما بدأت باتخاذ مواقف فكرية مخالفة، وقرأت فكرهم وناقشتهم بشأنه. واستمر النقاش حتى قرروا استخدام سلاح يقهر العقل بسهولة: وهو البطش والإرهاب. وهكذا طلبوا منى الذهاب وهددونى بانهم سيلقوننى فى الخارج أن رفضت. وهكذا خسرت عملى، وفى نفسى سؤال مرير: هل هؤلاء فعلا بشر؟ وهل يستحقون شرف الانتماء لامة عظيمة؟ وكان السؤال صعبا. وإن كانت اجابته بالايجاب، فإن الصراع فى سبيل القومية لن يستحق التضحية والمعاناة، اما أن كانت الاجابة بالنفى، فإن امتى ستفتقر بالفعل للانسان.

ومن المؤكد أن ملايين العمال بدأوا برفض الحركات اليسارية، ولكن الرأسماليين ذاتهم دفعوهم لاحضانها بطريقة مجنونة: إذ أن الاثرياء رفضوا كل محاولات تحسين اوضاع العمال، سواء أكان الهدف تحسين الاوضاع الصحية فى المصانع عبر تطوير الآلات، أو منع عمالة الاطفال، أو حماية المرأة الفقيرة أثناء فترة الحمل. وقد كان رفض هذه الافكار مخزيا بالفعل، ودفع العمال لأحضان اليسار. ولن تستطيع الرأسمالية ابدا التحرر من اضرار رفضها للاصلاح الذى بذر الكراهية بين الغنى والفقير ودفع بالعمال إلى الأحزاب اليسارية. خلال تلك الفترة، رفضت أيضاً اتحادات العمال، وإن كنت خاطئا فى هذا الاتجاه. ففى سن العشرين عرفت أن الاتحاد العمالى سعى للدفاع عن الحقوق الاجتماعية لهذه الطبقة، وإن هدفه الاساسى كان تحسين اوضاعها الاجتماعة. فالعامل لا يستطيع أن ما رضى بعمله، استبداله بآخر. فإما أن يكون تحسين الاوضاع الاجتماعية فى مصلحة المجتمع أو لا يكون. وإن كان، فلابد من الصراع لتحسين هذه الاوضاع. ولكن العامل لا يقدر وحيدا على مواجهة قوة الرأسمالى الثرى. ولذلك كانت الاتحادات ضرورية. ولكنها منذ بدايات القرن العشرين بدأت تفقد دورها الاجتماعى الاساسى، ومع مرور الاعوام تحولت إلى سلاح تستخدمه الأحزاب الشيوعية فى صراعها الطبقى. وهكذا بات هدفها تدمير اقتصاد المجتمع، وتغييره، بدلا من اصلاح الاوضاع السيئة ـ التى كان اصلاحها خطرا إذ أنه قد يقنع العمال بتقبل اوضاعهم، ولا يسمح للشيوعيين باستغلالهم بذات الطريقة البشعة. تطلع زعماء الاتحادات بخوف لإمكانيات الاصلاح لدرجة أنهم رفضوا أى محاولة للتغيير للافضل، وهاجموها بقسوة شديدة. ثم تقدموا بطلبات مستحيلة ما كان للرأسماليين بد من رفضها، ثم ادعوا أن هناك مؤامرة لتدمير العمال واستغلالهم. ونظرا لضعف قدرات هذه الطبقة الفكرية، ما كان النجاح صعبا.

وهكذا عرفت طبيعة العلاقة بين هذه العقيدة المدمرة والطبائع الحقيقية لأناس ما عرفت بعد أى شىء عنهم. وقد كانت معرفتى باليهود فقط هى ما اوضح لى الطبيعة الحقيقية الخفية لنشاطات اتحادات العمال، الديمقراطية ظاهرا، الشيوعية فى الخفاء.

لا اذكر بالضبط متى بدأت بالتفكير بشكل جدى بالقضية اليهودية. لا اعتقد اننى استمعت لهذه الكلمة فى منزلنا أثناء طفولتى. اعتقد أن والدى كان سيتضايق من الاهتمام بهذه القضية بل ويعتبر التركيز عليها نوعا من انواع التخلف. وبسبب تجاربه المختلفة، وصل لنوع من العالمية التى بالرغم من وطنيته، اثرت على بشكل ما. وما رأيت فى المدرسة ما دفعنى لتغيير افكارى. واتذكر الآن وجود شاب يهودى معنا فى المدرسة، ولم نكن نثق به بسبب تسريبه للأخبار من شخص لاخر. ولكن هذا لم يدفعنى للتفكير بالامر بشكل جدى.

فى سن الخامسة عشر، استمعت لحوارات دينية وسياسية تناولت القضية اليهودية، ولكنى ضقت ذرعا بها نظرا لطبيعتها الدينية. كان هناك بعض اليهود فى لينز. ومع مرور القرون، تغيرت طباعهم ومظهرهم لدرجة اننى اعتبرتهم ألماناً. ياللبلاهة! تصورت أنه لا فرق بيننا وبينهم سوى الدين. حقيقة معاناتهم للاضطهاد بسبب دينهم، كما تصورت واهما، دفعتنى للغضب حين سمعت الناس ينتقدونهم.

ثم جئت إلى فيينا

وبسبب اهتمامى بالمعمار والصعاب التى واجهتها، لم ألاحظ وجود مئتا ألف يهودى بين المليونين الذين يقطنونها. غمرتنى الافكار والقيم الجديدة، وفقط مع عودة الوعى والتروى وضحت الرؤية. فى البداية،

أغضبتنى للغاية انتقادات بعض الصحف المحلية لليهود، وتصورت أنها راجعة لتطرف العصور الوسيطة. وبما أن المجلات المعنية ما كانت حسنة السمعة، تصورت أن القضية لا تزيد عن كراهية وحسد. واكد صحة هذا الرأى الاسلوب النبيل الذى استخدمته الصحف الكبيرة فى الرد على هذه الاتهامات، أو رفضها احياناً كثيرة مجرد التعليق عليها، وقتلها بالصمت المطبق.

قرأت الصحافة الدولية واذهلنى وسع افقها ومواضيع مقالاتها. احترمت سموها الفكرى، وإن ضايقنى احيانا ما اعتبرته نوع من النفاق على حساب الحقيقة. فقد رأيت مغازلة هذه الصحف للسلطة. وما حدث امر يتعلق بالحكومة، إلا ووصفوه بحماس منقطع النظير. وفى ذات الان، كانوا احيانا يهاجمون الحكومة القيصرية فى ألمانيا. كانت موضوعيتهم إذا عبارة عن احترام مصطنع لاتفاقية بين دولتين. شعرت بسطحية هذه الصحافة، وبدأت ألاحظ نقاط ضعفها. قرأتها الآن بحذر، ولاحظت أن الصحافة المعادية لليهود، كانت أكثر صراحة احيانا. بل إن بعض ما نشر على الصفحات الاخيرة كان يدفع للتفكير.

وفى يوم لاحظت يهوديا فى شوارع فيينا وتطلعت له متسائلا: هل هذا الرجل ألمانى؟ كالعادة قمت بالقراءة عن هذا الموضوع، وكانت الكتب سيئة السيئة. الكتاب تصوروا أن القارئ يعرف كل ما هو ضرورى عن اساسيات الموضوع، وجله قدم افكارا غير علمية البتة. تراجعت، وخشيت أن تتكون لدى اراء غير عادلة بهذا الشأن.

ما بات واضحا لى هو أن اليهود ما كانوا ألماناً، بل شعبا خاصا. فمنذ أن بدأت بدراسة الموضوع بت ألاحظهم. وكانت تصرفاتهم وأخلاقياتهم

واشكالهم تخالف تماما الألمان العاديين. بل اننى عرفت أن هناك بينهم حركة تدعى الصهيونية تؤكد على أنهم شعب خاص. وكان واضحا أن بعضهم وافقوا على هذه الفكرة، وعارضها آخرون. ولكن المعارضين للصهيونية بدوا لى كاذبين لأنهم ما رفضوا الصهاينة كمارقين، بل كيهود يقدمون افكارا خطيرة واساليب ضارة للتعبير عن هويتهم الدينية. وهكذا كانوا جميعا جسدا واحدا، الصهاينة وغيرهم.

خلال فترة قصيرة تقززت من الحوار بين اليهود الصهاينة واليهود غير الصهاينة لأن الحوار بدا لى مبنيا على خداع كاذب لا يتلاءم مع السمو الخلقى والطهارة التى يدعيها الشعب المختار لنفسه.

ثم لاحظت أيضاً الدور الذى يلعبونه فى الحياة الثقافية ولا ادرى هل يوجد أى نوع من انواع الفساد الاخلاقى والثقافى بدون أن يكون احدهم وراءه. ولاحظت دورهم فى الصحافة، الفن، الادب، المسرح. لم احتج سوى لقراءة الاسماء وراء كل انتاج يسعى لهدم البنية الاخلاقية للمجتمع، وفى جميع الميادين. إن انتجت الطبيعة واحدا مثل جوته، فهناك مقابله آلاف من هؤلاء الذين يبثون السموم فى ارواح الناس. وبدا كأن الطبيعة قد خلقت اليهود للقيام بمثل هذه الادوار.

تسعة اعشار القدرات فى ميدانى الادب والمسرح انتجها الشعب المختار، وهم لا يزيدون عن ١٪ من السكان. اما الصحافة الدولية التى احببتها يوما فكان غالب كتابها منهم. ادركت الآن أن اسلوبهم الموضوعى فى الرد على مهاجميهم، والتزامهم الصمت احيانا، ما كانا سوى خداعا يهدف للسيطرة على الناس. لاحظت أن الأعمال المسرحية والادبية التى يمتدحونها هى التى يقدمها اليهود، اما الأعمال الادبية الألمانية،

فانتقدوها دائماً بقسوة بالغة. ما اختبأ وراء الموضوعية المصطنعة كان العداوة الشديدة لكل ما هو ألمانى.

ولكن، لمصلحة من كان كل هذا؟

هل كان كله محض صدفة؟

بت غير واثق شيئا فشىء.

ثم لاحظت الاخلاقيات اليهودية فى الشارع. علاقتهم بالدعارة، بل وباستعباد البيض، كان واضحا جدا فى فيينا. وهكذا حين ادركت أن اليهودى هو ذلك المرابى البارد القلب، المنعدم الحياء، الذى يستثمر امواله فى هذه التجارة الفاسدة التى تدمر المجتمع، ارتعشت اطراف جسدى.

بدأت بمناقشة القضية اليهودية، وتعودت أن أراهم فى مختلف فروع الحياة الثقافية. ولم استغرب حين عرفت أن زعيم الحزب الديمقراطى الذى تحدثت عنه اعلاه كان يهوديا.

وحتى فى علاقاتى اليومية مع العمال، لاحظت قدراتهم المذهلة على تقبل آراء متعاكسة، متذبذبين بين اتجاه واخر احيانا خلال ساعات أو أيام محدودة. لم استطع أن افهم كيف يمكن لأناس، حين تتحدث مع احدهم، يبدو لك منطقيا واقعيا، أن يتحول فجأة تحت تأثير رفاقه لاراء معاكسة لكل منطق. احيانا شعرت باليأس التام المطبق. فبعد ساعات قضيتها فى حوار مضنى، شعرت باننى ساعدت فى تحرير احدهم من هراء آمن به، وسعدت لنجاحى، ولكنى سمعته يكرر ذات الهراء ثانية صباح اليوم التالى، وذهب جهدى هباء.

فهمت أنهم ما كانوا قانعين باوضاعهم وبغضوا القدر الذى عاملهم بقسوة شديدة، والرجال الذين بخسوهم الاجر وما فهموا معاناتهم، وانهم

تظاهروا ضد ارتفاع الاسعار، كل هذا كان مفهوما. ولكن ما لا افهمه كان كراهيتهم لجنسهم ووطنهم، واحتقارهم له، وتدميرهم لتاريخه. كان هذا الصراع ضد جنسهم وقبائلهم وبلادهم تدميرا للذات. وإن أمكن معالجتهم منه، فلساعات محدودة.

ثم لاحظت أن صحافة الديمقراطيين تحكم فيها اليهود: ومع أن ظروف العمل فى هذه الصحف شابهت غيرها، إلا اننى لم اجد بينها واحدة يمكن اعتبارها حسب رؤيتى الخاصة وطنية. كانت الصحافة التى يديرها اليهود شيوعية فى العادة، واسعدنى هذا. إذ عرفت أن الحزب الذى كنت اتصارع معه منذ شهور كان اجنبيا، فاليهود ما كانوا ابدا ألماناً.

عرفت الآن من أغوى شعبنا لطريق الضلال.

عرفت أيضاً أن انقاذه ممكن.

اما اليهودى، فآرائه الضالة لا تتغير ابدا.

فقد حاولت آنذاك مناقشتهم: تحدثت كثيرا واوضحت شرور الفكر الماركسى، ولكن بلا فائدة سوى أن يبح صوتى. واحيانا، حين نجحت فى اصابة احدهم بضربة فكرية مميتة، وشاهد جميع السامعين هذا، واضطر غريمك للموافقة، فإنه سيعود صباح اليوم التالى لمواقفه ذاتها، وكأن أى تغيير لم يحدث.

وكان لكل هذا فائدة: فكلما فهمت اساليب اليهود وخداعهم بشكل افضل، زاد عطفى على العمال وادركت أنهم ضحايا لهذه الاساليب وإغوائها.

تراجعت عن الافكار الدولية وبت ناقما على اليهود. وحين درست نشاطاتهم عبر القرون، تساءلت: هل كتب القدر لهم التوفيق والسيطرة

على الآخرين، لاسباب لا نعرفها؟ هل يمكن أن يكون النصر حليفا لأمة ما عاشت إلا للدنيا؟

تفكرت مرة اخرى فى عقائد الماركسية. وتعلمت اشياء جديدة: إن هذه العقيدة ترفض فكرة الصفوة الأرستقراطية الموجودة فى الطبيعة وتستبدل القوة الفكرية بالكثرة العددية. وهى لهذا السبب ترفض أى قيمة فردية، وتعأرض الفكر القومى، وتسحب من الانسانية ثقافتها. إنها فكرة كفيلة بتدمير أى حضارة، وإن انتصر اليهودى بمعونة هذا الفكر، فإن نصره سيكون الدمار النهائى للانسانية.

ولذلك أشعر اننى اتصرف بمعاونة الخالق العظيم ومن أجل تحقيق اهدافه السامية لمصلحة البشرية حين ادافع عن نفسى ضد اليهودية وأعلن الحرب عليها.

مفتاح الاشتراكية

بعد أن تبينت حقيقة الاشتراكية الديمقراطية على ضوء الحوادث، انكببت على دراسة نظريات أئمة هذه الحركة، فاستحوذ على قلق شديد، إذ وجدتنى أمام عقيدة مستوحاة من الانانية والحقد، عقيدة يعنى انتصارها تسديد ضربة قاضية إلى البشرية، وما لبثت أن اكتشفت قيام صلة بل صلات وثيقة بين هذه العقيدة الخطرة وبين المبادئ التى يروج لها اليهود، وادركت مع الايام أن المرامى البعيدة للحركة الاشتراكية الديمقراطية هى نفسها المرامى التى لليهود كشعب، ولليهود كدين، وللصهيونية كحركة سياسية قومية فى حداثتى كنت اعتبر يهود بلادى مواطنين، ولا اقيم كبير وزن لاختلاف الدين والعادات، وفى "لانز" وبخت صديقا لى لانه اهان تلميذا يهوديا لانه يهودى، وظلت هذه نظرتى إلى

اليهود إلى أن انتقلت إلى "فيينا"، وتوفرت لى دراسة هذا العالم الجديد فبرزت امامى المسألة اليهودية فى زحمة المسائل التى كانت تواجه النمسا، حكومة وشعبا، وقد تبينت هذه المسألة بادئ ذى بدء من خلال حملات الصحف المعادية للسامية، ولكنى رددت هذه الحملات إلى التعصب الاعمى، ولاحظت أن الصحف التى تهاجم اليهود ضعيفة الرواج، وإن الصحف الكبرى ترد عليها باسلوب رصين، أو تتجاهل حملاتها وقد كان لهذه الرصانة وقعها الحسن فى نفسى، فقاطعت الصحف الثانوية لاطالع تلك التى اصطلح على تسميتها "الصحف العالمية" أو الكبرى، ولكن سرعان ما أمضنى منها تزلفها إلى السلطة وحملاتها العنيفة على الرايخ والامبراطور غليوم الثانى الذى كنت معجبا به لمهره ألمانيا باسطول بحرى من الطراز الأول، وأمضنى من الصحافة الكبرى كذلك عطفها على فرنسا واعجابها بها ونعتها اياها "بالأمة المتمدنة" وقد تساءلت وانا ألمس هذه الاتجاهات غير الألمانية:

لمصلحة من تعمل هذه الصحف.. ومن هو موجهها؟ فجاءنى الجواب فى الوقت الذى بدت لى اليهودية على حقيقتها كنت اعتبر اليهود مواطنين لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ولكن اختلاطى باعداء السامية من مفكرين وساسة جعلنى اشد تحفظا فى الحكم على اعداء اليهود وما لبثت أن وجدتنى فى عداد المعنيين بالمسألة اليهودية بعد أن لمست بنفسى تكتل الإسرائيليين وتجمعهم فى حى واحد من احياء فيينا، ومحافظتهم الشديدة على تقاليدهم وعاداتهم وطقوسهم، وقد زاد فى اهتمامى بمسألتهم ظهور الحركة الصهيونية وانقسام يهود فيينا إلى فئتين:

فئة تحبذ الحركة الجديدة وتدعو لها وفئة تشجبها، وقد اطلق خصوم الصهيونية على انفسهم اسم "اليهود الاحرار" إلا أن انقسامهم هذا لم

يؤثر فى التضامن القائم بينهم مما حملنى على الاعتقاد أن انقسامهم مصطنع وانهم يلعبون لعبتهم، لا فى النمسا فحسب، بل فى العالم كله، وهى لعبة سداها ولحمتها الكذب والرياء مما يتنافى والطهارة الخلقية، طهارة الذيل التى يدعيها اليهود.

وطهارة الذيل هذه، وكل طهارة اخرى يدعيها اليهود، هى ذات طابع خاص، فبعدهم عن النظافة البعد كله امر يصدم النظر، منذ أن تقع العين على يهودى، وقد اضطررت لسد أنفى فى كل مرة التقى احد لابسى القفطان، لأن الرائحة التى تنبعث من أردائهم تنم عن العداء المستحكم بينهم وبين الماء والصابون ولكن قذارتهم المادية ليست شيئا مذكورا بالنسبة إلى قذارة نفوسهم، فقد اكتشفت مع الايام أن ما من فعل مغاير للاخلاق، وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود فيها يد، واستطعت أن اقيس مدى تأثير "الشعب المختار" فى تسميم افكار الشعب وتخديره وشل حيويته، بتتبعى نشاطه فى الصحف وفى ميادين الفنون والاداب والتمثيل، فقد امتد الإخطبوط اليهودى إلى هذه الميادين جميعا وفرض سيطرته عليها ووسمها بطابعه، فمعظم المؤلفين يهود ومثلهم الناشرون والفنانون... الخ، وهذا التغلغل فى كل ميدان من ميادين النشاط التوجيهى يشكل طاعونا خلقيا ادهى من الطاعون الاسود واشد فتكا، ذلك أن تسعة اعشار المؤلفات والنشرات والمسرحيات واللوحات الفنية التى تروج للاباحية المطلقة وللماركسية هى من صنع اليهود.

اما الصحافة "الكبرى" التى استثارت اعجابى برصانتها وترفعها على الرد على حملات الصحف المعادية للسامية، اما هذه الصحافة فمعظم محرريها وموجهيها من ابناء "الشعب المختار"، وبعد اكتشافى هذه الحقيقة ادركت مدى تأثير اليهودى فى توجيه الرأى العام الوجهة التى تتلاءم

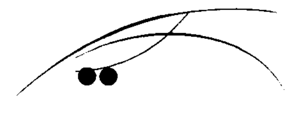
ومصالحهم كشعب له مميزاته وكطائفة دينية ذات أهداف بعيدة، فالنقد المسرحى فى الصحف التى يحررها أو يشترك فى تحريرها يهود يرفع من شأن ابناء جنسهم من محترفى التمثيل والمؤلفين المسرحيين ويحط من قيمة زملائهم الألمان، والمقالات السياسية إذ تمجد آل هاسبورغ لغاية فى النفس وتكيل المديح لفرنسا دونما حساب، تهاجم دونما هوادة غليوم الثانى وحكومته عجل فى بلورة موقفى من اليهود تكالبهم على جمع المال وسلوك معظمهم السبل الملتوية لبلوغ هذه الغاية، وقد طالعنى الشارع بحقائق لم تخطر لى ببال، منها الدور الذى يمثله "الشعب المختار" فى ترويج سوق الدعارة وفى الاتجار بالرقيق الابيض، وهذا الدور الذى يؤديه "ابطاله" بمهارة لم ينتبه إلى خطورته الشعب الألمانى إلا فى الحرب العالمية الكبرى، اما انا فقد سرت القشعريرة فى جسدى عندما اكتشفت أن اليهودى، هذا المخلوق الوديع، هو الذى يستثمر البغاء السرى والعلنى التى توفر الادلة على اجرام اليهود بحق الوطن والمجتمع، ورحت اتتبع خطاهم فى ميادين النشاط المختلفة، وإذا بى اصطدم بهم حيث لم يدر فى خلدى انى واجدهم، فقد تبين لى أن اليهود يتزعمون الحركة الاشتراكية الديمقراطية، ويسيطرون على صحفها، ويوجهون النقابات المنضوية تحت لوائها، فمعظم النواب الاشتراكيين الديمقراطيين يهود ورؤساء النقابات جميعهم يهود ومنهم كذلك قادة التظاهرات ومدبروا أعمال الشغب، ومنهم رؤساء تحرير صحف الحزب ومحرروها البارزون. إذن فالحزب الكبير الذى يتلاعب بمقدرات البلاد هو ألعوبة بين يدى شعب اجنبى، لأن اليهودى، وهو من هو، لا يمكن أن يكون ألمانيا بحال من الاحوال وهكذا اكتشفت أخيراً الروح الشرير الذى يقعد بشعبنا عن مسايرة ركب التقدم.

■ ■ ■





كتاب غير معروف..
الولايات المتحدة هى العدو





بعد يناير (كانون الثانى) ١٩٣٣ لم يكتب هتلر إلا القليل. فبغض النظر عن بعض الكتابات القصيرة التى تتعلق بمواضيع خاصة، فإن مذكرة خطة السنوات الاربع لعام ١٩٣٦ وميثاقه السياسى لعام ١٩٤٥ يعتبران النصين الأساسيين الوحيدين له. وما قبل عام ١٩٣٣ فإنه على العكس كان مؤلفا مكثارا. فقد كتب العديد من المقالات النازية لصحيفة الحزب النازى "فويكشر بأوباختر" ومجلدى كتابه "كفاحى"، إضافة إلى مؤلفه الثانى الذى يطلق عليه "الكتاب الثانى" لم ينشر اطلاقا أثناء حياة هلتر. أنه مسودة اكتشفت بعد الحرب من قبل غير هاردل. فاينبرغ فى ثنايا الارشيفات الألمانية التى تم الاستيلاء عليها وقام بنشره عام , ١٩٦١ فى نفس العام ظهرت له ترجمة إنجليزية، لكنها رديئة، وحملت عنوانا غير ملائم "كتاب هتلر السرى"، إلا أن النسخة الحالية هى ترجمة جديدة وجيدة قدمت لها كرستا سميث وحررها البروفيسور الذى اكتشفها بنفسه غير هاردل. فاينبرغ.

يثير الكتاب طرح ثلاثة أسئلة: لماذا كتبه هتلر؟ ما الذى يكشف عن هتلر وافعاله اللاحقة إن وجدت؟ ولماذا لم يقم بنشره. اما الاجابة عن السؤال الأول فإنهاتكمن فى تاريخ تأليفه. فقد افلح فاينبرغ بتدوين تاريخ

المسودة بشكل لا يقبل الشك واحالته إلى اواخر شهر يونيو (حزيران) وبداية يوليو (تموز) من عام ١٩٢٨. فى شهر مايو (آيار) كان النازيون يخوضون انتخابات عامة لم يحققوا فيها - رغم بعض النجاحات المحلية - إلا ٢,٨ بالمائة من الاصوات. وخلال الايام الاخيرة من الحملة استغل مناوئوا الحزب مسألة جنوب التيرول التى كانت تستثير الجمهور الألمانى خلال الاشهر الأولى من عام ١٩٢٨ والتى تعامل معها النازى تعاملا شعبيا.

ومسألة جنوب التيرول، وهى منطقة ألمانية، تكمن فى أنها مُنحت إلى إيطاليا وفق معاهدة سانت - جيرمان عام ١٩١٩. وفى فبراير (شباط) ١٩٢٨ ادخلت حكومة موسولينى اللغة الإيطالية فى التعاليم الدينية لهذه المنطقة، الأمر الذى أدى إلى نشوب حرب كلامية مع النمسا، وكذلك اثارة حفيظة الصحافة والرأى العام الألمانيين.

ومنذ عام ١٩٢٢ كان هتلر دائماً ما يعبر عن وجهة نظره بأن جنوب التيرول ينبغى، بحكم الضرورة، التضحية به من أجل الحاجة الماسة لكسب إيطاليا كحليفة ضد فرنسا. فى نفس الوقت كان هتلر يدرك تماما عدم شعبية هذا الرأى فى صفوف الطيف السياسى المتعدد. وعلى اية حال، فإن ما له دلالة أن هتلر لم يكن مهيأ للمساومة على موضوع كان يعتبر مركزيا بالنسبة لكل سياسته الخارجية لاجل الاغراض الانتخابية. ومع ذلك فإن هتلر كان محبطا بشدة حول حقيقة حالته التى تضع مؤيديه القوميين على اليمين، فيما يضع مناوئيه على اليسار يطرحون انفسهم كوطنيين مدافعين عن العرق الألمانى لجنوب التيرول، متهمينه وحزبه بخيانتهما لهم. وفى الواقع فإن هتلر اتهم خلال الانتخابات حتى من قبل الاشتراكيين بتسلم الاموال من موسولينى وهى

تهمة حاول أن يفندها ويبررها خلال الاجتماعات. أن احباطه ظهر فى "الكتاب الثانى" من خلال تهجمه على "البرجوازيين القوميين" وعلى "هرطقة اليسار". عام ١٩٢٦ كان هتلر قد نشر فصلا من كتابه "كفاحى" يتناول سياسة التحالف بعنوان "مسألة جنوب التيرول ومشكلة التحالف الألمانى"، وكانت احداث بداية عام ١٩٢٨ قد اقنعته بشكل واضح بالحاجة إلى نشر المزيد من المقالات التى تدافع بضراوة عن موقفه.

"الكتاب الثانى" هو فى الاساس تطوير افكار السياسة الخارجية التى دونها هتلر بشكل مختصر فى الفصل الرابع من المجلد الأول والفصل الثالث عشر والرابع عشر من المجلد الثانى لكتاب "كفاحى" مع تركيز خاص على مسألة جنوب التيرول. بدءا مع إعادة تقرير مبادئ رؤى هتلر للعالم، فإن الكتاب يحتوى على نقد شامل للسياسة الخارجية التى اتبعتها ألمانيا منذ عام ١٨٩٠, قيمة الكتاب تكمن فى جزء منها فى عرض القوة والصلابة التى يتمسك بها هتلر ازاء مبادئه الأيديولوجية الاساسية. يقدم هتلر وبشكل له دلالاته ومعانيه حجما جديدة تتعلق بالولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، اضافة إلى اهم المواضيع الحاسمة لسياسته الخارجية مع بريطانيا ومواضيع كان قد طورها أثناء إلقاء خطبه وكتابة مقالاته خلال عامى ١٩٢٦-١٩٢٨.

عمل هتلر على أرضية جغرافية زوده بها الجغرافى فريدريش راتسل (١٨٤٤-١٩٠٤) وطورت من قبل العالم السياسى - الجغرافى كارل هاو سهوفر والتى تقول بان الامم بحاجة إلى "المجال الحيوى" إذا لم ترد أن تنتهى إلى الأفول. مثل هذه الأمة اصبحت جزءا من اجندة ألمانيا الشاملة لما قبل عام ١٩١٤ وكذلك الدعوة إلى أن فرنسا تمثل العدو اللدود الذى يقف أمام التوسع الألمانى.

فقبل عام ١٩١٤ كانت ألمانيا تواجه خيارين أو بديلين: إما إتباع سياسة التجارة العالمية، أى توفر مستعمرات واسطول كبير، أو _وهذا ما كان يفضله هتلر _اكتساب أراض فى أوروبا على حساب روسيا. ولاتباع أى من هاتين الاستراتيجيتين يتطلب من ألمانيا سلوك سياسة التحالف. من دون شك فإن الخيار الأول يؤدى إلى المواجهة مع بريطانيا، ويستلزم التحالف مع روسيا وبالتالى فك التحالف القائم مع النمسا. اما الخيار الثانى فإنه يتطلب الاتحاد مع بريطانيا. فى هذا الصدد يكتب هتلر "ليست هناك تضحية كبيرة فى كسب رضى بريطانيا. علينا التخلى عن السياسة الكولونيالية والقوة البحرية وتخضع الصناعة الإنجليزية لمنافستنا". عمليا اتبعت ألمانيا الاستراتيجية الثانية ومن دون التخلى عن تحالفها مع النمسا، ثم وضعت نفسها بين الكراسى" متحالفة مع روسيا وايطاليا وكذلك بريطانيا، فيما بقيت فرنسا تمثل العدو على جميع الأصعدة.

فى "كفاحى" كان هتلر قد وصف الحالة الدبلوماسية الاستراتيجية الألمانية بعد عام١٩١٨ بتلك التى كانت قائمة ما قبل عام ١٩١٤: بقيت فرنسا تمثل العدو اللدود وروسيا "المجال الحيوى" المفضل، وايطاليا وبريطانيا الحليفتين المفضلتين. اضافة إلى ذلك ظهرت استراتيجية أكثر تلاؤما حتى من تلك التى كانت قبل عام ١٩١٤ إذ أن الثورة البلشفية فى روسيا والتى اعتبر هتلر اليهود مسؤولين عنها اضافت بعدا جديدا للرغبة فى التوجه ضد روسيا فى استبدال التحالف النمساوى ـ الهنغارى بواسطة مجموعة الأمم الجديدة التى ترتبط بفرنسا يعزز من الحاجة إلى التحالف مع إيطاليا وبريطانيا. كما أن هتلر كان يعتقد بأن حالة ما بعد الحرب قد حسنت من صورة ألمانيا، بحيث أن موقع فرنسا شبه الاحتلالى فى أوروبا ما بعد الحرب سوف يجعل إيطاليا وبريطانيا أكثر

ميلا للتحالف مع ألمانيا. فى "الكتاب الثانى" يؤكد هتلر هذه المرتكزات وذلك بالإشارة إلى أن حاجة إيطاليا إلى المجال الحيوى بسبب نقصها فى مصادر الثروة الطبيعية لا تتعارض مع المصالح الألمانية، فى حين أنها تتعارض مع مصالح فرنسا "إن ما يعنيه البحر المتوسط بالنسبة لإيطاليا هو نفس ما يعنيه شاطئ بحر البلطيق بالنسبة لألمانيا". لذلك فإن جنوب التيرول كان يجب أن يضحى به من أجل التحالف مع إيطاليا ضد فرنسا التى سيؤدى دحرها إلى فتح الطريق أمام "المجال الحيوى" فى الشرق. فى ذات الوقت اشار هتلر إلى أن التجاء ألمانيا للتحالف مع بريطانيا سوف يعزز بسبب التهديد الآتى من بروز الولايات المتحدة الأمريكية الجديد، وبصرف النظر عن اهميته كتأكيد على صلابة اراء هتلر الاساسية واهدافه فإنه فى هذين الموضوعين، موقف هتلر من الولايات المتحدة الأمريكية وعلاقة ألمانيا مع بريطانيا، تكمن الاهمية الجوهرية لـ"الكتاب الثانى".

فى "كفاحى" وصف هتلر الولايات المتحدة على أنها "الدولة العملاقة" ورأى فى بروزها تهديدا لبريطانيا. اما فى "الكتاب الثانى"، فإنه يزعم أنه "مع الاتحاد الأمريكى ظهر عامل قوة جديد على الميزان الذى يهدد بإلغاء كل علاقات الدول والسلطات" وأن "موقع أمريكا التسلطى قد حدد اساسا من قبل نوعية الشعب الأمريكى وثانيا بسبب مجالها الحيوى".

ان هذا الرأى حول الشعب الأمريكى والذى يعود إلى عام ١٩٢٨ يختلف تماما عن رأى هتلر فى السابع من يناير (كانون الثانى) ١٩٤٢ حينما قال لبطانته "اننى لا أرى مستقبلا جيدا للأمريكيين. فى اعتقادى أنه شعب منخور.. كل شىء يتعلق بسلوك المجتمع الأمريكى يكشف أن نصفه متهور ونصفه الآخر متسود".

بعد ذلك يعرج هتلر على السؤال المتعلق بموقع أمريكا التهديدى باعتبارها "موقع القوة المهدد" ثم يبدى ازدراءه للمحاولة التى ظهرت على يد مكتشف الاتحاد الأوروبى الكونت النمساوى غوتنهوف ـ كاليرغى الذى اوجد فكرة أوروبا الاتحادية "من خلال اتحاد رسمى لجميع الشعوب الأوروبية". منذ أن حدد هتلر موقع الولايات المتحدة الأمريكية بشكل مبدئى على اساس نوعية شعبها فإنه لا يمكن جديا تحديها بواسطة "دولة باسيفيكية، ديمقراطية، أوروبية شاملة". مثل هذا الاتحاد سوف يقود، كما يقول هتلر إلى "كيان كل قوته وطاقته يمكن أن تستهلك من قبل الفرقاء الراحلين" أى كما حدث للاتحاد الألمانى عام ١٨١٥-١٨٦٦. يعتقد هتلر أن الاتحادات الراسخة يمكن فقط أن توجد حينما تكون الامم المشاركة فيها من نفس نوعية الجنس وذات صلة قرابة، وحينما يأخذ الاتحاد شكل كفاح تدريجى من أجل سلطة ذات طولة واحدة مهيمنة مع بروسيا فى ألمانيا. مثل هذا الاتحاد يمكن أن يتطلب قرونا من الزمن وهو اتحاد مخالف جدا لذلك الذى يريد به الاتحاد الأوروبى الشامل، كما أن محصلته النهائية "ستعبر عن الانحطاط العنصرى لمؤسسيه". ويرى هتلر بأن الدولة الوحيدة القادرة على الوقوف بوجه شمال افريقيا ستكون الوحيدة التى "ستنشر القيم العنصرية لشعبها" بعد ذلك يؤكد أنه "من واجب الحركة الوطنية الاشتراكية أن تدعم وتهيئ وطننا الأم إلى اقصى الحدود الممكنة لهذه المهمة" وفى هذا يشير هتلر لأول مرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها العدو المستقبلى.

يؤكد هتلر أن "رغبة انجلترا كانت وستظل هى منع ظهور القوة الأوروبية وتحولها إلى قوة سياسية عالمية" ذلك ما يعنى الحفاظ على

توازن قوى معين بين الدول الأوروبية. وفى إشارة هتلر هذه يظهر الافتراض المسبق حول السيطرة العالمية البريطانية. لهذا السبب استجاب هتلر إلى الحجة التى تقول بأن بريطانيا سوف لن تقبل ابدا بهيمنة ألمانية على القارة الأوروبية. واستنادا إلى ادلته المؤسسة على فهمه للتاريخ يزعم هتلر أن بريطانيا لم تكن تهتم كثيرا بالشؤون الأوروبية طالما لم يظهر هناك منافس أوروبى و"كانت دائماً ترى أن التهديد يكمن فقط فى دائرة التطور الذى سيحدث ذات يوم ويعيق اساطيلها وهيمنتها الاستعمارية". ثم يستشهد بعلاقة بريطانيا مع بروسيا فى القرن الثانى عشر لكى يدعم رأيه هذا. وبتكرار الفقرة الواردة فى كتاب "كفاحى"، حول سياسة ألمانيا قبل الحرب ووصف البحرية الألمانية على أنها "فى النهاية ليست إلا لعبة مسلية"، فإن هتلر يصر فى "الكتاب الثانى" على أنه "اذا قامت ألمانيا بإعادة توجه سياسى اساسى ووجدت أنه لم يعد هناك تعأرض مع مصالح انجلترا البحرية والتجارية، ولكن بدلا عن ذلك تحديد نفسها إزاء الاهداف الأوروبية، عندئذ ينتفى وجود اساس منطقى للعداء الانجليزى الذى سيكون عداء من أجل العداء ليس إلا".

اخيرا، لا يبدو من الواضح لِم لم ينشر هتلر "كتابه الثانى" أثناء حياته. فلعله نُصح من قبل ناشره بعد نشر الكتاب على اساس أن كتابه الأول "كفاحى" لم يحقق مبيعات جيدة فى حينه. أو ربما شعر بعدم وجود مبرر كبير لنشره أو بسبب هجومات الكتاب غير المثمرة على "البرجوازية الوطنية"، ولكن أياً كانت الاسباب فإنه من المفيد القاء نظرة على عقل هتلر وعلى تطور الافكار التى شكلت سياسته الخارجية بعد عام ١٩٣٣.

لماذا نتحدث عن هتلر؟

أدولف هتلر ديكتاتور ألمانيا الراحل كان يحمل فى صدره قلبا من صخر. هكذا قال عنه تشرشل السياسى البريطانى الذى قاد بلاده إلى النصر. فى الحرب العالمية الثانية....

ولكن هتلر كان له رأى آخر عن نفسه؟

لقد كتب فى مذكراته يقول:

لقد كانت دموعى طيعة، بكيت كثيرا ولكننى كنت احرص دائماً على أن ابكى وحدى بعيدا عن عيون رجال الرايخ الثالث كنت أذهب إلى حجرة مكتبى وأوصد الباب.. وعندما أتأكد أنه لم تعد هناك عين واحدة تراقبنى، أنفجر باكيا، كما يبكى الاطفال.... وما أكثر اللحظات التى أدمت قلبى وأسالت دموعى....

لقد بكيت عندما اندحرت قوات النازى أمام ابواب ستالنجراد....

وبكيت عندما تراجعت جيوشى أمام قوات الحلفاء فى نورماندى....

وبكيت أخيراً عندما مات روميل، بعد أن احس بالهزيمة التى احاقت برجاله.

ولكننى احسست بنهايتى عندما علمت أن ألمانيا قد استسلمت وانتهت..

وهو احساس لم ينتابنى طوال حياتى إلا مرة واحدة وذلك عندما ماتت أمى!..

قال هتلر بعد هذا فى مذكراته: (إن الحروب لا تدمر الشعوب، وانما الذى يقضى على الامم حقيقة هو فقدانها القدرة والصبر على الاستمرار فى المقاومة..... المقاومة من أجل الحياة).

كما قال هتلر:

الكفاح اساس الاشياء كلها. وما تقاس حياة الانسان بمبادئه الانسانية النظرية بل تقاس بمدى كفاحه ونضاله المرير الذى يضمن له حياة لائقة كانت فيينا بالنسبة لى مدرسة صعبة ولكنها علمتنى الدرس الاساسى فى حياتى.

ان مصير الأمة يمكن أن يحول فقط عن طريق عاصفة عاطفية متدفقة.

وليس سوى الاشخاص العاطفيين فقط قادرين على اثارة هذه العاطفة والتحكم فيها.

لكل شخص منا امنية وحيدة خاصة لهؤلاء الذين اتيحت لهم فرصة رؤية الوطن الام، فلسوف يجدونه مطهرا ونقيا من تأثير الغرباء عن طريق نهر الدم الذى يسيل يوميا فى مواجهتنا مع الاعداء العالميين وسترفع مكانة هويتنا المحلية.

حركتنا حركة وجود ألمانيا وإذا لم تحقق ذلك فسوف اضرب بعنف واحطم جماجمكم فى احد اجتماعات الحزب النازى.

كانت الحرب العالمية الأولى سببا جعلنى افكر فى كافة امور البشر لقد أعطتنى السنوات الاربع للحرب أكثر مما تعطيه ثلاثون سنة من الدراسة فى الجامعة فى مجال امور الحياة.

هناك بعض العناصر لا تستخدم زمن السلم، اما أيام الحرب والشغب فالامر مختلف. فقد كان النازيون فى نمو سريع وعندها صرت واثقا بقدرتى من تأسيس حزب يمتلك عناصر كهذه.

ان الشعب يريد شيئا يخاف منه، أنهم يريدون شيئا يرتجفون منه خوفا ,إنهم يريدون ما يفزعهم.

لقد اصبح الزعيم هو الحزب واصبح الحزب هو الزعيم، اننى اشعر وكأننى جزء من الحزب وإن الحزب جزء منى.

يجب أن يدفع التفكير المنطقى الحركة السياسية الى قتال منظم ضد اليهود والى انهاء إمتيازاتهم ويجب أن يكون هدفها النهائى ابعاد اليهود. إذ أن الحكومة الوطنية القومية التى تنطلق من هذين الهدفين هى الناجحة لا محالة وليست الحكومة الوطنية الضعيفة.

كان اليهودى يناضل من خلال اعتدائه على الفتيات والنسوة فى جهود منظمة لتحطيم حدود التمييز بينه وبين الناس. واليهود هم المسؤولون عن احضار الزنوج إلى أرض الراين ليحطوا من شأن العرق الابيض. هذا العرق الذى يكرهه اليهود وبهذا العمل يحطون من المستوى الثقافى والسياسى للبيض وبذلك يمكن للعرق اليهودى أن يسود.

ان المهمة الرئيسية للحملة الدعائية هى اقناع الجماهير الذين يحتاجون وقتا اضافيا لتفهم المعلومات لذلك لابد من التكرار المستمر لهذه المعلومات حتى تنجح أخيراً فى غرس الفكرة فى اذهانهم.

كانت الثمانى والاربعون ساعة التى تلت الزحف العسكرى الألمانى على بولنده من اشد ساعات حياتى تلفا للاعصاب.

يا إلهى اصبحت الآن اشعر بارتياح ازاء سير جميع الامور بسهولة أجل إن العالم ينتمى إلى رجل والله يساعده..

لم يعد بالإمكان احراز مزيد من النجاح دون اراقة للدماء إذ المسألة غدت مسألة غدت مسألة توسيع مدى لمجالنا الحيوى من جهة الشرق

لذلك لم يعد امر الاستغناء عن بولندا امر وارد ولهذا تركنا وقرارنا احرار فى مهاجمة بولندا عند أول فرصة سانحة.

بعد غزو ألمانيا للاتحاد السوفيتى قال:

اشعر وكأننى ادفع باب غرفة مظلمة محاولا فتحه لم ار مثلها قط جاهلا ما يخفيه هذا الباب وراءه.

قبل وفاته بقليل قال:

لم يعد لى شىء ولم يبق هناك اخلاص لى ولم يعد هناك شرف أحيا لأجله ولم تكن هناك حالة من اليأس إلا وعانيتها ولم تكن هناك حالة من الخيانة إلا وجربتها. فلم يبق شىء فقد حل بى كل ضيم.

هل كنا نحتاج إلى مثل هذه الاقوال لنؤكد اهمية نشر كلمات هتلر فى كتابه "كفاحى"؟

من المؤكد.. لا. فشخصية هتلر تبقى دائماً وأبداً الأكثر اثارة للجدل فى التاريخ الحديث كله.

فلنتأمل معا صفحات هذا الرجل.

■ ■ ■





صورة عامة



أدولف هتلر

المفكر

المثقف

الناقد

المستبصر

نعم لماذا الحديث عن هتلر.. الحديث عن رجل ديكتاتورى كما يصفه البعض ومتغطرس عند البعض الاخر.. وقدوة كذلك لدى اخرين.. بغض النظر عما ذكر سابقا يبقى للقارئ النظر فى الوجه الآخر لهتلر الرجل الذى حمل هم أمته الألمانية.. الذى كشف حقيقة اليهود.. وغير ذلك الكثير مما سيلاحظه القارئ.. وما عليك أخى الحبيب سوى أن تنظر إلى العالم من حولك بعد كل جملة سطرتها يد أدولف هتلر..

هتلر واليهود وحقيقة الاشتراكية

حقيقة الاشتراكية الديمقراطية: هى ضد الأمة (لأنها من صنع الطبقات الرأسمالية) وضد الوطن (لأنها اداة البرجوازية لاستغلال الطبقة الكادحة) وضد الشرائع لانها (اداة بيد الطبقة الحاكمة تستخدمها فى إرهاب "البروليتاريا") وضد المدرسة (المعدة لتنشئة الأرقاء وضحايا

الحروب التى تشنها الرأسمالية) وضد الدين لأنه (وسيلة لتخدير الشعب وإضعافه ليتسنى لمستغلى جهوده أن يستعبدوه إلى النهاية).

ادركت أن العنف والارهاب هما سلاح الاشتراكية الديمقراطية.. تشهره فى وجوه الذين لا يجارونها.. وإن تكتيكها فى محاربة خصومها يقوم على تشويه سمعتهم بحملة من التشنيع تحطم اعصابهم.

بعد أن تبينت حقيقة الاشتراكية الديمقراطية على ضوء الحوادث.. انكببت على دراسة نظريات أئمة هذه الحركة.. فاستحوذ علىّ قلق شديد إذ وجدتنى أمام عقيدة مستوحاة من الأنانية والحقد.. عقيدة يعنى انتصارها تسديد ضربة قاضية إلى البشرية.. وما لبثت أن اكتشفت قيام صلة بل صلات وثيقة بين هذه العقيدة الخطرة وبين المبادئ التى يروج لها اليهود.. وادركت مع الأيام أن المرامى البعيدة للحركة الاشتراكية الديمقراطية هى نفسها التى لليهود كشعب ولليهود كدين وللصهيونية كحركة سياسية قومية.

ان قذارة اليهود المادية ليست شيئا مذكورا بالنسبة إلى قذارة نفوسهم.. فقد اكتشفت مع الايام أن ما من فعل مغاير للاخلاق وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود فيها يد.

وقد طالعنى الشارع بحقائق لم تخطر لى ببال.. منها الدور الذى يمثله الشعب المختار فى ترويج سوق الدعارة وفى الاتجار بالرقيق الابيض.

وادركت أن اسلوبهم فى الجدل يقوم على قواعد خاصة هى: قواعد الديالكتيك اليهودى.. وقد استوقفنى من هذا الاسلوب اعتماد اليهود بادئ ذى بدء على بلاهة مناظرهم.. فإذا أخطأت فراستهم وضيق عليهم

الخصم الخناق تظاهروا بالبله واستحال عليه هو أن ينتزع منهم جوابا واضحا.. اما إذا اضطر أحدهم إلى التسليم بوجهة نظر الخصم بحضور بعض الشهود فإنه يتجاهل فى اليوم التالى ما كان من امره ويتظاهر بالعجب والدهش إذا جبهه الشهود بالحقيقة ويسترسل بالكذب ويذهب إلى حد الزعم أنه افحم خصمه بالحجة الدامغة فى اليوم السابق.. حقا إن اليهود هم اسياد الكلام واسياد الكذب.

بعد دراسة اخرى لعلاقة الماركسية باليهودية وضحت مرامى اليهود واهدافهم: اشاعة الفوضى والدمار فى العالم ليتسنى للشعب المختار أن يستغل هذه الحالة ويفرض مشيئته فى كل مكان.

ان كل خطأ سياسى وقع فيه المسؤولون الألمان منذ اواخر القرن الماضى حتى نشوب الحرب العالمية كان نتيجة تأثر الحكام بنصائح خدام الماركسية من يهود ومفكرين ضعاف النفوس عديمى الوطنية. واتقان الكذب ميزة من ميزات الشعب المختار.. أليس كيان هذا الشعب قائما على كذبة من العيار الثقيل.. هى زعم اليهود أنهم جماعة دينية مع أنهم فى الواقع جنس وأى جنس.

ليست لليهودى القدرة على الخلق والابداع.. وليست له بالتالى القدرة المثالية التى بدونها لا يمكن أن يتطور الانسان ويرتقى.. أما ذكاؤه فإنه ينزع دائماً إلى الهدم والتخريب.. وفى بعض الحالات النادرة يفعل اليهودى الخير وهو يحسبه شرا.. فيكون قد ساهم فى خدمة البشرية ولكن بالرغم عنه.

اليهود كانوا ولا يزالون طفيليات تزاحم الشعوب على مقومات وجودها. ولئن هجروا مناطق كانوا قد استوطنوها مئات السنين فقد

هجروها مرغمين.. تشيعهم لعنة الشعوب التى هبت تطردهم بعد أن تبرمت بهم وبخروجهم على اداب الضيافة.

ان اليهودى لا يفكر مطلقا فى براح مكان هو فيه.. وإذا اضطر للانتقال إلى مكان جديد فإنه يختار مكانا يؤمن له اسباب البقاء دون أن يتخلى عن طابعه الخاص فهو طفيلى وبديهى أن يكون له حيثما وجد التأثير للنبتة الطفيلية: فحيث يستقر اليهودى لا يلبث الشعب الذى فتح له ذراعيه أن يتلاشى ويضمحل.

وهكذا عاش اليهودى فى كل عصر ومصر.. عاش عالة على الشعوب الاخرى.. وكان يؤسس دولته الخاصة ويخفيها خلف قناع من الجماعة الدينية مادامت الظروف لا تسمح له بفضح اهدافه الحقيقية.. اما إذا أنس من نفسه القوة على نزع القناع فإنه يكشف عن وجهه الحقيقى.

وكلما عظم ذكاء اليهودى كتب لتدجيله النجاح.

لم يكن اليهود فى وقت من الاوقات مجرد طائفة دينية لها تقاليدها وطقوسها الخاصة.. بل كانوا دائماً شعبا له خصائصه.. وقد بحثوا بعد تشردهم عن وسيلة يضللون بها الشعوب فلا تتبرم بضيوفها المزعجين.. فما وجدوا افضل من تقديم انفسهم بانهم جماعة دينية لا أكثر ولا اقل.

والشعب المختار ذو اختصاص فى الانحراف بالحاكم عن رسالته الحقيقية.. فهو يتودد إلى الحكام بعبارات المديح والثناء ثم يستميلهم بالهدايا حتى إذا اطمأن إلى نياتهم إزاءه هيأ لهم اسباب الاستمتاع وزين لهم التهتك والاستهتار.. لينصرف هو إلى استنزاف ما فى جيوب الرعية.

واليهودى يجمع إلى حب المال الطموح إلى المعالى.. فبعد أن جر الامراء إلى حمأة الرذيلة حملهم فى ساعة من ساعات المجون والعبث

على رفع نفر من ابناء جلدته إلى مصاف العظماء والنبلاء.. وسرعان ما اتبع هذه الخطوة يكفى لإسكات المحتجين أن اليهودى سر العماد دون أن يتخلى عن إسرائيليته وخصائصها.

واليهودى يمكنه اتقان مائة لغة ولكنه يظل يهوديا بتفكيره. الشعب المختار يعتبر عدوا له من يؤهله مركزه وقوة شخصيته ودرجة تحصيله لقيادة أمته فى معارج الرقى والعظمة.

هتلر والشعب

الفقر هو صنو الجهل وصنو المرض ومتى اجتمع الثلاثة كفر الشعب بالدولة ومات فى النفوس كل شعور وطنى.

ان الانسان لا يناضل إلا من أجل ما يحب.. ولا يحب إلا ما هو حرى بالتقدير والاحترام.. فكيف يطلب من مواطن أن يحب وطنه ويقدره وهو يجهل تاريخه ولا يشعر فى كنفه بأنه ينعم بما تؤمنه الدول الأخرى لرعاياها من طمأنينة وهناءة.

السواد الذى لا يتحلى بالوعى السياسى لا ينتظر منه أن يحسن اختيار من ينيبهم عنه لتمثيله والتعبير عن آرائه والافصاح عن رغباته وأمانيه.

لا يحق لدولة أن تفرض احترامها على الشعب عندما تعبث بالمصالح العامة وتتعمد إلحاق الاذى بهذا الشعب.. وإن سلطة الدولة لا يمكن أن تكون غاية بحد ذاتها وإلا كان كل طغيان مكرسا ومقدسا.. وعندما تقود الحكومة الشعب إلى الخراب بشتى الوسائل والإمكانيات يصبح عصيان كل فرد من افراد الشعب حقا من حقوقه بل واجبا وطنيا.

اما السؤال كيف يمكن للشعب أن ينصف نفسه بنفسه.. فإنه لا يجد جوابه فى نظريات اساطين القانون وعلماء الاجتماع.. أن نزاعا يقوم بين شعب مضطهد وحكام طغاة يجب أن تفصل فيه القوة وحدها.. أن الدفاع عن النفس وعن مقومات الوجود يصح فيه اللجوء إلى كل وسيلة ممكنة.. ذلك أن حق الانسان يتقدم على حق الدولة.. وإذا غلب الشعب على امره وسقط فى الحلبة.. يكون ميزان القدر قد وجده اضعف من أن يستحق التمتع بنعمة البقاء فى عالمنا الأرضى هذا.. فالعالم على سعته يضيق بالشعوب الضعيفة.

ان جيلا يتبرم بالحالة التى هو فيها ويكتفى بالتبرم بدلا من أن يجتهد فى ازالة بواعثه.. أن جيلا هذا شأنه مقضى عليه بالزوال.

الاخلاص ونكران الذات والتحفظ فضائل ينبغى لكل شعب عظيم أن يتحلى بها.

كيف يراد من الشعب أن يتعلق بالدولة فى وقت يقوم الدليل تلو الدليل على خضوع هذه الدولة خضوعا تاما للقوى الدولية التى سببت خراب بلادنا وجرتها إلى هذا المصير المحزن.

ان شعبا ينهض لتحرير نفسه ينمو فيه الشعور الوطنى نموا عجيبا.. وتتنبه افكاره إلى نشاط العناصر اللاقومية فيحاربها دونما هوادة.

هتلر والسياسة

علمتنى الايام والتجارب التى مرت بى أنه يحسن بالمرء (إلا إذا كان ذا مواهب خارقة) ألا يخوض معترك السياسة العملية قبل بلوغه الثلاثين.. وحتى هذه السن يكون قد جهز نفسه بالعدة اللازمة للانطلاق وغربلة القضايا والمبادئ والنظريات قبل أن يتخذ منها موقفا معينا.. ومتى تم له

تكوين رأى شخصى فى كل من القضايا التى تشغل الرأى العام يمكنه أن ينزل إلى المعترك السياسى مسلحا بالمعرفة والاختيار.. أما إذا لم يفعل وعجل بالنزول إلى المعترك فإنه واجد نفسه بعد حين مضطرا إما إلى تعديل الموقف الذى كان قد اتخذه من بعض المسائل الجوهرية أو إلى الاستمرار فى هذا الموقف مع اقتناعه بأنه موقف غير سليم.

اكتشفت الحركة النقابية بعد أن استدرجتها الاشتراكية إلى فلكها وتخلت عن اهتمامها بتحسين مستوى البروليتاريا: أن انتهاء بؤس الطبقة الكادحة ليس فى مصلحتهم.. لأن زوال بواعث النقمة والتذمر يبعد السواد عن السياسة.. فيفقد الاشتراكيون بذلك قطيعا من المناضلين عودهم الخضوع لمشيئتهم خضوعا أعمى.

النظام البرلمانى

لقد اقتبس النمساويون هذا النظام من إنجلترا بلاد الديمقراطية الكلاسيكية دون أن يدخلوا عليه أى تعديلات.

لم أكن ضد النظام البرلمانى كمؤسسة.. فقد اقتنعت منذ اللحظة الأولى أنه افضل الانظمة لبلاد كالنمسا لم تجن من الملكية المطلقة غير المصائب والويلات.. وكنت ارى فى قيام ديكتاتورية إلى جانب عرش آل هابسبورغ جريمة ضد الحرية وضد المنطق.

لقد ادركت أن الديمقراطية فى أوروبا الغربية بحالتها الراهنة هى طليعة الماركسية.. التى لا يمكن تصورها بدون النظام البرلمانى.. أجل أن الديمقراطية هى التربة التى تنمو فيها جرثومة الماركسية.. هذا الطاعون العالمى وعليها ينتشر الوباء.. وهى تجد حليفا أمينا فى النظام البرلمانى.

وما كنت لأجهل أن إلغاء النظام البرلمانى يعنى اطلاق يد آل هابسبورغ فى حكم البلاد وهو ما اعتبره كارثة وطنية ما بعدها من كارثة.

فالبرلمان يتخذ قرارا مهما يترتب على قراره من نتائج سيئة فإنك لا تجد من يتحمل مسئولية هذا القرار. ولا يمكنك بالتالى أن تحاسب احدا عليه.. وهل يعتبر تحمل مسئولية عمل ما استقالة الوزارة التى قامت به أو حل البرلمان.. وهل يجوز أن تعتبر الأكثرية المذبذبة مسؤولة عن قرار تتخذه.. وأى معنى للمسؤولية إذا لم يتحملها شخص معين.. وكيف يجوز عمليا اعتبار رئيس حكومة مسؤولا عن أعمال فرضتها مشيئة أو اتجاه عدة اشخاص.. ألا يترتب على مبدأ الأكثرية فى نظامها البرلمانى القضاء على فكرة انحصار المسؤولية برئيس.. وهل ثمة من لا يزال يعتقد أن تقدم البشرية يمكن أن يكون نتاج دماغ الأكثرية لا نتاج دماغ رجل واحد.

والملاحظ بوجه عام أن الأكثرية البرلمانية التى تمثل الثرثرة الفارغة تكون أكثر ما تكره الرجل اللامع.

وثمة ظاهرة اخرى ترافق الحياة البرلمانية بشكل فاضح.. وهذه الظاهرة هى الجبن الذى تنم عنه تصرفات فريق كبير من زعمائنا المزعومين.. آن الزعيم ليعد نفسه سعيدا ومحظوظا إذا يدعى إلى اتخاذ قرارات هامة فيجد الأكثرية مستعدة لتغطيته.. ويكفى للحكم بفساد النظام البرلمانى أن تقع العين مرة واحدة على احد لصوص السياسة وهو يستجدى بقلق وقبل أن يتخذ قراره موافقة الأكثرية على هذا القرار مؤمنا بذلك العدد اللازم من الشركاء حتى إذا قام من يناقشه الحساب تنصل من كل مسؤولية.. آن رجلا يتهرب من تحمل مسؤولية عمل ما

ويبحث دائماً عمن يغطيه ليس له من الرجولة أكثر من الاسم.. آنه جبان بل حقير.. والأمة التى يكون زعماؤها من هذا الطراز لا تلبث أن تعانى أوخم النتائج.. إذ ليس فى البلاد كلها من يتقدم الصفوف ليضحى بنفسه فى سبيل إنقاذ الأمة بخطوة جريئة. إذا قيض للبلاد رئيس ذو سجية واراد أن يصلح الحال.. قام فى طريقه سد منيع من الوصوليين والانتهازيين الذين يوجسون خيفة من كل اصلاح.. لأنه يقصيهم ويضع حدا لمفاسدهم.

الدولة هى مؤسسة تضم جماعة من الناس متجانسين جسديا ومعنويا.. وقد اقاموها ليتطوروا فى كنفها ويؤدوا الرسالة التى شاءت العناية أن تكل أمرها اليهم.. هذا هو معنى الدولة.. اما الاقتصاد فوسيلة من الوسائل التى تعتبر ضرورية لتحقيق الغرض من وجود الدولة ولكنه ليس علة وجودها.. ولا يمكن أن يكون الغاية من وجودها إلا إذا كانت الدولة تقوم على اساس غير سليم.. أن الدولة التى تجعل من الاقتصاد غاية وجودها ليس لها ما للدول من مقومات البقاء.. أنها اشبه ما تكون بدولة لا حدود لها.

ان انصراف أمتنا إلى الاقتصاد وحده كان يتم دائماً على حساب فضائلنا القومية ومناقبنا ومثلنا.. ولا يلبث أن يسبب انهيار الدولة وانهيار الاقتصاد معها.

القوى التى تنشئ الدولة وتصونها:

العقل.. الإرادة.. المثل العليا.. التضحية

اننى انصح للذين يؤمنون بالتطور التدريجى بأن يتحفظوا بآرائهم لانفسهم.. ويدعوا لخدام الأمة المخلصين أن يؤمنوا لعرقنا وشعبنا

اسباب النمو.. بحيث يتاح له أن يغذى أبناءه ويحفظ دمه نقيا وينهض لاداء الرسالة التى اراده الله على الاضطلاع بها.

عندما يسقط جسم ما فعمق السقطة يقاس بالمسافة بين وضعه الجديد والوضع الذى كان له قبل سقوطه.. وهذه القاعدة يمكن تطبيقها على سقوط الشعوب والدول.

تغلب الانسان بسهولة على الطاعون وعجزه عن مكافحة السل لم يكونا وليدى الصدفة.. فالطاعون يظهر بشكل وباء مخيف.. اما السل فإنه يعمل بصمت ويقابل بقلة الاكتراث فى ادواره الأولى.. وقد رأينا الانسان ينبرى لأولهما ولا يضن بجهد فى سبيل القضاء عليه.. كما رأيناه يتقاعس عن محاربة ثانيهما أو يبذل فى هذا السبيل أيسر الجهود.. وهكذا قلم الانسان اظافر الطاعون ولكنه لم يقو على الحد من خطر السل.

والادواء التى تنتاب الشعوب هى إما حادة أو مزمنة فالداء الذى لا يتخذ شكل كارثة ينهش جسم الأمة ببطء.. وتألف هى الآلام التى يسببها لها.. فتتقاعس عن محاربته وتكون نهايتها فى آخر الأمر على يده. أما الداء الحاد فإنه يحمل فى ذاته ناقوس الانذار.. فيدرك المصاب خطورة حاله ويبادر إلى الاخذ باسباب العلاج ويتوقف نجاحه فى مكافحة الداء على اهتدائه إلى العوامل التى سببته.

هناك ثلاث نظريات فى الدولة

أولاً: نظرية الذين لا يرون فى الدولة سوى تجمع أناس بمحض رضاهم وخضوعهم لسلطة حكومة ما.. واصحاب هذه النظرية يؤلفون الكثرة.. وإننا لنجد بينهم المعجبين بمبدأ الشرعية الذين لا يقيمون وزنا

لارادة الشعب.. فيكفى فى نظرهم أن توجد الدولة كى تصبح مقدسة.. ويبلغ بهذا الفريق الحرص على حماية هذه النظرية السخيفة جدا يحمله على دعوة الناس إلى التعبد للدولة وسلطتها.. وعلى تحويل الواسطة إلى غاية.

ثانياً: نظرية الذين يجعلون وجود الدولة رهنا باستيفاء شروط معينة.. فيقولون أن الخضوع لسلطة واحدة لا يكفى بل يجب أن يكون للسكان لغة واحدة.. ويقولون كذلك أن سلطة الدولة ليست المبرر الوحيد لوجودها.. فعليها أن تؤمن لرعاياها معالم الازدهار والرفاهية.. وبموجب هذه النظرية لا تحاط الدولة بهالة القدسية بمجرد وجودها.. واحترام الماضى لا ينجيها من انتقاد الحاضر.. وعلى الجملة يريد اصحاب هذه المدرسة من الدولة أن تعطى الحياة الاقتصادية شكلاً ملائماً لمصلحة الفرد.

ثالثاً: نظرية الذين يرون فى الدولة واسطة أو وسيلة لبلوغ مرام استعمارية أو توسعية غير واضحة المعالم.. يريد هؤلاء انشاء دولة شعبية متحدة عناصرها اتحادا وثيقا.. ويكون لها لغة مشتركة على امل أن تساعد وحدة اللغة على توجيه الفكرة القومية وجهة معينة. أليس من الظلم أن يحتل فى أيامنا مؤلف رواية بوليسية أو كاتب سخيف مركزا فى المجتمع هو ارفع من المركز الذى يحتله عامل ذو اختصاص.

يمكن القول أن وضع الزمام فى اليد القادرة اضحى فى أيامنا منهجا عاما فى شتى ميادين النشاط الانسانى ما خلا الحياة السياسية حيث يسود مع الاسف مبدأ الكثرة.

فالدولة القومية النشيطة لا تحتاج فى الداخل إلى العديد من القوانين لأن المواطنين يحترمونها ويوالونها ويتجنبون كل ما يسىء إلى

سمعتها.. اما الدولة ذات الطابع الدولى أو الأممى فإنهاتفرض السخرة على رعاياها بالقوة والاكراه وتعاملهم معاملة الاسياد للعبيد. السياسة الخارجية هى واسطة لبلوغ غاية سامية.. وهذه الغاية هى خدمة مصالح الشعب.. فكل مسألة من مسائل السياسة الخارجية يجب أن ينظر اليها من هذه الزاوية: أيكون حل القضية التى نواجه بالشكل المقترح متفقا ومصلحة شعبنا حاضرا ومستقبلا.. أم يعود بالضرر على هذه المصلحة.. هذا هو الاعتبار الوحيد الذى يجب أن نقف عنده والذى تتضاءل امامه الاعتبارات الدينية والانسانية والعقائد والنزعات. لكى يصبح شعبنا مؤهلا لمحالفة الشعوب التى تنسجم مصالحها مع مصالحه.. ينبغى له أن يسترد اعتباره.. ولن يتم له ذلك ما لم يقم فيه سلطة حاكمة تعبر عما يخالج الوجدان القومى وترتكز على الارادة الشعبية المتعطشة إلى الحرية.

ان قيادة الناس مهمة لا يحسن اداءها إلا الابطال.

ان الرئيس غير الكفء كالقائد الاحمق لا يتقن وضع الخطط ولا يحسن تنفيذها.

هتلر والأحزاب والحركات السياسية

عوامل اخفاق الحركات والاحزاب:

.. يأتى بالدرجة الأولى سوء التقدير لاهمية القضايا الاجتماعية.

.. ترك قيادة الحركة ضد المؤسسة البرلمانية الفاسدة.

.. جهل اقطاب الحركة بنفسية الشعب.

.. محاربة أكثر من خصم وفتح أكثر من جبهة.

ان حركة تتطلع إلى أهداف بعيدة ينبغى لها أن تحرص اشد الحرص على استمرار التماس بينها وبين الجمهور.. وأن تدرس كل قضية على ضوء هذه الحقيقة وتوجه قراراتها وفق هذا الاتجاه.. وان تتجنب من ثم كل ما من شأنه اضعاف تأثيرها فى الجماهير الشعبية.. يحدوها إلى ذلك اقتناعها التام بأن ما من مشروع عظيم يمكن أن يتحقق بدون مساهمة هذه الجماهير.

ان مصير حركة سياسية ما هو رهن بتعصب انصار لها باعتبارهم إياها انبل الحركات واسماها مقصدا.. ويخطئ من يظن أن قوة الحركة تتضاعف لمجرد اقترانها بحركة اخرى مماثلة.

ان قوة الحركة وحقها بالحياة لا ينموان ما لم تكن هى مشبعة بفكرة الكفاح.

لابد لانتصار الحزب وعقيدته من وجود قيادة عليا حكيمة بعيدة النظر وجنود تسيرهم العاطفة ويخضعون للقيادة خضوعا اعمى.

ان قوة حزب سياسى ما ليست فى ذكاء اعضائه ولا فى استقلال كل عضو برأيه.. بل هى فى النظام يسود الحزب وفى خضوع الاعضاء للقيادة خضوعا تاما.

يخطئ من يظن أن التشبع بالعلوم النظرية كافٍ لأن يؤهل المرء لاحتلال المركز الأول.. فكبار المفكرين قلما ينجحون فى حقل التنظيم.. لأن عظمة المفكر وواضع المنهاج القويم تقوم على المعرفة وسن الشرائع العادلة.. اما المنظم فيجب أن يكون رجلا عمليا عارفا بنفسية البشر.. يعالج القضايا على اساس موضوعى ولا يسقط من حسابه فى محاولته انشاء منظمة حية الضعف البشرى والثورات الغريزية.

يندر أن يتحلى صاحب فكرة بمؤهلات الزعامة.. ولكننا نجد الزعماء أكثر ما نجد فى صفوف المحرضين الذين يكونون اعرف بنفسية الجماهير بفضل احتكاكهم بها من المفكرين أو النظريين المنطوين على انفسهم المستغرقين فى التأمل بمعزل عن الناس.. ذلك بأن التوجيه والقيادة معناهما تحريك السواد.. فموهبة توليد النظريات والمبادئ لا تؤهل حتما صاحبها للزعامة.

فى كل حركة ذات رسالة انقلابية.. يتعين على الدعاة أن تنشر مبادئ الحركة وتشرحها فى اذهان الناس.. أو تسعى على الاقل لزعزعة العقائد القديمة.

ان الحزب ذا الرسالة الانقلابية يفقد طابعه الثورى يوم يزداد عدد اعضائه زيادة غير طبيعية على اثر احرازه انتصارا حاسما.. لأن الجبناء والأنانيين الذين يقفون من الحركة موقف اللامبالاة وهى فى.. ابان الكفاح المرير يتسابقون إلى خطب ودها بعد انتصارها.. فإذا فتحت لهم ذراعيها امكنهم مع الايام أن يحولوها عن اهدافها ليسخروها فى خدمة مصالحهم الخصوصية.

لا يغربن عن بال الذين يثبطون الهمم بارائهم السخيفة أن وحدة أراضى الدولة ليست شرطا لنجاح الثورة التحريرية.. فيكفى أن يتمتع جزء صغير من الدولة بقدر كاف من الحرية ليتولى اعداد العدة للكفاح واسترداد الحق السليب بقوة السلاح.

الحركة العقائدية لا تفلح فى فرض مبادئها ما لم تجند تحت لوائها اشجع عناصر الشعب واوفرها نشاطا.. وتحشدها فى منظمة قوية شعارها النضال.. ما لم تنتق من فلسفتها مبادئ معينة فتشرحها شرحا

يجعلها قريبة من افهام الجمهور صالحة لأن تكون قانون ايمان المنضوين تحت لواء الحركة.

هتلر والعقيدة والمبادئ

ان عقيدة أو فكرة أى مبدأ من المبادئ لا تُكتب له الغلبة ما لم يعتنقه سواد الشعب ويبدى استعداده للنضال فى سبيله.

إن العقائد والمبادئ المرتكزة على فلسفة معينة ومثلها الحركات ذات الدافع الروحى تصبح بعد بلوغها مرحلة معينة امنع من أن يقضى عليها بالقوة المادية.. اللهم إلا فى حالة واحدة هى أن تكون هذه القوة المادية فى خدمة فكرة أو عقيدة فلسفية جديدة تلوح للناس بمشعل جديد.

الواقع أن رجل السياسة الذى يبتعد عن الافكار السامية والمبادئ الواضحة يحرز النجاح تلو النجاح بسهولة ويسر وسرعة.. ولكن مشاريعه تكون قصيرة العمر تموت بموت صاحبها ولا تعود بأى نفع على الاجيال الآتية.. لأن نجاحها قام على استبعاد المشاريع العظيمة والمسائل البارزة البعيدة الاثر.

واصحاب الرسائل السامية الذين يسئ معاصروهم فهمهم لا يثبط عزيمتهم عقوق الناس.. لعلمهم أن ابناء لاعنيهم اليوم مباركون غدا ما لعنه آباؤهم واجدادهم.. وإن سيرتهم وتراثهم الفكرى سيدرسان بتفهم واعجاب.. ويؤلفان للامة زادا معنويا تجده فى متناولها كلما ادلهمت الخطوب.

لا يغربن عن البال أن حمل فكرة ما لا يمكن نشرها فى اغلب الاحيان لا بتبسيطها. وأن نجاح فكرة ما يتوقف على مصيرها بعد أن يعبر عنها لقولها أكثر مما يتوقف على مبلغهم من السمو.

يعلمنا التاريخ أن الثورات الكبرى لم تحركها الرغبة فى الدفاع عن فكرة علمية أو الحرص على نشر هذه الفكرة.. انما حركها التعصب الاعمى لرأى أو فكرة أو عقيدة.

على كل عقيدة فتية ذات مبادئ جديدة أن تبدأ كفاحها بشهر سلاح النقد فى وجه خصومها.

يمكن القول أن كل فكرة شقت طريقها عبر التاريخ لتخلد هى وتخلد صاحبها قد أسىء فهمها لدن طرحت فى التداول وحوربت محاربة لا هوادة فيها.. لانها جاءت متعأرضة والاراء السائدة مخالفة لوجهة نظر الجمهور ورغباته.

هتلر والنضال

ان عظمة التضحيات وحدها هى التى توفر للقضية ابطالا جددا لا يترددون فى البذل ولا يجبنون مهما يعترض سبيلهم من عقبات. وهؤلاء الابطال يجب أن نبحث عنهم فى صفوف الشعب فابناؤهم العنصر المناضل العنيد الذى يستمر فى المعركة إلى النهاية.

العقيدة الفلسفية لا تشق طريقها الحافل بالاشواك إلا إذا حمل لواءها زعماء شجعان.. قادرون على البذل.. مستعدون للتضحية.. فإذا لم يقيض لها زعماء من هذا الطراز فلن يتجند لخدمتها والذود عنها مناضلون يمشون إلى لقاء الموت غير وجلين.

عندما تناضل الشعوب من أجل كيانها لا يبقى محل للاعتبارات الانسانية والجمالية.. لأن هذه الاعتبارات ما كانت لتكون لولا مخيلة الانسان.. فمتى توارى هو توارت معه.. لأن الطبيعة لا تتعرف نفسها.. والشعوب التى تنزل إلى حلبة النضال للدفاع عن كيانها وحقها فى البقاء

لا تلبث أن تفقد القدرة على الدفاع عن نفسها إن هى أولت المبادئ الانسانية والاعتبارات الجمالية من اهتمامها وعنايتها أكثر مما تستحق. يظل الكفاح الوسيلة المثلى لتقوية صحة البدن وطاقة النوع على احتمال المشاق.. ويظل بالتالى شرطا أوليا لتقدم البشر وتطورهم.

على من يريد الحياة أن يكافح إذن.. فليس فى عالمنا هذا مكان لمن يتهرب من النضال.

ان عهدا من النضال الشاق والكفاح المرير سيعقب العهد الحالى.. عهد الجمود والتواكل واللامبالاة.. فالنصلة التى لا تستعمل يتأكلها الصدأ.. ومن شاء أن تكون له الغلبة عليه بالهجوم لأنه سبيل النصر.. ولسنا نجهل أنه لا يجوز لنا الاعتماد على تفهم السواد لرسالتنا واهدافنا قبل مضى بعض الوقت.. وإنه ينبغى لنا أن نحدد هذه الاهداف تحديدا واضحا وأن نمضى فى الكفاح محطمين كل حاجز يعترض سبيلنا.. ولسنا نجهل كذلك أن العديد من المواطنين الذين يهيمنون اليوم على مقدرات الدولة ويديرون شؤونها يفضلون المركب السهل.. وهو هنا العمل على بقاء الحالة الراهنة على النضال فى سبيل ما يؤمل حصوله فى المستقبل.. هذا الفريق من المواطنين ينظر إلى الدولة نظرة إلى جهاز مبرر وجوده الوحيد هو الاستمرار فى العمل.

وليعلم أنه متى اتحد عدد من الرجال متحلين بالعزم والقدرة الفاعلة متحررين من كل ما يقعد بالسواد عن الحركة.. واضعين نصب اعينهم هدفا معينا. فلن يلبث هؤلاء الرجال أن يقبضوا على زمام القيادة.. فتاريخ العالم قد صنعته الصفوة أى الاقلية.. فى كل مرة كانت الاقلية من حيث العدد مجسدة للارادة والاقدام.

ان اسمى الفكر تظل بدون قيمة إذا لم يقيض لها الزعيم الذى يمكنه أن يؤلب الجماهير حولها.. وإن اقدر الزعماء وارجحهم عقلا يظل عاجزا عن توجيه حركة لا يحدد اهدافها رجل مفكر.. وإذا اتفق واجتمع فى شخص رجل الفكر والمنظم والزعيم - وهذا نادر - انبثق من اجتماعهم الرجل العظيم.

وعندى أن شعبا يؤثر العبودية على رؤية بلاده مجزأة هو شعب لا يستحق الحرية.. وافضل منه الف مرة شعب ينهض بعضه المتحرر لتحطيم النير وقيادة معركة الخلاص التى ترفع الكابوس عن الشعب كله.

إن أمة تلازمها الهواجس ويستبد بها القلق على مصيرها لا يمكنها أن تقدم نتاجا فكريا ذا قيمة.. فالتضحيات مهما غلت تهون فى سبيل تأمين الحرية للامة.

إن كل وسيلة تصبح مشروعة عندما يكون الأمر متعلقا بصون كيان شعب وضمان مستقبله.

متى يفهم المواطنون كافة أن استرداد الأراضى المضيعة لا يمكن أن يتم لنا بالابتهالات نصعدها إلى العلى القدير. ولا بالشكاوى نرفعها إلى عصبة الامم.. إن استرداد الأراضى المضيعة خطوة نستطيع أن نقوم بها نحن يوم نصبح قادرين على مجابهة اعدائنا.

هتلر وأسس حياتية

بدت لى الوظيفة وكأنها حبل يشد بالمرء دائماً إلى اسفل.. وخيل إلى وانا أمتحن موهبتى الخطابية فى كل مرة كنت احاول اقناع رفاقى بما يبدو لى صوابا انى خلقت محرضا وقائدا.

كان على أن اعمل لاعيش وانا فتى مراهق لا يملك ما يقيه شر الفاقة بعد أن تبخر المال الذى خلفه والدى.. لكن طموحى يأبى علىّ أن اجعل الوظيفة الذروة التى يجب أن اقف عندها.

كان قلبى عامرا بالايمان فما تركت لليأس سبيلا إلى نفسى. وكان الكتاب سميى الوحيد.. وبفضل المطالعة خزنت معلومات وآراء تبلورت مع الزمن.. ورحت من ثم أتمخض بنظريات اتخذت منها فيما بعد اساسا للعمل.

نعم ظل كسبى من عملى جد متواضع.. كنت اعمل ليتسنى لى أن اتابع تحصيلى وانا على مثل اليقين بأنى بالغ حتما الهدف الذى وضعته نصب عينى.

لم يصرفنى تمرسى فى حرفتى وانكبابى على الدرس والمطالعة فى فترات الراحة والفراغ عن تتبع الأحداث السياسية فى الداخل والخارج. لقد ايقنت أن كل ألم شخصى يزول عندما تنزل بالوطن نازلة.

هتلر والعمل والاقتصاد

ان العمل الجدى وإن كان وضيعا يشرف العامل.

العثور على عمل ايسر من الاحتفاظ به.

ان الخيبة المريرة تنتظر الذين يهجرون القرية النائية ويهبطون العاصمة فى طلب الرزق عن طريق العمل الهين.

ان معظم ما نشكو منه اليوم ناجم عن انعدام التوازن بين ما تعطيه المدن وبين ما تعطيه الارياف.

هتلر والأخلاق

البغاء الذى ما انتشر فى بلد إلا كان مصير شعب هذا البلد إلى الفناء.. والبغاء معناه تشويه العلاقات الجنسية ومسخها بجعلها صفقة

تجارية.. وانتشاره يعنى تراخى العلاقات التى سداها ولحمتها الشعور الطبيعى والحب المتبادل لتسود الاباحية التى تمهر البلاد بابناء الزنى أو بمواليد احياء اموات.

ويحسن بنا أن نبدأ بتشجيع الزواج فى سن مبكرة.. فالزواج المتأخر هو احد الاسباب التى يتذرعون بها للابقاء على البغاء.. هذه المؤسسة التى تصم البشرية بالخزى والعار.. ويخطئ من يظن أنه يستطيع مكافحة البغاء بالمحاضرات والعظات الدينية والارادة الحسنة الخ.

فالقضاء على هذه الآفة الاجتماعية يتطلب خطى عملية فى مقدمتها الزواج المبكر الذى يتلاءم والطبيعة البشرية ولاسيما للرجل.

والزواج ليس غاية بحد ذاته.. بل يجب أن يهدف إلى غاية سامية: حفظ النوع والجنس.. فإذا لم يؤد إلى هذه النتيجة لا يبقى فرق بينه وبين البغاء.

ومن حسنات الزواج المبكر أنه يمهر الأمة بذرية قوية البنية سليمة.

ولكن ينبغى للدولة قبل أن تشجع على هذه الخطوة أن تؤمن للمواطنين المستوى الاجتماعى اللائق.

هتلر وحاشية الملك

من اعراض التفسخ والانحلال التى ظهرت على الدولة الألمانية قبل الحرب.. انعدام السجايا التى كان يتحلى بها آباؤنا وأجدادنا.. فقد توارى الحزم والاقدام والشجاعة الادبية وكبر النفس ليحل محلها التراخى والتردد والجبن والزلفى.. ولا ريب فى أن اساليب التربية هى المسؤولة عن هذا التفسخ الخلقى لانها اغفلت تقوية شخصية الفرد وجوهرتها لتحشو دماغه بالمعرفة.

وكانت عيوبنا الخلقية تتجلى أكثر ما تتجلى فى مسلك رجالاتنا حيال الامبراطور.. فكل ما ينطق به صاحب الجلالة هو قول منزل لا يقبل الجدل.. وهذه الزلفى هى التى اطاحت بألمانيا ولم توفر العرش.. فلو قيض للامبراطور رجل دولة من وزن (بسمارك) يقول له لا لما كان لنا اليوم أن نلوم إلا القدر على عبثه بمقدرات امتنا.. ولجاز لنا أن نحمل سوء الطالع تبعة ما حل بنا.

ان الذين يحيطون بصاحب العرش هم كل عصر ومصر عالة على العرش.. يستأثرون بعطاياه ويذهبون فى تظاهرهم بالولاء له إلى حد تسمية انفسهم بالملكيين تمييزا لهم عن سائر الرعايا.. ولكن ما أن تنزل بولى النعمة نازلة حتى نجدهم فى طليعة الناقمين عليه الكافرين بنعمته المحرضين على الاقتصاص منه.. وهل يُرجى من المتزلفين الزاحفين على الركب أن يفتدوا ولى النعمة بارواحهم.

ان المخلص الحقيقى للمتربع على العرش هو من يبذل لجلالته النصح وينبهه إلى مواطن الزلل ويعمل جاهدا فى سبيل انقاذ الملكية مما قد تتعرض له من جراء تصرفات الملك أو الامبراطور.

فالذين يصدقون صاحب العرش القول ويخلصون له النصح ويحاربون فيه الخفة والطيش وقصر النظر.. انما يخدمون الملكية نفسها ويجنبونها المزالق الخطرة.. ما اقل الملوك الذين ادركوا هذه الحقيقة.. وما أكثر من ذهب ضحية جهله اياها.

هتلر والإبداع

العبقرية تحتاج إلى صدمة كى تظهر وتبهر بمآتيها الانظار.. ويخطئ من يظن أن مخترعا لا يؤسس شهرته إلا يوم يعلن عن اختراعه.. ومن

الخطأ الاعتقاد بأن شعلة العبقرية قد أضاءت فى الرجل عندما شرع فى اعداد اختراعه.. فشرارة النبوغ تجىء مع النابغ يوم يطل على العالم.. وليست العبقرية ثمرة التربية والدرس.

ان كل ما حققته عبقرية الانسانية منذ أن كان عالمنا هذا عالما كان من صنع الافراد.

لا يجوز أن تقاس عظمة صاحب الفكرة بمقدار ما تحقق من فكرته أو من الاهداف التى رسمتها.. انما تقاس عظمته بصحة هذه الاهداف وبتأثيرها فى نمو البشرية وتقدمها.

وعندى أن دولة من الدول أو جماعة من الجماعات تبلغ حد الكمال من حيث التنظيم يوم تتيح لقواها المبدعة اسباب النمو فى مجالات العمل لتستخدم هذه القوى فيما يعود بالنفع على المجتمع.. وسيكون على رأس واجبات الدولة ابراز الموهوبين من رعاياها ووضعهم فى المقدمة.. والبحث عن الصفوة يستغرق بعض الوقت لأن الكفاح فى سبيل البقاء طويل وشاق.. فالذين يتساقطون على جوانب الطرق أو يهلكون قبل الوصول يكونون غير مؤهلين للقيادة.. اما القلائل الذين يصمدون إلى النهاية فانهم يؤلفون الصفوة المؤهلة.

هتلر والدين

ومن يحسب نفسه قادرا على تحقيق الاصلاح الدينى عن طريق حزب أو منظمة سياسية فهو إما مهووس أو جاهل لا يعرف شيئا عن تطور الديانات والعقائد.. وعندى أن تأسيس دين من الاديان أو تقويض دعائمه هو عمل اعظم شأنا من تأسيس دولة أو تقويض دعائمها. لا يجوز بحال من الاحوال أن نحمل الدين أو المذهب أو الطائفة تبعة أعمال

قام بها نفر لم يتورع عن استخدام هذه المؤسسات فى اغراضه السياسية.

هتلر والصحافة

وقراء الصحف ثلاث فئات:

١- الذين يصدقون كل ما تطالعهم به الصحف.

٢- الذين لا يصدقون شيئا مما تنشره الصحف.

٣- الذين يمحصون ما يقرأون.

والفئة الأولى هى اكبر الفئات الثلاث وتضم السواد الاعظم أى الفريق غير المتعلم من المواطنين.. وجميع الذين اعتادوا أن يدعوا للاخرين مهمة التفكير على أن يتلقفوا هم ثمرة هذا التفكير.

مفترضين أن من يشحذ ذهنه ليطالع الناس بآرائه لا يمكن أن يصدر إلا عن ادراك للامور واحاطة تامة بالمسائل.. ومن تحصيل الحاصل القول أن هذه الفئة التى لم تروض نفسها على التفكير هى فريسة سهلة للصحافة التى تعتمد التهويل والتضليل سبيلا إلى تنوير الجمهور.. ناهيك بسقوطها السريع فى حبائل ناشرى المبادئ اللاقومية من ماركسيين ويهود.

والفئة الثانية تضم عناصر كانت تنتمى إلى الفئة الأولى ولكنها انتقلت مع الايام من الايمان المطلق إلى الشك المطلق.. واضحت لا تصدق حرفا مما يقال لها.. وتنظر إلى الصحف نظرها إلى وريقات لا هم لناشريها سوى تضليل الناس والتلاعب بعواطفهم ومشاعرهم.. وهذا الفريق من الناس لم يبق صالحا لأى عمل ايجابى.

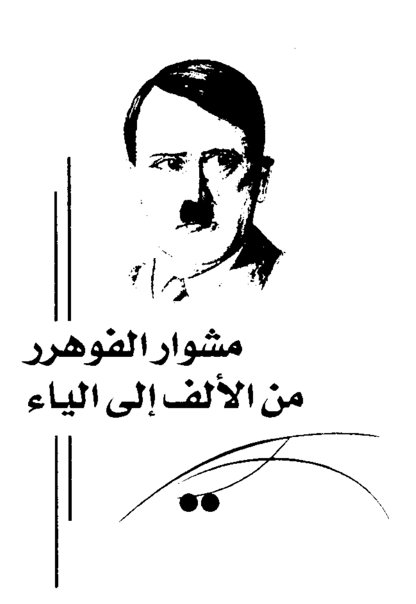
اما الفئة الثالثة فإنهاتضم عددا محدودا من المواطنين الاذكياء الذين تؤهلهم مواهبهم لأن يفكروا تفكيرا صحيحا وإن يمحصوا ما يقرأون ويميزوا الغث من السمين.. أليس من دواعى الاسف إلا يكون لهذه الفئة المستنيرة من الشأن والتأثير فى مقدرات البلاد ما للأكثرية الجاهلة الخاضعة لتوجيه الصحافة ولمؤثرات هى فى الغالب بعيدة عن الشعور القومى.

هتلر وكلمات للتاريخ

يستطيع قضاة هذه الدولة أن يدينونا من أجل ما فعلنا.. ولكن التاريخ الذى يجسد حقيقة أسمى سيمزق ذات يوم هذا الحكم.. ويحلنا جميعا من خطيئة لم نرتكبها.

إنى مقتنع بان الذين حاربونا بالأمس القريب ليسوا اعداء.. وإن معظمهم سيذكر يوما باحترام رجالا سلكوا مختارين الطريق المؤدى إلى الموت لينقذوا وطنهم من الهلاك.

■ ■ ■



مشوار الفوهرر من الألف إلى الياء

بانوراما الحياة

أدولف هتلر

سياسى ألمانى (ولد فى العشرين من إبريل فى عام ١٨٨٩ ?وتوفى فى الثلاثين من إبريل فى عام ١٩٤٥) فى النمسا، وهو زعيم حزب العمال الألمانى الاشتراكى الوطنى والمعروف للعامة باسم الحزب النازى. تولى أدولف هتلر حكم ألمانيا فى الفترة ما بين عامى ١٩٣٣ و١٩٤٥ حيث شغل منصب مستشار الدولة فى الفترة ما بين عامى ١٩٣٣ و١٩٤٥ ?ورئيس الدولة (قائد ومستشار الرايخ) فى الفترة ما بين عامى ١٩٣٤ و, ١٩٤٥ واختارته مجلة تايم واحدا من بين مائة شخصية تركت اكبر الاثر فى تاريخ البشرية فى القرن العشرين.

وباعتباره واحدا من المحاربين القدامى الذين تقلدوا الأوسمة تقديرا لجهودهم فى الحرب العالمية الأولى، انضم هتلر إلى الحزب النازى فى عام ١٩٢٠ واصبح زعيما له فى عام , ١٩٢١ وبعد سجنه اثر محاولة انقلاب فاشلة قام بها فى عام ١٩٢٣ ?استطاع هتلر أن يحصل على تأييد الجماهير بتشجيعه لافكار تأييد القومية ومعاداة السامية ومعاداة الشيوعية والكاريزما أو الجاذبية التى يتمتع بها فى القاء الخطب وفى

الدعاية. وفى عام ١٩٣٣، تم تعيينه مستشارا للبلاد حيث عمل على ارساء دعائم نظام تحكمه نزعة شمولية وديكتاتورية فاشية. وانتهج هتلر سياسة خارجية لها هدف معلن وهو الاستيلاء على ما اسماه بالمجال الحيوى (ويُقصد به السيطرة على مناطق معينة لتأمين الوجود لألمانيا النازية وضمان رخائها الاقتصادى) وتوجيه موارد الدولة نحو تحقيق هذا الهدف. وقد قامت قوة الدفاع التى اعاد بناءها بغزو بولندا فى عام ١٩٣٩ مما أدى إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية فى مسرح الأحداث فى أوروبا أثناء الحرب العالمية ,الثانية (المناطق التى وقعت فيها المعارك العنيفة على امتداد أوروبا بدءا من الغزو الألمانى لبولندا فى الأول من سبتمبر وحتى الاستسلام غير المشروط لألمانيا فى نهاية الحرب).

وخلال ثلاث سنوات، احتلت ألمانيا ودول المحور معظم دول أوروبا واجزاء كبيرة من أفريقيا ودول شرق وجنوب شرق آسيا والدول المطلة على المحيط الهادى. ومع ذلك، نجحت دول الحلفاء فى أن يكون لها الغلبة منذ عام ١٩٤٢ وما بعده. وفى عام ١٩٤٥، نجحت جيوش الحلفاء فى اجتياح ألمانيا من جميع جوانبها. وارتكبت القوات التابعة لهتلر عددا وافرا من الأعمال الوحشية أثناء الحرب اشتملت على جرائم القتل المنظمة لأكثر من سبعة عشر مليون مدنى.. والابادة الجماعية لحوالى ستة ملايين يهودى وهو الأمر المعروف تاريخيا باسم الهولوكست.

واثناء الايام الاخيرة من الحرب فى عام ١٩٤٥ تزوج هتلر من عشيقته إيفا براون بعد قصة حب طويلة. وبعد اقل من يومين، انتحر العشيقان.

الخطوات الأولى

ولد أدولف هتلر فى العشرين من إبريل فى عام ١٨٨٩ فى Gasthof Zum'Pommerوهو فندق صغير فى بلدة am Inn Braunauالتى كانت

تقع فى الامبراطورية النمساوية المجرية، وكان هتلر الابن الرابع بين ستة من الإخوة. اما والده فهو ألويس هتلر وقد ولد فى عام ١٨٣٧، وتوفى فى عام ١٩٠٣ وكان يعمل موظفا فى الجمارك. وكانت والدته كلارا بولتسل (التى ولدت فى عام ١٨٦٠ وتوفت فى عام ١٩٠٧) هى الزوجة الثالثة لوالده. وكانت أيضاً ابنة عمه؛ وهو الأمر الذى استدعى حصولهما على اعفاء بابوى لاتمام زواجهما. ومن بين ستة ابناء كانوا ثمار زواج ألويس وكلارا لم يصل إلى مرحلة المراهقة سوى أدولف وشقيقته باولا التى كانت اصغر منه بسبع سنوات من زوجته الثانية.

عاش هتلر طفولة مضطربة حيث كان ابوه عنيفا فى معاملته له ولأمه. حتى أن هتلر نفسه صرح أنه فى صباه كان يتعرض عادة للضرب من قبل أبيه. وبعدها بسنوات، تحدث هتلر إلى مدير اعماله قائلا: "عقدت - حينئذ - العزم على ألا أبكى مرة اخرى عندما ينهال على والدى بالسوط. وبعد ذلك بأيام، سنحت لى الفرصة كى أضع إرادتى موضع الاختبار. اما والدتى، فقد وقفت فى رعب تحتمى وراء الباب. اما انا فاخذت احصى فى صمت عدد الضربات التى كانت تنهال على مؤخرتى".

ويعتقد المؤرخون أن تاريخ العنف العائلى الذى مارسه والد هتلر ضد والدته قد تمت الإشارة اليه فى جزء من اجزاء كتابه "كفاحى" والذى وصف فيه هتلر وصفا تفصيليا واقعة عنف عائلى ارتكبها احد الازواج ضد زوجته. وتفسر هذه الواقعة بالإضافة إلى وقائع الضرب التى كان يقوم بها والده ضده سبب الارتباط العاطفى العميق بين هتلر ووالدته فى الوقت الذى كان يشعر فيه بالاستياء الشديد من والده.

وغالبا ما كانت أسرة هتلر تنتقل من مكان لآخر حيث انتقلت من Branau am Inn إلى Passau و Lambach و Leondinge و Linz. وكان هتلر الطفل طالبا متفوقا فى مدرسته الابتدائية، ولكنه رسب فى الصف السادس؛ وهى سنته الأولى فى Tealachule(المدرسة الثانوية) عندما كان يعيش فى Linz وكان عليه أن يعيد هذه السنة الدراسية. وقال معلموه عنه أنه "لا يرغب فى العمل". ولمدة عام واحد، كان هتلر فى نفس الصف الدراسى مع لودفيج ويتجنشتاين؛ الذى يعتبر واحدا من أكثر الفلاسفة تأثيرا فى القرن العشرين. وبالرغم من أن الولدين كانا فى العمر نفسه تقريبا، فقد كان ويتجنشتاين يسبق هتلر بصفين دراسيين. ولم يتم التأكد من معرفة هتلر وويتجنشتاين لبعضهما فى ذلك الوقت، وكذلك من تذكر أحدهما للاخر.

وقد صرح هتلر فى وقت لاحق أن تعثره التعليمى كان نابعا من تمرده على ابيه الذى اراده أن يحذو حذوه ويكون موظفا بالجمارك على الرغم من رغبة هتلر فى أن يكون رساما. ويدعم هذا التفسير الذى قدمه هتلر ذلك الوصف الذى وصف به نفسه بعد ذلك بأنه فنان اساء من حوله فهمه. وبعد وفاة ألويس فى الثالث من شهر يناير فى عام ١٩٠٣ لم يتحسن مستوى هتلر الدراسى. وفى سن السادسة عشرة، ترك هتلر المدرسة الثانوية دون الحصول على شهادته.

وفى كتابه Mein Kampf أرجع هتلر تحوله إلى الايمان بالقومية الألمانية إلى سنوات المراهقة الأولى التى قرأ فيها كتاب من كتب والده عن الحرب الفرنسية البروسية والذى جعله يتساءل حول الاسباب التى جعلت والده وغيره من الألمان ذوى الاصول النمساوية يفشلون فى الدفاع عن ألمانيا أثناء الحرب.

الميــراث

كان والد هتلر ـ ألويس هتلر ـ مولودا غير شرعى. وخلال السنوات التسع والثلاثين الأولى من عمره، حمل ألويس لقب عائلة والدته وهو تشيكلجروبر.

وفى عام ١٨٧٦حمل ألويس لقب زوج والدته يوهان جورج هيدلر. وكان يمكن كتابة الاسم باكثر من طريقة، وربما قد قام احد الموظفين بتوحيد صيغته إلى Hitler وقد يكون الاسم مشتقا من "الشخص الذى يعيش فى "كوخ" (ويشار اليه فى الألمانية الفصحى بكلمة (Hütte) أو من "الراعى" (المشار اليه فى الألمانية الفصحى بكلمة hüten بمعنى "يحرس") والذى تعنى فى الانجليزية ينتبه أو قد يكون مشتقا من الكلمة السلافية Hidlar و Hidlarcek. وفيما يتعلق بالنظريتين الأولى والثانية، فإن بعض اللهجات الألمانية قد يمكنها التمييز إلى درجة بسيطة أو لا يمكنها التمييز بين الصوتين ü- و i- عند النطق.

وقد استغلت الدعاية الخاصة بقوات الحلفاء اسم العائلة الاصلى لهتلر أثناء الحرب العالمية الثانية، فكانت طائراتهم تقوم بعملية انزال جوى على المدن الألمانية لمنشورات تحمل عبارة " Heil Schicklgruber" تذكيرا للألمان بنسب زعيمهم. وبالرغم من أن هتلر كان قد ولد وهو يحمل اسم هتلر قانونيا، فإنه قد ارتبط أيضاً باسم هيدلر عن طريق جده لأمه يوحنا هيدلر.

اما الاسم "أدولف" فهو مشتق من الألمانية القديمة ويعنى "الذئب النبيل" (ويتكون الاسم من Adel التى تعنى النبالة، بالإضافة إلى كلمة ذئب). وهكذا، كان واحدا من الألقاب التى اطلقها أدولف على نفسه

وولف (Wolfأو) Herr Wolf (السيد وولف) وقد بدأ فى استخدام هذا اللقب فى اوائل العشرينات من القرن التاسع عشر وكان يناديه به المقربين منه فقط (حيث لقبه افراد عائلة فاجنر باسم العم وولف) حتى سقوط الرايخ الثالث.

وقد عكست الاسماء التى اطلقها على مقرات القيادة المختلفة له فى كل أنحاء أوروبا القارية ذلك: فكانت أسماؤها Wolfsschanze فى بروسيا الشرقية، و Wolfsschlucht فى فرنسا، و Werwolf فى أوكرانيا وغيرها من الاسماء التى كانت تشير إلى هذا اللقب. علاوة على ذلك، عرف هتلر باسم "آدى" بين المقربين من عائلته واقاربه.

وكان جد هتلر لابيه على الارجح واحدا من الاخوين يوهان جورج هيدلر أو يوهان نيبوموك هيدلر. وسرت الشائعات بأن هتلر كان ينتسب إلى اليهود عن طريق واحد من اجداده؛ لأن جدته ماريا شيكلجروبر قد اصبحت حاملا عندما كانت تعمل كخادمة فى احد البيوت اليهودية. واحدث المعنى الكامن فى هذه الشائعات دويا سياسيا هائلا حيث أن هتلر كان نصيرا متحمسا لإيديولوجيات عنصرية ومعادية للسامية. وقد حاول خصومه جاهدين اثبات نسب هتلر إلى اصول يهودية أو تشيكية. وبالرغم من أن هذه الإشاعات لم تثبت صحتها أبداً، فإنهاكانت كافية بالنسبة لهتلر لكى يقوم باخفاء اصوله. ووفقا لما ذكره روبرت جى إل وايت فى كتابه The Psychopathic God: Adolf Hitler فقد منع هتلر بقوة القانون عمل المرأة الألمانية فى البيوت اليهودية. وبعد ضم النمسا إلى ألمانيا " Anschluss" Austria قام هتلر بتحويل المدينة التى عاش فيها والده إلى منطقة لتدريب المدفعية. ويقول وايت أن الشعور بعدم الثقة

وبالخوف الذى كان هتلر يشعر به ازاء هذا الموضوع قد يكون أكثر اهمية من محاولة خصومه اثبات اصوله اليهودية اثباتا فعليا.

ليالى البؤس فى فيينا وميونيخ

بدءاً من عام ١٩٠٥عاش هتلر حياة بوهيمية فى فيينا على منحة حكومية لإعانة الايتام ودعم مالى كانت والدته تقدمه له. وتم رفض قبوله مرتين فى اكاديمية الفنون الجميلة فى فيينا وذلك فى عامى ١٩٠٧ و١٩٠٨ لأنه "غير مناسب لمجال الرسم" واخبروه أن من الافضل له توجيه قدراته إلى مجال الهندسة المعمارية. وعكست مذكراته افتتانه بهذا الموضوع:

كان الهدف من رحلتى هو دراسة اللوحات الموجودة فى صالة العرض فى المتحف الذى كان يطلق عليه Court Museum ولكننى نادرا ما كنت اتلفت إلى أى شىء آخر سوى المتحف نفسه. فمنذ الصباح وحتى وقت متأخر من الليل، كنت انتقل بين المعروضات التى تجذب انتباهى، ولكن كانت المبانى دائماً هى التى تستولى على كامل انتباهى.

وبعد نصيحة رئيس المدرسة له، اقتنع هو أيضاً أن هذا هو الطريق الذى يجب أن يسلكه ولكن كان ينقصه الإعداد الاكاديمى المناسب للالتحاق بمدرسة العمارة.

وفى غضون أيام قلائل، ادركت فى اعماقى اننى يجب أن اصبح يوما مهندسا معماريا. والحقيقة هى أن سلوكى هذا الطريق كان مسألة شاقة للغاية حيث أن اهمالى لاتمام دراستى فى المدرسة الثانوية قد ألحق الضرر بى لانه كان ضروريا إلى حد بعيد. وكان لا يمكن أن التحق بالمدرسة المعمارية التابعة للاكاديمية دون أن اكون قد التحقت قبلها

بمدرسة البناء الخاصة بالدراسة الفنية والتى كان الالتحاق بها يستلزم الحصول على شهادة المدرسة الثانوية. ولم اكن قد قمت بأية خطوة من هذه الخطوات. فبدا لى أن تحقيق حلمى فى دنيا الفن مستحيلا بالفعل.

وفى الحادى والعشرين من ديسمبر فى عام ١٩٠٧ توفيت والدة هتلر إثر اصابتها بسرطان الثدى عن عمر يناهز السبعة واربعين عاما. وبأمر من احد المحاكم فى Linzاعطى هتلر نصيبه فى الاعانة التى تمنحها الحكومة للايتام لشقيقته باولا. وعندما كان فى الحادية والعشرين من عمره، ورث هتلر اموالا عن واحدة من عماته. وحاول هتلر أن يشق طريقه بجهد كرسام فى فيينا حيث كان ينسخ المناظر الطبيعية الموجودة على البطاقات البريدية ويبيع لوحاته إلى التجار والسائحين وبعد أن رفضته أكاديمية الفنون للمرة الثانية، كان ماله كله قد نفذ. وفى عام ١٩٠٩ عاش هتلر فى مأوى للمشردين. ومع حلول عام ١٩١٠ كان هتلر قد استقر فى منزل يسكن فيه الفقراء من العمال فى Meldemannstra'e.

وصرح هتلر أن اعتقاده فى وجوب معاداة السامية ظهر لاول مرة فى فيينا التى كانت تعيش فيها جالية يهودية كبيرة تشتمل على اليهود الأرثوذكس الذين فروا من المذابح المنظمة التى تعرضوا لها فى روسيا. وعلى الرغم من ذلك، فقد ورد على لسان احد اصدقاء طفولته وهو - أوجست كوبيتسك - أن ميول هتلر "المؤكدة فى معاداة السامية" قد ظهرت قبل أن يغادر Linz فى النمسا. وفى هذه الفترة، كانت فيينا مرتعا لانتشار روح التحيز الدينى التقليدية، وكذلك للعنصرية التى ظهرت فى القرن التاسع عشر. ومن الممكن أن يكون هتلر قد تأثر بكتابات لانز فون ليبنفيلس؛ واضع النظريات المعادية للسامية، وكذلك باراء المجادلين من

رجال السياسة امثال: كارل لويجر مؤسس الحزب الاشتراكى المسيحى وعمدة فيينا بالإضافة إلى المؤلف الموسيقى ريتشارد فاجنر وجورج ريتر فون شونيرر وهو احد زعماء حركة القومية الألمانية التى عرفت باسم بعيدا عن روما!؛ وهى الحركة التى ظهرت فى أوروبا فى القرن التاسع عشر والتى كانت تهدف إلى توحيد الشعوب التى تتحدث الألمانية فى أوروبا. ويزعم هتلر فى كتابه Mein Kampf أن تحوله عن فكرة معأرضة معاداة السامية من منطلق دينى إلى تأييدها من منطلق عنصرى جاء من احتكاكه باليهود الأرثوذكس.

واذا كان هذا التفسير صحيحا، فمن الواضح أن هتلر لم يكن يتصرف وفقا لهذا المعتقد الجديد. فقد كان غالبا ما ينزل ضيفا على العشاء فى منزل احد النبلاء اليهود بالإضافة إلى قدرته الكبيرة على التفاعل مع التجار اليهود الذين كانوا يحاولون بيع لوحاته.

وربما تأثر هتلر أيضاً بقراءته للدراسة التى قام بها مارتن لوثر والتى كان عنوانها .The Jews and their Lies On وفى كتابه Mein Kampf يشير هتلر إلى مارتن لوثر باعتباره محاربا عظيما ورجل دولة حقيقى ومصلح عظيم، وكذلك كان كل من فاجنر وفريدريك الكبير بالنسبة له. وكتب فيلهيلم روبك عقب واقعة الهولوكوست، قائلاً: "مما لا شك فيه أن مذهب مارتن لوثر كان له تأثير على التاريخ السياسى والروحى والاجتماعى فى ألمانيا بطريقة - بعد التفكير المتأمل فى كل جوانبها - يمكن وصفها بأنها كانت جزءًا من اقدار ألمانيا.

وزعم هتلر أن اليهود كانوا اعداء للجنس الآرى. كما ألقى على كاهل اليهود مسئولية الازمة التى حدثت فى النمسا. واستطاع الوقوف على

صور محددة من الاشتراكية والبلشفية التى تزعمها العديد من القادة اليهود ـ كنوع من انواع الحركات اليهودية ـ ليقوم بعمل دمج بين معاداة السامية وبين معاداة الماركسية. وفى وقت لاحق، ألقى هتلر باللوم فى هزيمة الجيش الألمانى أثناء الحرب العالمية الأولى على ثورات عام ١٩١٨ ومن ثم، اتهم اليهود بجريمة التسبب فى ضياع أهداف ألمانيا الاستعمارية، وكذلك فى التسبب فى المشكلات الاقتصادية التى ترتبت على ذلك.

وعلى ضوء المشاهد المضطربة التى كانت تحدث فى البرلمان فى عهد الملكية النمساوية متعددة الجنسيات، قرر هتلر عدم صلاحية النظام البرلمانى الديمقراطى للتطبيق. وبالرغم من ذلك ـ ووفقاً لما قاله أوجست كوبيتسك والذى شاركه الغرفة نفسها فى وقت من الاوقات ـ أن هتلر كان مهتما باعمال الاوبرا التى ألفها فاجنر أكثر من اهتمامه بارائه السياسية.

واستلم هتلر الجزء الاخير من ممتلكات والده فى مايو من عام ١٩١٣ لينتقل بعدها للعيش فى ميونيخ. وكتب هتلر فى Mein Kampf أنه كان يتوق دائماً للحياة فى مدينة ألمانية "حقيقية". وفى ميونيخ، اصبح هتلر أكثر اهتماما بفن المعمار؛ وذلك ما جاء على لسان هتلر وظهر فى كتابات هوستن ستيوارت تشامبرلين. كما أن انتقاله إلى ميونيخ قد ساعده أيضاً على التهرب من اداء الخدمة العسكرية فى النمسا لبعض الوقت بالرغم من أن الشرطة فى ميونيخ (والتى كانت تعمل بالتعاون مع السلطات النمساوية) تمكنت فى نهاية الأمر من القاء القبض عليه. وبعد فحصه جسديا وتقدمه بالتماس يدل على ندمه على ما اقترفه، تقرر أنه غير لائق لاداء الخدمة العسكرية وتم السماح له بالعودة إلى ميونيخ. ومع

ذلك، وعندما دخلت ألمانيا الحرب العالمية الأولى فى اغسطس من عام ١٩١٤ ?تقدم هتلر بالتماس لملك بافاريا لودفيج الثالث ملك بافاريا للسماح له بالخدمة فى فوج بافارى. وبالفعل وافق الملك على التماسه، وتم تجنيد أدولف هتلر فى الجيش البافارى.

سنة أولى حرب

خدم هتلر فى فرنسا وبلجيكا مع الفوج البافارى الاحتياطى السادس عشر (والذى عرف باسم فوج ليست "Regiment List" نسبة إلى قائده الأول). وانتهت الحرب بتقلده رتبة Gefreiter وهى رتبة تعادل وكيل عريف فى الجيش البريطانى وجندى من الدرجة الأولى فى الجيوش الأمريكية). عمل هتلر كرسول بين الجيوش؛ وهى واحدة من اخطر الوظائف على الجبهة الغربية، وكان معرضا فى اغلب الاحيان للاصابة بنيران العدو. كما اشترك فى عدد من المعارك الرئيسية على الجبهة الغربية، وتضمنت هذه المعارك: معركة Ypres الأولى والتى وقعت فى جنوب بلجيكا، ومعركة Somme التى وقعت بالقرب من ذلك النهر الفرنسى الذى يحمل نفس الاسم، ومعركة Arras التى وقعت فى شمالى فرنسا، ومعركة Passchendaele التى وقعت فى شمال غرب بلجيكا. ودارت معركة Ypres فى اكتوبر من عام ١٩١٤ وكانت معروفة فى ألمانيا باسم (Kindermord bei Ypern مذبحة الأبرياء) حيث شهدت مقتل حوالى اربعين ألفًا من الجنود (وهو عدد بين ثلث ونصف عدد الجنود المشاركين فيها) وذلك من كتائب المشاة التسعة التى اشتركت فيها، وخلال عشرين يوما. اما الكتيبة التى كان هتلر فردا من افرادها، فقد تقلص عدد الجنود فيها من مائتين وخمسين جندى إلى اثنين واربعين جنديا

بحلول شهر ديسمبر. وكتب كاتب السير الذاتية جون كيجان أن هذه التجربة قد جعلت هتلر يتجه إلى الانعزال والانطواء على نفسه خلال السنوات الباقية للحرب.

وتقلد هتلر وسامين تقديرا لشجاعته فى الحرب. حيث تقلد وسام الصليب الحديدى من الدرجة الثانية فى عام ١٩١٤، وتقلد أيضاً وسام الصليب الحديدى من الدرجة الأولى فى عام ١٩١٨ وهو تكريم نادرا ما يحصل عليه عسكرى من رتبة Gefreiter.

ومع ذلك، لم تتم ترقية هتلر إلى رتبة (Unteroffizierوهى رتبة تعادل العريف فى الجيش البريطانى) نظرا لكونه يفتقر إلى المهارات القيادية من وجهة نظر قادة الفوج الذى كان ينتمى اليه. ويقول بعض المؤرخين الآخرين أن السبب وراء عدم ترقيته يرجع إلى أنه لم يكن مواطنا ألمانياً. وكانت المهام التى كان هتلر يكلف بها فى المقرات العسكرية محفوفة عادة بالمخاطر، ولكنها سمحت له بمتابعة انتاج اعماله الفنية. وقام هتلر برسم الصور الكاريكاتورية والرسومات التعليمية لاحدى الصحف التابعة للجيش. وفى عام ١٩١٦اصيب هتلر بجرح إما فى منطقة اصل الفخذ أو فى الفخذ الايسر وذلك أثناء مشاركته فى معركة Somme ولكنه عاد إلى الجبهة مرة اخرى فى مارس من عام ١٩١٧. وتسلم شارة الجرحى فى وقت لاحق من نفس العام. واشار سباستيان هافنر إلى تجربة هتلر على الجبهة موضحا أنها سمحت له على اقل تقدير بفهم الحياة العسكرية.

وفى الخامس عشر من اكتوبر فى عام ١٩١٨ دخل هتلر احدى المستشفيات الميدانية على إثر اصابته بعمى مؤقت عقب تعرضه لهجوم بغاز الخردل. ويشير العالم النفسى الانجليزى ديفيد لويس وكذلك

بيرنارد هورسمتان إلى أن اصابة هتلر بالعمى قد تكون نتيجة اضطراب تحولى (والذى كان معروفا فى ذلك الوقت باسم هستريا).

وعقب هتلر على هذه الواقعة فقال أنه أثناء هذه التجربة اصبح مقتنعا أن سبب وجوده فى الحياة هو "إنقاذ ألمانيا". ويحاول بعض الدارسين - خاصة لوسى دافيدوفيتش، أن يبرهنوا على أن نية هتلر لإبادة يهود أوروبا كانت تامة الرسوخ فى ذهنه فى ذلك الوقت على الرغم من عدم استقراره على الطريقة التى سيتمكن بها من تنفيذ هذا الامر. ويعتقد معظم المؤرخين أنه اتخذ هذا القرار فى عام ١٩٤١ بينما يعتقد البعض الآخر أنه قد عقد العزم عليه فى وقت لاحق فى عام ١٩٤٢.

وذكرت فقرتان فى كتابه Mein Kampf استخدام الغاز السام.

كان اعجاب هتلر بألمانيا قد سيطر عليه منذ زمن بعيد، واثناء الحرب اصبح وطنيا متحمسا اشد الحماس للدفاع عن ألمانيا بالرغم من أنه لم يصبح مواطنا ألمانيا حتى عام ١٩٣٢, ورأى هتلر أن الحرب هى "اعظم الخيرات التى يمكن أن يمر بها المرء فى حياته". وفى وقت لاحق، اشاد به عدد من قادته تقديرا لشجاعته. وصدم هتلر من اتفاقية الاستسلام التى وقعتها ألمانيا فى نوفمبر من عام ١٩١٨ على الرغم من سيطرة الجيش الألمانى حتى ذلك الوقت على أراض للعدو.

ومثله مثل العديد من المناصرين للقومية الألمانية، كان هتلر يؤمن باسطورة (legende Dolchsto) طعنة الخنجر) التى قالت بأن الجيش "الذى لم تتم هزيمته فى ساحة المعركة" قد "تعرض لطعنة فى الظهر" من قادة مدنيين وماركسيين على الجبهة الداخلية.

وقد عرف هؤلاء السياسيين فيما بعد باسم مجرمى نوفمبر.

وحرمت معاهدة فرساى ألمانيا من مناطق عديدة كانت تابعة لها، وجردت منطقة Rhinland من الصفة العسكرية التى كانت تتمتع بها، كما فرضت عقوبات اقتصادية مدمرة اخرى على ألمانيا. واعادت المعاهدة الوجود لدولة بولندا من جديد؛ وهو الأمر الذى اعتبره الألمان - حتى المعتدلين منهم - نوعا من انواع الاهانة. وحملت المعاهدة ألمانيا مسئولية كل فظائع الحرب، وهو الأمر الذى ينظر اليه مؤرخون بارزون من امثال: جون كيجان الآن باعتباره على اقل تقدير تطبيقا للعدالة من وجهة نظر الطرف المنتصر: فقد طغت الصفة العسكرية على معظم الامم الأوروبية فى الفترة التى سبقت الحرب العالمية الأولى بشكل متزايد وكانت هذه الامم تتلهف للقتال. وكان القاء اللوم على ألمانيا هو الاساس لفرض اصلاحات على ألمانيا (وقد تم تعديل مقدار هذه الاصلاحات بشكل متكرر وفقا للخطط المعروفة باسم Plan Dawes وPlan Young وMoratoriun Hoover).

اما ألمانيا، فقد رأت أن المعاهدة وخاصة البند رقم ٢٣١ منها وبالتحديد الفقرة التى تتحدث عن مسئولية ألمانيا عما حدث فى الحرب نوعا من انواع الاهانة. فعلى سبيل المثال: كان هناك تجريد كامل للقوات المسلحة الألمانية من صفتها العسكرية يسمح لها بالاحتفاظ بست بوارج فقط ويمنعها من الاحتفاظ بغواصات أو قوات جوية أو مركبات مدرعة أو جيش يفوق عدده مائة ألف من الجنود إلا تحت ظروف التجنيد الاجبارى التى يمكن أن تفرضها الحرب. وكان لمعاهدة فرساى دورا مهما فى الظروف الاجتماعية والسياسية التى صادفها هتلر واتباعه من النازيين أثناء سعيهم للفوز بالسلطة. ونظر هتلر وحزبه إلى توقيع "مجرمى نوفمبر" على المعاهدة كسبب يدعوهم إلى بناء ألمانيا من جديد

بشكل لا يتكرر معه ما حدث مرة اخرى. واستخدم هتلر مجرمى نوفمبر ككبش فداء على الرغم من الخيارات المحدودة للغاية والتى كانت متاحة أمام هؤلاء الساسة فى مؤتمر باريس للسلام.

فى عالم السياسة

وكان رقم العضوية الحقيقى لهتلر هو ٥٥٥ (ومعناه العضو الخامس والخمسون فى قائمة اعضاء الحزب - وتمت اضافة الرقم ٥ ليبدو عدد اعضاء الحزب اكبر)، ولكن فيما بعد تم تقليل الرقم ليترك انطباعا بان هتلر كان واحدا من الاعضاء المؤسسين للحزب. وقد كان هتلر يرغب فى تكوين الحزب الخاص به، ولكن صدرت اليه الاوامر من رؤسائه فى قوة الدفاع الوطنية بأن يخترق صفوف الحزب الموجود فعلاً.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، ظل هتلر فى الجيش وعاد إلى ميونيخ حيث شارك فى الجنازة العسكرية التى اقيمت لرئيس الوزراء البافارى الذى تم اغتياله - كيرت آيسنر وذلك على خلاف تصريحاته التى أعلنها فى وقت لاحق. وفى اعقاب قمع الجمهورية السوفيتية البافارية، شارك هتلر فى حضور دورات "الفكر القومى" التى كان ينظمها قسم التعليم والدعاية التابع للجماعة البافارية التى كان يطلق عليها اسم Reichswehr فى مركز القيادة الرئيسى الرابع تحت اشراف كابتن كارل ماير. وتم القاء اللوم على الشعب اليهودى الذى ينتشر افراده فى كل أنحاء العالم، وعلى الشيوعيين، وعلى رجال السياسة من كل الانتماءات الحزبية؛ خاصة تحالف فايمار الائتلافى.

وفى يوليو من عام ١٩١٩ تم تعيين هتلر فى منصب (Verbindungsmann جاسوس للشرطة) وكان يتبع (Aufklärungskommando قيادة الاستخبارات)

التى كانت تتبع (Reichswehr قوة الدفاع الوطنية) من أجل التأثير على الجنود الآخرين واختراق صفوف حزب صغير؛ وهو حزب العمال الألمانى (DAP). واثناء استكشافه للحزب، تأثر هتلر بافكار مؤسس الحزب أنتون دريكسلر المعادية للسامية والقومية والمناهضة للرأسمالية والمعارضة لافكار الماركسية. وكانت افكاره تؤيد وجود حكومة قوية ونشيطة؛ وهى افكار مستوحاة من الافكار الاشتراكية "غير اليهودية" ومن الايمان بضرورة وجود تكافل متبادل بين كل افراد المجتمع. كما حازت مهارات هتلر الخطابية على اعجاب دريكسلر فدعاه إلى الانضمام للحزب ليصبح العضو الخامس والخمسين فيه. كما اصبح هتلر أيضاً العضو السابع فى اللجنة التنفيذية التابعة للحزب. وبعد مرور عدة سنوات، ادعى هتلر أنه العضو السابع من الاعضاء المؤسسين للحزب، ولكن ثبت كذب هذا الادعاء.

كما التقى هتلر مع ديتريش إيكارت وهو واحد من المؤسسين الاوائل للحزب، كما كان عضوا فى الجمعية السرية المعروفة باسمThule Society. واصبح إيكارت المعلم الخاص بهتلر الذى يعلمه الطريقة التى يجب أن ينتقى بها ملابسه ويتحدث بها، كما قدمه إلى مجتمع واسع من الناس. ووجه هتلر عميق شكره إلى إيكارت عن طريق الثناء عليه فى المجلد الثانى من كتابه المعروف باسم .Mein Kampf وفى محاولة لزيادة شعبية الحزب، قام الحزب بتغيير اسمه إلىNationalsozialistische Deutsche Arbeiterparteiأو حزب العمال الألمانى الاشتراكى الوطنى.

وتم تسريح هتلر من الجيش فى مارس من عام ١٩٢٠ فبدأ مدعوما بالتشجيع المستمر من اعضاء الحزب من ذوى المناصب الاعلى فى المشاركة الكاملة فى انشطة الحزب. وفى بدايات عام ١٩٢١ بدأ هتلر يتمكن بشكل كامل من اجادة فن الخطابة أمام الحشود الكبيرة. وفى

فبراير، تحدث هتلر أمام حشد يضم حوالى ستة آلاف فرد فى ميونيخ. وللدعاية لهذا الاجتماع، ارسل هتلر شاحنتين محملتين بمؤيدى الحزب ليجوبوا الشوارع وهم يحملون الصليب المعقوف محدثين حالة من الفوضى وهم يلقون بالمنشورات صغيرة الحجم إلى الجماهير فى أول تنفيذ للخطة التى قاموا بوضعها. انتشرت سمعة هتلر السيئة خارج الحزب نظرا لشخصيته الفظة وخطاباته الجدلية العنيفة المناهضة لمعاهدة فرساى والسياسيين المنافسين له (بما فى ذلك انصار الحكم الملكى والمنادين بفكرة القومية وغيرهم من الاشتراكيين غير المؤمنين بسياسة التعاون الاقتصادى والسياسى بين الدول) واشتهر بوجه خاص بخطاباته المناهضة للماركسيين ولليهود.

واتخذ حزب العمال الألمانى الاشتراكى الوطنى من ميونيخ مقرا له. وكانت ميونيخ فى ذلك الوقت أرضا خصبة لمناصرى القومية الألمانية الذين كان منهم ضباط من الجيش قد عقدوا العزم على سحق الماركسية وتقويض دعائم جمهورية فايمار (الجمهورية التى نشأت فى ألمانيا فى الفترة من ١٩١٩ إلى ١٩٣٣ كنتيجة للحرب العالمية الأولى وخسارة ألمانيا الحرب). وبمرور الوقت، لفت هتلر وحركته التى اخذت فى النمو انظار هؤلاء الضباط باعتبارها اداة مناسبة لتحقيق اهدافهم. وفى صيف عام ١٩٢١ ?سافر هتلر إلى برلين لزيارة بعض الجماعات التى كانت تنادى بالقومية. وفى فترة غيابه، كانت هناك حالة من التمرد بين قيادات حزب العمال الألمانى فى ميونيخ.

وتولت ادارة الحزب لجنة تنفيذية نظر أعضاؤها الأساسيون إلى هتلر باعتباره شخصية متغطرسة ومستبدة. وقام هؤلاء الاعضاء بتشكيل حلف مع مجموعة من الاشتراكيين فى مدينة .Augsburg وامره هتلر بالعودة

إلى ميونيخ وحاول مقاومة الهجمة الشرسة عليه بتقديم استقالته رسميا من الحزب فى الحادى عشر من يوليو فى عام ١٩٢٠. وعندما ادرك هؤلاء الاعضاء أن خسارتهم لهتلر ستعنى عمليا نهاية الحزب، انتهز هتلر الفرصة وأعلن عن إمكانية عودته إلى الحزب شريطة أن يحل محل دريكسلر فى رئاسة الحزب متمتعا بالنفوذ المطلق فيه. وحاول اعضاء الحزب الحانقين (بما فيهم دريكسلر) الدفاع عن مكانتهم فى بداية الامر. وفى ذلك الوقت، ظهر كتيب مجهول المصدر يحمل عنوان (Adolf Hitler: Is he a traitor أدولف هتلر: هل هو خائن؟) ليهاجم تعطش هتلر للاستيلاء على السلطة وينتقد زمرة الرجال الملتفين حوله والذين يتميزون بالعنف. وردا على نشر هذا الكتيب عنه فى صحيفة تصدر فى ميونيخ، اقام هتلر دعوى قضائية بسبب التشهير، وحظى فى وقت لاحق بتسوية بسيطة معهم.

وتراجعت اللجنة التنفيذية لحزب العمال الألمانى الاشتراكى الوطنى عن موقفها فى نهاية الأمر واعترفت بهزيمتها.وتم التصويت بين اعضاء الحزب بشأن الموافقة على مطالب هتلر. وحصل هتلر على موافقة خمسمائة وثلاثة واربعين صوتا من اصوات الاعضاء فى مقابل الرفض من صوت واحد فقط. وفى الاجتماع التالى لاعضاء الحزب الذى عقد فى التاسع والعشرين من يوليو فى عام ١٩١٢تم تقديم أدولف بصفته فوهرر (Führer) لحزب العمال الألمانى الاشتراكى الوطنى؛ وهى المرة الأولى التى تم فيها الاعلان عن هذا اللقب على الملأ.

وبدأت الخطب التى كان هتلر يلقيها فى النوادى التى كان يجتمع فيها افراد الشعب الألمانى ليهاجم بها اليهود والديمقراطيين الاشتراكيين والليبراليين وانصار الحكم الملكى الرجعيين والرأسماليين والشيوعيين

تؤتى ثمارها المرجوة وتجذب اليه المزيد من المؤيدين. وكان من مؤيدى هتلر الاوائل: ردولف هس، والطيار السابق فى القوات الجوية هيرمان جورينج وقائد الجيش إيرنست روم الذى اصبح بعد ذلك رئيسا للمنظمة شبه العسكرية النازية المعروفة باسم Sturmanteilung أو (كتيبة العاصفة) التى تولت حماية الاجتماعات والهجوم على خصومه السياسيين. وكون هتلر جماعات مستقلة مشابهة مثل: Deutsche Werkgemeinschaft جبهة العمل الألمانية، والتى اتخذت من مدينة Nuremberg مقرا لها. وكان يوليوس شترايشر رئيسا لها، وشغل بعد ذلك منصب Gauleiter قائد فرع اقليمى لحزب العمال الألمانى الاشتراكى الوطنى فى منطقة .Franconia علاوة على ذلك، لفت هتلر انظار اصحاب المصالح التجارية المحليين، وتم قبوله فى الدوائر التى كانت تتضمن اصحاب النفوذ فى مجتمع مدينة ميونيخ. كما اقترن اسمه باسم القائد العسكرى الذى كان ذائعا فى فترة الحرب: الجنرال ايريك لودندورف.

انقلاب فاشل

مدفوعا بهذا الدعم المبكر، قرر هتلر استخدام اسم الجنرال لودندورف كواجهة فى محاولة الانقلاب التى عرفت فيما بعد باسم انقلاب Bürgerbräukeller والذى يشار اليه احيانا باسم انقلاب هتلر أو انقلاب ميونيخ). وحاكى الحزب النازى فى المسائل الظاهرية الفاشيين فى ايطاليا، كما اقتبسوا أيضاً بعض الجوانب فى برنامج العمل الخاص بهم. وفى عام ١٩٢٣ اراد هتلر محاكاة مسيرة روما التى قام بها بينيتو موسولينى بخروجه على الجماهير بحملته التى اطلق عليها "حملة فى برلين". وحصل هتلر ولودندورف على الدعم السرى من جوستاف فون

كار حاكم بافاريا الفعلى (Bavaria's de facto ruler) إلى جانب دعم شخصيات بارزة فى قوات الدفاع الوطنية وفى الشرطة. واظهرت الملصقات السياسية مخططات هتلر ولودندورف وقادة الشرطة البافارية والقوات العسكرية لتشكيل حكومة جديدة.

وفى الثامن من نوفمبر فى عام ١٩٢٣اقتحم هتلر وكتيبة العاصفة اجتماعا عاما يرأسه كار فى Bürgerbräukeller وهو احد النوادى التى كانت تنتشر فى جنوب ألمانيا فى مدنها الكبرى فى بدايات القرن العشرين والتى كان يقصدها المئات - بل والآلاف من الزوار - للتباحث فى الامور الاجتماعية والسياسية التى تهمهم. وأعلن هتلر أنه قد شكل حكومة جديدة بمعاونة لودندورف. وطلب - تحت تهديد السلاح - كل من كار والمؤسسة العسكرية المحلية بدعمه من أجل الإطاحة بحكومة برلين. ولكن، كار سحب دعمه وفر هاربا لينضم إلى المعارضين لهتلر فى أول فرصة سنحت له. وفى اليوم التالى، عندما زحف هتلر وأتباعه فى مسيرة من هذا النادى إلى وزارة الحرب البافارية للاطاحة بالحكومة البافارية فى بداية "مسيرة برلين"، نجحت قوات الشرطة فى تشتيت شملهم. واسفرت هذه المسيرة عن مصرع ستة عشر عضوا من اعضاء حزب العمال الألمانى الاشتراكى الوطنى.

فر هتلر إلى منزل إرنست هانفشتينجل وفكر فى الانتحار. وتم القبض عليه بعد ذلك بوقت قصير بتهمة الخيانة العظمى. واصبح ألفريد روزنبرج زعيما مؤقتا للحزب. واثناء محاكمته، لم يكن هتلر مقيدا بزمن محدد للكلام وكانت شعبيته تزداد كلما جهر بالمشاعر المناصرة للقومية فى خطابه الدفاعى. واصبحت الشخصية التى تعيش فى مدينة ميونيخ شهيرة على الصعيد القومى. وفى الأول من إبريل فى عام ١٩٢٤، حكم على هتلر بالسجن لمدة خمس سنوات فى سجن لاندسبرج. وكان

الحراس يعاملون هتلر معاملة جيدة؛ فكان يتلقى بريدا يحمل اليه الكثير من خطابات المعجبين. وفى التاسع عشر من ديسمبر فى عام ١٩٢٠ صدر امر بالعفو عنه من المحكمة البافارية العليا، وتم اطلاق سراحه فى العشرين من ديسمبر فى عام ١٩٢٠. كما أعلنت المحكمة عن رفضها النهائى لاعتراض المدعى العام للولاية على اطلاق السراح المبكر لهتلر. وقضى هتلر اقل من سنة من مدة عقوبته حيث اشتملت هذه السنة على الفترة التى قضاها فى السجن الاحتياطى انتظارا لقرار المحكمة.

وفى الثامن والعشرين من يونيو فى عام ١٩٢٥ بعث هتلر بخطاب من مدينة Uffing إلى رئيس تحرير صحيفة الأمة فى مدينة نيويورك يخبره بالمدة الطويلة التى قضاها فى السجن فى "S Sandberg a" كما اخبره أيضاً عن الامتيازات التى تم سحبها منه.

كفاحى

اثناء وجوده فى سجن لاندسبرج، أملى هتلر معظم المجلد الأول من كتابه (Mein Kampf كفاحى) والذى كان عنوانه الاصلى (اربع سنوات ونصف من الكفاح ضد الاكاذيب والغباء والجبن) على نائبه ردولف هس.

واهدى هذا الكتاب الذى تضمن سيرته الذاتية وعرض لمذهبه الأيديولوجى إلى عضو الجمعية السرية المعروفة باسمThule Society ديتريش إيكارت. وتم نشر هذا الكتاب فى مجلدين خلال عامى ١٩٢٥ و١٩٢٦ وبيعت منه حوالى مائتين واربعين الف نسخة ما بين عامى ١٩٢٥ و١٩٣٤. ومع نهاية الحرب العالمية، كان قد تم بيع حوالى عشرة ملايين نسخة أو توزيعها (وحصل المتزوجون حديثا والجنود على نسخ مجانية من الكتاب).

قضى هتلر سنوات يتهرب من دفع الضرائب عن الحقوق المالية التى حصل عليها من بيع نسخ كتابه، وتراكمت عليه ديون للضرائب لتصبح حوالى ٤٠٥,٥٠٠ مارك ألمانى (بما يعادل ستة ملايين يورو فى الوقت الحالى) وبمرور الوقت اصبح مستشارا للبلاد (وفى هذا الوقت سقطت ديونه).

اما حقوق النشر الخاصة بكتاب Mein Kampf فى أوروبا، فقد طالبت بها ولاية بافاريا الحرة، ومن المقرر أن تنتهى فى الحادى والثلاثين من شهر ديسمبر فى عام ٢٠١٥ ويتم التصريح باعادة طبع الكتاب فى ألمانيا فقط لخدمة الاغراض التعليمية. ومع ذلك لم يكن هذا الأمر واضحا. كان هذا الأمر واحدا من من الامور الغامضة. قال المؤرخ فيرنر ماسر فى مقابلة شخصية له فى صحيفة "am Bild Sonntag" أن بيتر راوبال - وهو ابن لواحد من ابناء شقيق هتلر يدعى ليو راوبال - سيكون لديه سند قوى إذا سعى لاستعادة حقوق النشر الخاصة بكتاب هتلر من بافاريا. وقد صرح راوبال بأنه لا يريد الحصول على أى جزء من اجزاء حقوق نشر الكتاب؛ والذى يمكن أن يجنى من ورائه ما يقدر بالملايين بعملة اليورو.

وقد أدى هذا الوضع غير المحدد إلى نشوب نزاعات وصلت إلى ساحات القضاء فى بولندا والسويد. وكتاب Mein Kampf بالرغم من ذلك، قد تم نشره فى الولايات المتحدة، وفى غيرها من الدول مثل تركيا وإسرائيل من قبل مجموعة من الناشرين ذوى الانتماءات السياسية المتنوعة.

إعادة بناء الحزب

وفى الوقت الذى تم فيه اطلاق سراح هتلر، كان الموقف السياسى فى ألمانيا قد بدأ يهدأ واخذت الاحوال الاقتصادية فى التحسن مما فرض

قيودا على فرص هتلر فى الاثارة والتأليب. وبالرغم من أن انقلاب هتلر العسكرى قد أكسبه بعض الشهرة على الصعيد القومى، فإن عماد الحزب الذى يرأسه هتلر ظل فى مدينة ميونخ.

وتم حظر نشاط حزب العمال الألمانى الاشتراكى الوطنى واعضائه فى بافاريا عقب فشل الانقلاب. وتمكن هتلر من اقناع هاينريش هيلد - رئيس وزراء بافاريا - بأن يرفع هذا الحظر مستندا إلى مزاعمه التى أكد فيها على أن الحزب سيسعى الآن إلى الحصول إلى السلطة السياسية عبر القنوات الشرعية. وبالرغم من تفعيل رفع الحظر المفروض على حزب العمال الألمانى الاشتراكى الوطنى فى السادس عشر من فبراير فى عام ١٩٢٥فإن هتلر قد جلب على نفسه حظرا جديدا نتيجة لخطبة ملتهبة القاها تسببت فى اثارة الشغب. ونظرا لحرمانه من القاء الخطابات العامة، قام هتلر بتعيين جريجور شتراسر - الذى تم انتخابه فى عام ١٩٢٤ لعضوية الرايخستاج (البرلمان الألمانى) - فى منصب Reichsorganisationsleiter (رئيس منظمة الرايخ)؛ ومنحه سلطة تنظيم الحزب فى شمال ألمانيا. وسلك شتراسر - بالإضافة إلى شقيقه الاصغر أوتو وجوزيف جوبلز - مسلكا بدأت استقلاليته فى التزايد مع مرور الوقت ليؤكد بذلك على وجود العنصر الاشتراكى فى برنامج الحزب. واصبحت Gauleiter Arbeitsgemeinschaft der Nord-West (قيادة جبهة العمل الألمانية فى فرعها الاقليمى فى شمال غرب ألمانيا) تشكل جبهة معارضة داخلية داخل الحزب لتهدد سلطة هتلر، ولكن، لحقت الهزيمة بهذه الزمرة المنشقة فى مؤتمر بامبرج الذى عقد فى عام ١٩٢٦ والذى انضم جوبلز خلاله إلى هتلر.

وعقب هذا الصدام، زاد هتلر من مركزية سلطته فى الحزب. واكد على وجود منصب Führerprinzip أو ("القائد الاساسى للحزب")

كمنصب يجعل منه المسئول الاساسى عن تنظيم شئون الحزب. فلا يتم انتخاب القادة من قبل الجماعات التى يقومون بقيادتها، ولكن يقوم رؤساؤهم من ذوى المراكز الاعلى بتعيينهم ويكون لهم أيضاً الحق فى مساءلتهم، بينما يتمتع هؤلاء القادة بالطاعة المطلقة ممن هم اقل منهم مركزا وتماشيا مع ازدراء هتلر لفكرة الديمقراطية فقد جعل كل السلطة والنفوذ تنتقل من اعلى لاسفل.

وكان العامل الرئيسى فى ازدياد شعبية هتلر بين الناس هو قدرته على استدعاء روح العزة الوطنية التى عرضتها معاهدة فرساى للمهانة والتى فرضها الحلفاء الغربيون على الامبراطورية الألمانية المهزومة وخسرت ألمانيا جزءا ذا اهمية اقتصادية من أراضيها فى أوروبا إلى جانب مستعمراتها. واعترافا منها بتحمل المسئولية الكاملة عن الحرب، وافقت على دفع مبلغ ضخم يقدر اجماليا بحوالى مائة واثنين وثلاثين مارك من أجل اصلاحات الخسائر التى خلفتها الحرب. واستاء معظم الألمان فى مرارة من بنود المعاهدة، ولكن كانت المحاولات السابقة التى قام بها النازيون للحصول على تأييد الشعب الألمانى بالقاء اللوم على "الشعب اليهودى فى كل أنحاء العالم" غير مقبولة بين جمهور الناخبين. وسرعان ما تعلم الحزب الدرس، فبدأ دعاية ماهرة تمزج بين معاداة السامية والهجوم على الاخطاء التى قام بها "نظام فايمار" والاحزاب السياسية الموالية له.

الطريق إلى الكرسى

كانت نقطة التحول السياسى فى حياة هتلر هى فترة الكساد العظيم الذى اصيبت به ألمانيا فى عام ١٩٣٠. فلم تكن جذور جمهورية فايمار قد

ترسخت تماما فى المجتمع الألمانى حيث واجهت معارضة صريحة من المحافظين الذين ينتمون لليمين السياسى (بما فيهم انصار الحكم الملكى) والشيوعيين والنازيين. ولأن ولاء الأحزاب كان للنظام الديمقراطى، فقد وجدت الجمهورية التى كانت تعتمد على النظام البرلمانى نفسها عاجزة عن الموافقة على إجراءات مضادة لهذه الديمقراطية. وهكذا، سقطت الحكومة الائتلافية وتم استبدالها بمجلس للوزراء يمثل الاقلية. وكان على المستشار الألمانى الجديد - هاينريش برونينج - ممثل حزب الوسط الكاثوليكى الألمانى الذى لم يستطع أن يفوز باغلبية مقاعد البرلمان أن ينفذ اجراءاته الخاصة من خلال مراسيم طارئة يصدرها الرئيس. وبعد أن اجازت غالبية الأحزاب هذا التصرف، اصبح الحكم بموجب مرسوم رئاسى هو القاعدة التى سارت على نهجها سلسلة من البرلمانات التى لم يكن لها اثر فعال؛ الأمر الذى مهد الطريق أمام ظهور العديد من الحكومات التى تعمل تحت مظلة الاستبدادية (الحكم الذى يخضع فيه الفرد وحقوقه خضوعا كاملا لمصلحة الدولة).

وادت معارضة الرايخستاج الأولية للاجراءات التى قام بها برونينج إلى اجراء انتخابات مبكرة فى سبتمبر من عام ١٩٣٠, وفقدت الأحزاب الجمهورية تمتعها بالفوز بغالبية الاصوات وكذلك املها فى الدخول مرة اخرى فى حكومة ائتلافية بينما انتعش الحزب النازى فجأة من الخمول النسبى الذى كان يتعرض له ليفوز بنسبة ١٨,٣٪ من الاصوات وبعدد مائة وسبعة من مقاعد البرلمان. واثناء ذلك، قفز الحزب النازى من مركزه السابق كتاسع اصغر حزب فى المجلس الذى ينتمى اليه من مجلسى البرلمان إلى ثانى اكبر الأحزاب فيه.

وفى الفترة من سبتمبر إلى اكتوبر فى عام ١٩٣٠ كان هتلر شاهدا رئيسيا للدفاع فى المحاكمة التى اجريت فى Leipzig لاثنين من صغار الضباط فى قوات الدفاع الوطنية الألمانية لاتهامهم بالانتساب إلى عضوية الحزب النازى: وهو امر كان محظورا فى تلك الفترة على العاملين فى قوات الدفاع الوطنية الألمانية.

واعترف الضابطان وهما الملازم أول ريشارد شيرينجر والملازم أول هانز لودين بمنتهى الصراحة بانتسابهم إلى عضوية الحزب النازى. واستندوا فى دفاعهم إلى أن عضوية الحزب النازى لا ينبغى أن تكون محظورة على الافراد الذين يخدمون فى قوات الدفاع الوطنية الألمانية. وعندما حاول الادعاء اقناع المحكمة بأن الحزب النازى يشكل قوة ثورية خطيرة تهدد البلاد، قام احد المحامين فى هيئة الدفاع وهو هانز فرانك باستدعاء هتلر إلى منصة الشهود لكى يثبت أن الحزب النازى يحترم سيادة القانون. واثناء الادلاء بشهادته، اصر هتلر على أن حزبه النازى عقد العزم على تقلد زمام الحكم بشكل قانونى وأن عبارة "ثورة وطنية" لا يمكن تفسيرها إلا "من منظور سياسى" وأن حزبه صديق وليس عدوا لقوات الدفاع الوطنية الألمانية.

واسفرت إجراءات برونينج لدعم ميزانية الدولة والتقشف المالى الذى انتهجه عن تحسن اقتصادى بسيط ولكنها قوبلت بمعارضة شديدة من الشعب الألمانى. وفى ظل هذه الظروف توجه هتلر بالمناشدة والاستغاثة لجمهور المزارعين الألمان وقدامى المحاربين وافراد الطبقة الوسطى الذين عانوا كثيرا تحت وطأة التضخم المالى الذى حدث فى العشرينيات والبطالة الناتجة عن الكساد الاقتصادى.

وفى سبتمبر من عام ١٩٣١ تم العثور على جثة ابنة شقيقة هتلر جيلى راوبال فى غرفة نومها فى شقته بميونخ. وكشفت التحريات عن موتها منتحرة (وقد كانت اخته غير الشقيقة انجيلا وابنتها جيلى تعيشان معه فى ميونخ منذ عام ١٩٢٩). وكانت جيلى، التى كان يعتقد أنها على علاقة عاطفية بهتلر، اصغر منه بتسعة عشر عاما، ويقال أنها قتلت نفسها بمسدسه. وتعتبر وفاة ابنة اخته مصدرا لألم عميق ودائم فى نفس هتلر.

وفى عام ١٩٣٢عقد هتلر العزم على ترشيح نفسه أمام الرئيس الطاعن فى السن باول فون هندينبرج فى الانتخابات الرئاسية المقررة. وبالرغم من أن هتلر كان قد ترك النمسا فى عام ١٩١٣ فإنه لم يكن قد حصل حتى ذلك الوقت على الجنسية الألمانية؛ ومن ثم لا يمكنه ترشيح نفسه لشغل أى منصب عام. ومع ذلك، وفى فبراير قامت حكومة ولاية Brunswick-Lüneburg ولاية كانت موجودة تاريخيا فى الفترة ما بين نهايات العصور الوسطى وبدايات العصور الحديثة، وكانت تقع فى المناطق الواقعة فى الشمال الغربى من الامبراطورية الرومانية، وكان يحكمها نبيل برتبة دوق والتى كان الحزب النازى مشتركا فيها بتعيين هتلر فى منصب ادارى صغير ومنحته الجنسية باعتباره مواطنا ينتمى اليها رسميا فى الخامس والعشرين من فبراير فى عام ١٩٣٢.

وفى هذه الايام، كان للولايات الألمانية الحق فى منح الجنسية للمواطنين. وهكذا، حصل هتلر تلقائيا على الجنسية الألمانية واصبح مؤهلاً لخوض الانتخابات الرئاسية.

وقام المواطن الألمانى الجديد بترشيح نفسه ضد هندينبرج الذى نال دعم قطاع عريض من المنادين بالقومية الرجعيين وانصار الحكم الملكى

والكاثوليكيين وانصار الحكم الجمهورى وحتى الأحزاب الاجتماعية الديمقراطية. وتواجد على ساحة الانتخابات أيضاً احد المرشحين من ذوى الانتماء الشيوعى وكذلك عضو يمينى ينتمى لجماعة ذات اراء متطرفة. وتم اطلاق اسم "Deutschland Hitler über" (هتلر فوق ألمانيا) على حملة هتلر الانتخابية. واشار هذا الاسم إلى معنيين حيث اشار إلى طموحات هتلر الديكتاتورية من جهة، والى تلك الحقيقة التى تشير إلى أنه ادار حملته متنقلا فى سماء ألمانيا من جهة أخرى. وكان هذا الأمر بمثابة تكتيك سياسى جديد تمكن هتلر من خلاله من مخاطبة الشعب الألمانى فى مدينتين خلال يوم واحد، وهو تكتيك لم يسمع به احد قبل ذلك الوقت.

وجاء هتلر فى المركز الثانى فى جولتى الانتخابات حاصلا على أكثر من خمسة وثلاثين بالمائة من نسبة الاصوات خلال الجولة الانتخابية الثانية التى اجريت فى إبريل. وبالرغم من حسم نتائج الانتخابات لصالح هندينبرج، فإنهاقد وضعت هتلر كمنافس حقيقى لا يمكن اغفال وجوده على الساحة السياسية فى ألمانيا.

الوزارتـــان

متأثراً بالمحيطين به من بطانة المستشارين غير الرسميين، اصبح هندينبرج ينفر بشكل متزايد من برونينج ويدفع مستشار دولته إلى أن يوجه دفة حكومته فى اتجاه محدد يعتمد على فكرة الاستبدادية وكذلك على افكار الاتجاه اليمين. حتى انتهى بوزارة برونينج إلى تقديم استقالتها فى مايو من عام ١٩٣٢.

وتم تعيين النبيل فرانز فون بابن مستشارا للبلاد ليترأس "مجلس وزراء البارونات" (لقب من القاب النبلاء)" وكان بابن يميل إلى الحكم

الاستبدادى، ولأن حزب الشعب الوطنى الألمانى المحافظ (DNVP) كان هو الحزب الوحيد الذى يؤيد ادارة بابن من بين احزاب الرايخستاج فقد دعا بابن على الفور إلى عقد انتخابات جديدة فى يوليو. واثناء هذه الانتخابات، تمكن النازيون من تحقيق اعظم انجازاتهم التى استطاعوا تحقيقها حتى ذلك الوقت عندما فازوا بمائتين وثلاثين مقعد ليصبحوا بذلك اكبر الأحزاب تمثيلا فى الرايخستاج.

ولإدراكه أنه من غير الممكن أن يتم تشكيل حكومة مستقرة دون دعم الحزب النازى، حاول بابن أن يقنع هتلر أن يصبح نائب المستشار الألمانى ويدخل حكومة جديدة على اساس برلمانى. وبالرغم من ذلك، فإن هتلر لم يكن ليرضى باقل من منصب المستشارية نفسه. وحاول هتلر أن يمارس المزيد من الضغط على بابن بالدخول فى مفاوضات موازية مع حجز الوسط - وهو الحزب الذى كان بابن ينتمى اليه فى السابق - الذى كان يميل إلى اسقاط حكم بابن المرتد عنه. وفى هذين الخطين المتوازيين من المفاوضات، طلب هتلر - بصفته رئيسا للحزب الاقوى - أن يتولى منصب المستشار، ولكن هندينبرج رفض باصرار أن يقوم بتعيين "وكيل عريف بوهيمى" فى منصب المستشارية.

وبعد التصويت على حجب الثقة عن حكومة بابن، تم حل الرايخستاج بتأييد من نسبة اربعة وثمانين بالمائة من نوابه، وتمت الدعوة إلى اجراء انتخابات جديدة فى نوفمبر. وفى هذه المرة، فقد النازيين بعضا من مقاعدهم ولكنهم احتفظوا بوضعهم كأكبر حزب فى الرايخستاج بحصولهم على نسبة ٣٣,١٪ من الاصوات.

وبعد أن فشل بابن فى الحصول على اغلبية من الاصوات، تقدم بطلب لحل البرلمان مرة اخرى مع ارجاء اجراء الانتخابات إلى أجل غير

مسمى. وفى البداية وافق هندينبرج على طلبه، ولكن بعد أن قام الجنرال كورت فون شلايخر والجيش بسحب تأييدهم له قام بدلا من ذلك باعفاء بابن من منصبه وتعيين شلايخر خلفا له. ووعد شلايخر بالحصول على اغلبية للحكومة عن طريق التفاوض مع الديمقراطيين الاشتراكيين والاتحادات العمالية والمنشقين عن الحزب النازى الذين كان يتزعمهم جريجور شتراسر. وفى يناير من عام ١٩٣٣ ?كان على شلايخر أن يعترف بفشل جهوده ويطلب من هندينبرج أن يمنحه سلطات طارئة بالإضافة إلى نفس الطلب بارجاء اجراء الانتخابات الذى عأرضه فى وقت سابق. واستجاب الرئيس لهذه الطلبات باعفاء شلايخر من منصبه.

هتلر مستشاراً

وفى هذه الاثناء، حاول بابن أن يثأر من شلايخر بالعمل على اسقاط الجنرال عن طريق التخطيط لمكيدة مع حاشية المستشارين غير الرسميين ومع ألفريد هوجنبج القطب الإعلامى البارز ورئيس حزب الشعب الوطنى الألمانى. كما اشترك فى هذه المكيدة هيلمار شاخت وفريتس تيسن ورجال أعمال اخرون بارزون.

وقد قاموا بدعم الحزب النازى ماديا بعد أن كان على وشك الافلاس بسبب التكلفة الضخمة لحملته الانتخابية. وكتب رجال الأعمال أيضاً خطابات إلى هندينبرج ليقوموا بحثه على تعيين هتلر رئيسا للحكومة "مستقلا عن الانتماء للاحزاب البرلمانية" وهو عمل من الممكن "ان يبهج إلى اقصى الحدود الملايين من المواطنين". واخيرا، وافق الرئيس على مضض على تعيين هتلر مستشارا يرأس حكومة ائتلافية يشكلها حزب العمال الألمانى الاشتراكى الوطنى وحزب الشعب الوطنى الألمانى. وعلى الرغم من

ذلك، كان عليه أن يعمل فى اطار مجلس محافظ للوزراء - ابرز من فيه هو بابن فى منصبه الجديد وهو نائب المستشار وهوجنبرج كرئيس للاقتصاد.

وكان فيلهلم فريك هو الوزير الآخر الوحيد الذى ينتمى إلى الحزب النازى بالإضافة إلى هتلر الذى تم اعطاؤه حقيبة وزارية - وهى وزارة الداخلية ذات النفوذ الضعيف نسبيا. (وفى ذلك الوقت، كانت معظم الصلاحيات التى يتم إعطاؤها لوزراء الداخلية فى البلاد الأخرى تمنح لوزراء الداخلية فى الولايات الألمانية). وفى محاولة للوصول إلى اتفاق يرضى النازيين، تم تسمية جورينج وزير بلا وزارة.

وفى الوقت الذى انتوى فيه بابن أن يجعل من هتلر رئيسا صوريا، استطاع النازيون أن يصلوا إلى مناصب رئيسية فى الوزارة. وعلى سبيل المثال، كان احد اجزاء الاتفاق الذى اصبح هتلر بمقتضاه مستشارا لألمانيا هو أن تتم تسمية جورينج - وزير داخلية بروسيا - وان يرأس اكبر قوة للشرطة فى ألمانيا.

وفى صباح الثلاثين من يناير فى عام ١٩٣٣ أدى هتلر اليمين كمستشار فى مراسم وصفها بعض المراقبين فى وقت لاحق بانها موجزة وبسيطة. والقى هتلر أول خطاب له كمستشار للدولة فى العاشر من فبراير. وعرف السعى النازى للوصول إلى السلطة فيما بعد باسم (Machtergreifung الاستيلاء على السلطة). وأنشأ هتلر ما اطلق عليه Reichssicherheitsduenst وهى قوة امن تابعة لوحدات النخبة النازية وكانوا الحرس الشخصى لهتلر.

حريق الرايخستاج وانتخابات مارس

وبعد أن وصل هتلر إلى منصب المستشار، احبط هتلر كل محاولات خصومه للفوز باغلبية المقاعد فى البرلمان. ونتيجة لعدم وجود أى حزب

من الأحزاب يستطيع الفوز باغلبية مقاعد البرلمان منفردا، فقد اقنع هتلر الرئيس هندينبرج بحل الرايخستاج مرة اخرى.

وتقرر اجراء الانتخابات فى بدايات مارس، ولكن كان الرايخستاج يحترق بالنيران فى السابع عشر من فبراير من عام ١٩٣٣. ولأنه قد تم العثور على هولندى مستقل شيوعى فى المبنى، فقد نسب الحريق إلى مخطط شيوعى. وكان رد فعل الحكومة هو اصدار مرسوم حريق الرايخستاج فى الثامن والعشرين من فبراير؛ وهو المرسوم الذى حرم الحزب الشيوعى من حقوق اساسية له منها الأمر بالمثول (أمر قضائى بالتحقيق فى قانونية سجن شخص معتقل). ووفقا لاحكام هذا المرسوم، تم قمع الحزب الشيوعى الألمانى (KPD) وغيره من الجماعات. وتم اعتقال موظفى ونواب الحزب الشيوعى وموظفيه أو نفيهم أو اغتيالهم.

واستمرت حملة النازيين التى احسنت استغلال العنف الذى ساد البرلمان وهستريا معاداة الشيوعية والوسائل التى كانت الحكومة تستخدمها فى الدعاية. وفى يوم الانتخابات فى السادس من مارس، زادت النسبة التى حصل عليها الحزب النازى (NSDAP) إلى ٤٣,٩٪ من الاصوات ليحتفظ باكبر نسبة للتمثيل فى البرلمان، ولكن كان فشله فى تحقيق اغلبية مطلقة هو ما افسد عليه الفرحة بنصره الذى تمكن من تحقيقه مما فرض عليه أن يحافظ على الائتلاف الذى شكله مع حزب الشعب الوطنى الألمانى.

التمكين

وفى الحادى والعشرين من شهر مارس، تم انشاء الرايخستاج الجديد فى مراسم افتتاح تمت اقامتها فى الموقع العسكرى التابع لكنيسة

بوتسدام .(Potsdam) وتم التخطيط لاقامة "يوم بوتسدام" بحيث يظهر التصالح والوحدة بين الحركة النازية الثورية و"بروسيا القديمة" ومن فيها من صفوة الشخصيات وما فيها من فضائل. وظهر هتلر فى الاحتفال مرتديا سترة رسمية طويلة مشقوقة الذيل وهو يحيى بتواضع الرئيس كبير السن ـ هندينبرج.

وبسبب فشل النازيين فى الحصول على اغلبية مقاعد البرلمان وحدهم، فقد توجهت حكومة هتلر إلى الرايخستاج الجديد بقانون اطلق عليه اسم قانون التمكين؛ وهو قانون يمنح مجلس الوزراء سلطات تشريعية لمدة اربع سنوات. وبالرغم من أن مشروع القانون الذى تقدم به النازيون لم يكن خطوة غير مسبوقة فى تاريخ السياسة الألمانية، فإن القانون الذى تقدموا به كان مختلفا لانه يسمح بالانحراف عن الدستور. ولأن الموافقة على مشروع القانون تستلزم الحصول على اغلبية تتمثل فى ثلثى عدد اصوات الرايخستاج، فإن الحكومة كانت فى حاجة إلى الحصول إلى تأييد الأحزاب الاخرى. وحسم حزب الوسط ـ ثالث اكبر حزب ممثل فى الرايخستاج ـ الموقف؛ فقد قرر الحزب تحت زعامة لودفيج كاس أن يقوم بالتصويت فى صالح قانون التمكين. واتخذ الحزب هذا القرار فى مقابل التعهدات الشفوية التى قدمتها له الحكومة بحصول الكنيسة على الحرية الكاملة، وقيام الولايات الألمانية باتفاقيات مع البابا لتنظيم الشئون الكنسية بالإضافة إلى تأمين الاستمرار لوجود حزب الوسط على الساحة السياسية.

وفى الثالث والعشرين من مارس، اجتمع الرايخستاج فى مبنى بديل للمبنى المحترق فى ظل ظروف مضطربة. وقام بعض افراد كتيبة العاصفة بدور الحرس فى هذا الاجتماع بينما كانت الجموع الغفيرة

تصيح خارج المبنى وتردد الشعارات والتهديدات للنواب المتوافدين على المبنى. وأعلن كاس أن حزب الوسط يؤيد مشروع القانون "واضعا مخاوفه جانبا" بينما اعترض اوتو فيلز الذى ينتمى للديمقراطيين الاشتراكيين على القانون فى الخطاب الذى القاه أمام البرلمان المجتمع. وفى نهاية اليوم، صوتت كل الأحزاب عدا الديمقراطيين الاشتراكيين لصالح مشروع القانون. اما الشيوعيين بالإضافة إلى بعض الديمقراطيين الاشتراكيين، فقد تم منعهم من الحضور. وهكذا، قام قانون التمكين بالإضافة إلى مرسوم حريق الرايخستاج بتحويل حكومة هتلر إلى حكومة ديكتاتورية تعمل تحت مظلة القانون.

آخـــر القيـــود

وبهذا الاتحاد بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، نجحت حكومة هتلر بالقيام بالمزيد من القمع لما تبقى من معارضة سياسية امامها. وتم حظر نشاط الحزب الشيوعى الألمانى والحزب الديمقراطى الاشتراكى (SPD) بينما تم اجبار كل الأحزاب السياسية الأخرى على القيام بحل نفسها. واخيرا، وفى الرابع عشر من يوليو، أعلن أن الحزب النازى هو الحزب الشرعى الوحيد فى ألمانيا. وتم دمج اتحادات العمال مع الاتحادات الفيدرالية للموظفين فى منظمة يرأسها الزعيم النازى. كما تم الغاء الحكم الذاتى التى كانت حكومات الولايات الألمانية تتمتع به.

واستخدم هتلر كتيبة العاصفة شبه العسكرية فى دفع هندينبرج نحو تقديم استقالته، واستمر فى مخططه نحو عزل نائب المستشار - بابن - سياسيا. ولأن طلبات كتيبة العاصفة للحصول على السلطة السياسية والعسكرية قد تسببت فى احداث الكثير من القلق بين صفوف القادة

العسكريين، فقد استغل هتلر المزاعم التى تمت إثارتها عن مخطط قائد كتيبة العاصفة ارنست روم لتطهير الكتيبة من الاعضاء غير المرغوب فيهم خلال الليلة التى اطلق عليها ليلة السكاكين الطويلة. كما تم اغتيال المعارضين غير المتصلين بكتيبة العاصفة، خاصة جريجور شتراسر والمستشار السابق كورت فون شلايشر.

وتوفى الرئيس باول فون هندينبرج فى الثانى من أغسطس فى عام ١٩٣٤ وبدلا من اجراء انتخابات رئاسية جديدة، قام مجلس الوزراء الذى يرأسه هتلر بالموافقة على قانون يضع سلطة رئيس الدولة فى حالة من الخمول، ويضع حكم وسلطات رئيس الدولة فى يد هتلر باعتباره فوهرر ومستشار للرايخ (Führer und Reichskanzler)قائد ومستشار. وبصفته رئيسا للدولة، اصبح هتلر الآن القائد الاعلى للقوات المسلحة. وعندما حان الوقت الذى يؤدى فيه اعضاء القوات البرية والبحرية يمين الولاء التقليدى، تم تغيير اليمين التقليدى ليصبح يمينا بالولاء الشخصى لهتلر نفسه. وفى استفتاء عام تم إجراؤه فى منتصف أغسطس، حظت التصرفات التى قام بها هتلر بموافقة نسبة ٨٤,٦٪ من الناخبين. وانتهكت هذه التصرفات عمليا كلاً من الدستور وقانون التمكين وقد تم تعديل الدستور فى عام ١٩٣٢ ليصبح رئيس محكمة العدل العليا رئيسا للبلاد - وليس المستشار - حتى يتم اجراء الانتخابات الجديدة. وحظر قانون التمكين بصورة خاصة على هتلر القيام بأى تصرفات من شأنها المساس بالسلطة الرئاسية بأى شكل من الأشكال. ومع ذلك، لم يجرؤ أى شخص على الاعتراض على ما يحدث. وبهذه التصرفات، تخلص هتلر من آخر الوسائل الشرعية التى يمكن عن طريقها استبعاده من السلطة

قانونيا، وتخلص معها من أى شكل من اشكال الرقابة أو التوازن التى يمكن فرضها على سلطته.

وفى عام ١٩٣٨اجبر هتلر وزير الحرب فى حكومته - فيرنر فون بلومبرج - والذى كان وزير الدفاع الأسبق على تقديم استقالته بعد أن ظهرت دلائل على أن زوجة بلومبرج الجديدة لها ماض إجرامى. وقبل التخلص من بلومبرج، قام هتلر وعصبته (الزمرة التى احاطت به) بالتخلص من فريتش الذى تم اتهامه بالمثلية الجنسية (وهو ما ذكره يوهان تولاند فى السيرة الذاتية التى كتبها عن هتلر بعنوان Adolf Hitler.

واستبدل هتلر وزارة الحرب بما اطلق عليه der Oberkommando Wehrmacht(القيادة العليا للقوات المسلحة) أو (OKW) والتى كان الجنرال فيلهلم كايتل رئيسا لها. والاهم من ذلك كله، أعلن هتلر توليه بنفسه قيادة القوات المسلحة. واستولى هتلر لنفسه على وظيفة بلومبرج السابقة الأخرى وهى قائد القوات المسلحة. وقد كان بالفعل قائداً أعلى لها بموجب سلطاته كرئيس. وفى اليوم التالى، أعلنت الصحف "أقوى تركيز للسلطات فى يد الفوهرر!" وفى الواقع، كان هتلر بذلك قد تمكن من جعل آخر المجموعات التى كانت لا تزال تحتفظ بشىء من القوة التى تمكنها من الاطاحة به على الحياد.

الرايخ الثالث

بعد تمكنه من احكام سيطرته على السلطة السياسية بشكل كامل، حاول هتلر أن يكسب تأييد الجماهير لسياساته عن طريق اقناع معظم الشعب الألمانى بأنه من سينقذهم من موجة الكساد الاقتصادى التى اجتاحت العالم، وكذلك من معاهدة فرساى والشيوعية و"البلاشفة

اليهود" (الذين اثروا سلبا على الحركة الشيوعية فى الفترة بين الحربين العالميتين الأولى والثانية) وكذلك من تأثير الاقليات الأخرى "غير المرغوب فيها". واستأصل النازى كل معارضة صادفته عن طريق العملية التى اطلق عليها (Gleichschaltung "التنسيق بين الانظمة وجمعها تحت لواء نظام واحد").

الاقتصاد والثقافة

اشرف هتلر على واحدة من أكثر التوسعات فى مجال الانتاج الصناعى والتطويرات المدنية التى شهدتها ألمانيا طوال تاريخها. وقد اعتمد فى ذلك على اسلوب تعويم الديون وزيادة عدد افراد القوات المسلحة. وشجعت السياسة النازية النساء على المكوث فى المنزل لانجاب الاطفال والعناية بالمنزل. وهكذا، تحدث أدولف هتلر فى احدى خطبه التى القاها فى سبتمبر من عام ١٩٤٣ أمام الرابطة الاشتراكية الوطنية للمرأة فقال أنه بالنسبة للمرأة الألمانية: "لابد أن يتركز عالمها حول زوجها وعائلتها واطفالها وبيتها". وعزز الايمان بهذه السياسة بمنحه صليب الشرف الخاص بتكريم الأم الألمانية (Cross of Honor of the German Mother)لكل امرأة تلد اربعة من الاطفال أو اكثر. وفعليا تراجع معدل البطالة عن طريق عاملين أساسيين وهما: انتاج الاسلحة وعودة النساء للمكوث فى منازلهن حتى تتحن الفرصة للرجال للحصول على الوظائف التى كن يشغلنها. لذلك، كان الادعاء الذى ساد فى هذه الفترة بأن الاقتصاد الألمانى استطاع أن يصل تقريبا إلى العمالة الكاملة يرجع جزئيا ـ وذلك على اقل تقدير ـ إلى الدعاية البارعة التى تم استخدامها فى هذا العهد.

حصل هتلر على معظم التمويل الذى استخدمه فى إعادة بناء البلاد واعادة التسلح من سياسة التلاعب بالعملة للتأثير على الاسعار فى

الاسواق التجارية التى قام بها هايمار شاخت؛ وهو رئيس البنك المركزى الألمانى فى هذا العهد والمسئول عن العملة. وتضمنت سياسة التلاعب اصدار سندات مشكوك فى امرها ومنها تلك التى كانت تعرف باسم bills mefo وهى سندات إضافة قامت حكومة النازى باصدارها - بدءاً من عام ١٩٣٤ وما بعده - تحت غطاء شركة "Metallurgische Forschung" أو التى عرف اسمها اختصاراً "MEFO".

كذلك، أشرف هتلر على واحدة من اكبر حملات تطوير البنية التحتية فى التاريخ الألمانى.

واشتمل هذا التطوير على انشاء العديد والعديد من السدود، والطرق السريعة التى تسير عليها المركبات، وطرق السكك الحديدية إلى جانب عدد آخر من الانشاءات المدنية. واكدت سياسات هتلر على اهمية الحياة الاسرية؛ وهى الحياة التى يسعى فيها الرجل وراء كسب لقمة العيش بينما تكون الأولوية فى حياة المرأة لتربية الاطفال والعناية بشئون المنزل. وجاء هذا الانتعاش فى مجالى الصناعة والبنية التحتية على حساب المستوى العام للمعيشة؛ على الاقل بالنسبة لمن لم يتأثروا بحالة البطالة المزمنة التى كانت تسيطر على البلاد أثناء عهد جمهورية فايمار السابقة (التى تم اعلانها عام ١٩١٩ فى مدينة فايمر الألمانية)، وذلك لأن الاجور قد تم تخفيضها قليلا فى السنوات التى سبقت الحرب العالمية الثانية على الرغم من ارتفاع نفقات المعيشة بنسبة خمسة وعشرين بالمائة.

وبالرغم من ذلك، فقد شعر العمال والفلاحون - وهى الفئات التى كانت تعطى اصواتها لصالح حزب العمال الألمانى الاشتراكى الوطنى - بطفرة فى مستوى المعيشة الخاص بهم.

ووجهت الحكومة رعايتها لفن العمارة على نطاق واسع، واشتهر ألبرت سبير بأنه المعمارى الأول فى حكومة الرايخ. ولا يفوق الشهرة التى اكتسبها سبير كمعمارى قام بتنفيذ رؤية هتلر الكلاسيكية التى اعاد بها تفسير الحضارة الألمانية إلا دوره الفعال الذى قام به كوزير للتسلح والذخيرة فى السنوات الاخيرة للحرب العالمية الثانية. وفى عام ١٩٣٦ ?قامت برلين باستضافة دورة الألعاب الأوليمبية الصيفية التى افتتحها هتلر بنفسه وتم وضع ألحانها بحيث تظهر تفوق الجنس الآرى على كل الاجناس البشرية الاخرى، الأمر الذى جعل هذه الدورة تحقق نتائج مشوشة.

وبالرغم من أن هتلر كان قد خطط لانشاء (Breitspurbahnشبكة متكاملة من السكك الحديدية العريضة) فإن نشوب الحرب العالمية الثانية قد أدى إلى التراجع عن اتمام هذا المشروع العملاق. فلو كانت هذه الشبكة العريضة والمتكاملة من خطوط السكك الحديدية قد تم إنشائها بالفعل لكان عرضها سيصل إلى ثلاثة امتار، وكانت بذلك سيتفوق فى اتساعها شبكة السكك الحديدية القديمة التى أنشأتها شركة "Western Railway Great" فى بريطانيا.

اسهم هتلر بشكل بسيط فى تصميم السيارة التى تم اطلاق اسم فولكسفاجن بيتل عليها بعد ذلك. وقد عهد هتلر بمهمة تصميم السيارة وصناعتها إلى فرديناند بورشفرديناند بورش. وقد تم ارجاء انتاج هذه السيارة أيضاً بسبب نشوب الحرب.

اعتبر هتلر أن اسبرطة هى اولى الدول التى طبقت مبادئ الاشتراكية القومية، وامتدح السياسة التى انتهجتها مبكرا من أجل تحسين النسل، والطريقة التى عاملت بها النسل المشوه من الاطفال.

ويعتبر الخلاف حول مسألة "التحديث" الذى تبناه هتلر من اهم الموضوعات التى يثور حولها الجدال عند مناقشة السياسات الاقتصادية التى انتهجها هتلر. ويعتقد بعض المؤرخين مثل: دافيد شونباوم وهنرى اشبى تيرنر أن السياسات الاجتماعية والاقتصادية التى تبناها هتلر كانت نوعا من انواع التحديث يراد به السعى وراء أهداف ضد الحداثة. واكدت مجموعة اخرى من المؤرخين - خاصة راينر تسيتلمان - على أن هتلر قد تعمد انتهاج سياسة تسعى وراء التحديث الثورى للمجتمع الألمانى.

تسلح جديد.. تحالفات جديدة

تحدث هتلر فى اجتماع له مع قادة قواته البرية والبحرية فى الثالث من شهر فبراير من عام ١٩٣٣ عن اهدافه فى عالم السياسة الخارجية التى يطمح إلى تحقيقها، فقال: "ضرورة الاستيلاء على مناطق معينة فى الشرق لتأمين المجال الحيوى لألمانيا النازية بالإضافة إلى مد سطوة اللغة والبشر والحضارة الألمانية إلى هذه المناطق عن طريق القوة أو عن طريق الاندماج". وظهرت أهداف السياسة الخارجية الألمانية فى البيان الأول الرئيسى الذى سلمه وزير الدولة فى مارس من عام ١٩٣٣ فى مذكرة إلى مجلس الوزراء الألمانى فى مبنى وزارة الخارجية (Auswärtiges Amt). وكان الوزير هو الامير برنارد فون بولو وهو شخصية مختلفة عن عمه - المستشار الألمانى السابق برنارد فون بولو - الذى نال حظا أوفر من الشهرة من ابن اخيه. وتمثلت هذه الاهداف فى الضم الألمانى للنمسا، والعودة بالحدود إلى ما كانت عليه فى عام ١٩١٤، ورفض الجزء الخامس من معاهدة فرساى، واستعادة المستعمرات

الألمانية السابقة فى أفريقيا، ووجود منطقة نفوذ لألمانيا فى أوروبا الشرقية، وكانت كلها أهداف مستقبلية تسعى ألمانيا إلى تحقيقها. ورأى هتلر أن الاهداف الموجودة فى مذكرة بولو متواضعة للغاية.

وفى مارس من عام ١٩٣٣، ولحل الازمة المحتدمة بين فرنسا التى تسعى للحصول على (sécurité"الأمان") وألمانيا التى تطالب بوجود (gleichberechtigung عدالة التسلح) فى مؤتمر نزع السلاح فى العالم الذى تمت اقامته فى جينيف فى سويسرا، تقدم رئيس الوزراء البريطانى - رامزى ماكدونالد - بالتسوية التى اطلق عليها اسم "خطة ماكدونالد". وقد صدق هتلر على "خطة ماكدونالد" - على الرغم من أنه كان يعتقد فى عدم جدواها وهو الأمر الذى تحقق بالفعل - فقد كان يسعى فى هذه الفترة الفاصلة إلى اثبات حسن نيته أمام العاصمة البريطانية واظهار حكومته فى صورة معتدلة فى الوقت الذى تتمسك فيه فرنسا بسياسة تتسم بالعناد.

والتقى هتلر فى مايو من عام ١٩٣٣ بالسفير الألمانى فى موسكو؛ هربرت فون ديركسن. وفى هذا اللقاء، حذر ديركسن الفوهرر من أنه يسمح بتدهور العلاقات مع الاتحاد السوفيتى إلى حد غير مقبول، ونصحه باتخاذ خطوات فورية لاصلاح العلاقات مع الاتحاد السوفيتى. وقد اصيب ديركسن بخيبة امل شديدة عندما ابلغه هتلر بأمنيته بحدوث تفاهم مع بولندا ضد السوفيت - وهى الأمنية التى كان احتجاج ديركسن عليها يشير ضمنيا إلى ادراكه لمشكلة الحدود بين ألمانيا وبولندا. وهكذا، صرح هتلر بأنه يسعى وراء ما هو اكبر بكثير من مجرد إسقاط معاهدة فرساى.

وفى يونيو من عام ١٩٣٣ اضطر هتلر إلى اعفاء ألفريد هوجنبرج من منصبه فى حزب الشعب الوطنى الألمانى لأنه تقدم عند حضوره مؤتمر لندن الاقتصادى الدولى ببرنامج للتوسع الاستعمارى فى أفريقيا وأوروبا الشرقية. وقد أدى هذا البرنامج إلى نشوب عاصفة من الاعتراضات عليه فى الخارج.

وفى حديث له مع عمدة (Burgermeister) مدينة هامبورج فى عام ١٩٣٣، علق هتلر أن ألمانيا تحتاج إلى سنوات طويلة تنعم فيها بالسلام قبل أن تتمكن من إعادة تسليح جيشها بالشكل الكافى لتخاطر بالدخول فى حرب، وإن عليها حتى ذلك الوقت أن تتوخى سياسة حريصة دعا إلى انتهاجها.

وفى "خطابات السلام" التى ألقاها هتلر فى السابع عشر من مايو فى عام ١٩٣٣ والحادى والعشرين من مايو فى عام ١٩٣٥ والسابع من مارس فى عام ١٩٣٦ اكد على اهدافه السليمة المزعومة وعلى رغبته فى العمل فى اطار النظام العالمى. اما ما كان يضمره فى نفسه، فقد كانت خططا غير سلمية على الاطلاق. وفى اجتماعه الأول مع مجلس الوزراء فى عام ١٩٣٣ قدم هتلر أولوية الانفاق على الشئون العسكرية على اعانة البطالة، وصرح بأنه على استعداد للانفاق على البند الثانى إذا اكتفى البند الأول أولاً.

وعندما تقدم رئيس البنك الألمانى المركزى ـ د/ هانز لوثر ـ والذى كان أيضاً مستشارا سابقا للبلاد بعرضه إلى الحكومة بتقنين حدا قانونيا قيمته مائة مليون مارك ألمانى لتمويل إعادة التسلح وجد هتلر أن المبلغ ضئيل للغاية، وقام باعفاء لوثر من منصبه فى مارس من عام ١٩٣٣ ليستبدله

بالوزير هيلمار شاخت الذى كان عليه فى الخمس سنوات التالية أن يقدم ما قيمته اثنى عشر بليونا من الماركات الألمانية من السندات المعروفة باسم "Mefo-bills" من أجل الانفاق على إعادة التسلح.

وكان الدخول فى تحالف مع بريطانيا من الخطوات التمهيدية الرئيسية الخاصة بالسياسة الخارجية والتى قام بها هتلر فى السنوات الأولى من حكمه. ففى العشرينات من القرن العشرين، كتب هتلر أن هدفه المستقبلى الخاص بالسياسة الخارجية الاشتراكية الوطنية هو "تدمير روسيا بمساعدة انجلترا".

وفى عام ١٩٣٣ قام ألفريد روزنبرج بصفته رئيس (Aussenpolitisches Amt مكتب السياسة الخارجية فى الحزب النازى) بزيارة لندن كجزء من جهوده المشئومة لكسب تحالف بريطانيا مع بلاده.

اما فى اكتوبر من عام ١٩٣٣ فقد قام هتلر باعلان انسحاب ألمانيا من عضويتها فى عصبة الامم ومؤتمر نزع السلاح فى العالم بعد أن أعلن وزير خارجيته البارون كونستنتين فون نيورات على الرأى العام العالمى أن المطلب الفرنسى بالحصول على الأمان هو العقبة الرئيسية التى ستؤدى إلى تعثر كل جهود السلام.

وانطلاقا من آرائه التى أعلنها فى كتابيه Mein Kampf وBuch Zweites عن ضرورة بناء تحالف إنجليزى ألمانى، تقدم هتلر بمخطط فى اجتماعه الذى عقده فى نوفمبر من عام ١٩٣٣ مع السفير البريطانى - سير ايريك فيبس - يقضى بأن تقوم بريطانيا بتقديم الدعم لجيش ألمانى قوى قوامه ثلاثمائة ألف من الجنود فى مقابل "التعهد بالحماية وعدم الاعتداء" الذى تقدمه ألمانيا إلى الامبراطورية البريطانية.

وردا على هذا الطلب، قرر البريطانيون ضرورة وجود فترة عشرة سنوات من الانتظار قبل أن تقوم بريطانيا بدعم الزيادة التى تطلبها ألمانيا فى حجم جيشها. وقام هتلر بمبادرة أكثر نجاحا فى مجال السياسة الخارجية تتعلق بالعلاقات مع بولندا. وعلى الرغم من المعارضة القوية التى أبدتها وزارة الحربية ووزارة الخارجية (Auswärtiges Amt) اللتين كانت تفضلان تدعيم العلاقات مع الاتحاد السوفيتى، فإن هتلر قد قام فى خريف عام ١٩٣٣ بالبدء فى محادثات سرية مع بولندا، الأمر الذى أدى إلى توقيع معاهدة عدم الاعتداء الألمانية البولندية فى يناير من عام ١٩٣٤.

وفى فبراير من عام ١٩٣٤التقى هتلر مع حامل الخاتم الملكى البريطانى

ذ سير انتونى إيدن - وألمح بقوة إلى أن ألمانيا تملك بالفعل سلاحا للطيران تم حظر استخدامه بناء على معاهدة فرساى.

وفى خريف عام ١٩٣٤انتاب هتلر القلق الشديد من خطر التضخم المالى الذى كان يهدد شعبيته.

وفى خطاب سرى ألقاه أمام مجلس الوزراء فى الخامس من نوفمبر فى عام ١٩٤٣ صرح قائلا أنه "أعطى الطبقة العاملة وعده ألا يسمح بزيادة فى الاسعار" وأن "من يكدحون نظير رواتبهم التى يحصلون عليها سيتهمونه بالحنث بوعده إذا لم يتصرف بشأن زيادة الاسعار، علاوة على ذلك، ستندلع الثورات بين صفوف الشعب نتيجة لكل ما يحدث".

وعلى الرغم من استمرار برنامج التسلح الألمانى سرا منذ عام ١٩١٩، ففى مارس من عام ١٩٣٥ رفض هتلر الجزء الخامس من معاهدة

فرساى عندما أعلن على الملأ زيادة عدد الجيش الألمانى إلى ستمائة الف جندى (وهو الرقم الذى يبلغ ستة اضعاف الرقم الذى حددته معاهدة فرساى). وأضاف هتلر اليها القوات الجوية (Luftwaffe) وقرر زيادة عدد القوات البحرية (Kriegsmarine) وسرعان ما ادانت بريطانيا وفرنسا وايطاليا وعصبة الامم هذه الاعمال.

وبالرغم من ذلك فإن تأكيدات هتلر أن ألمانيا لا تهتم إلا بالسلام جعلت كل الدول تحجم عن اتخاذ اية خطوات من شأنها ايقاف هذا الأعمال مما أدى إلى استمرار عملية إعادة التسلح الألمانية. وبعد ذلك وفى مارس من عام ١٩٣٥قام هتلر بعقد سلسلة من الاجتماعات فى برلين مع وزيرى الخارجية البريطانى - سير جون سايمون - وكذلك مع إيدن وتملص هتلر خلالها بنجاح من العرض الذى تقدمت به بريطانيا لمشاركة ألمانيا فى اتفاقية أمن إقليمية؛ وهى الاتفاقية التى كان يقصد بها أن تكافئ نظيرتها الأوروبية - معاهدة لوكارنو. كذلك، تجنب الوزيران البريطانيان التحدث عن العرض الذى تقدم به هتلر بإقامة تحالف مع بريطانيا.

واثناء محادثاته مع سايمون وايدن، استخدم هتلر لأول مرة ما اعتبره تكتيك ذكى للتفاوض من أجل الحصول على مستعمرات فى الخارج عندما استغل بنجاح العرض الذى تقدم به سايمون بعودة ألمانيا إلى عصبة الامم للمطالبة باستعادة المستعمرات الألمانية فى أفريقيا.

وبدءاً من إبريل فى عام ١٩٣٥ أدى التحرر من وهم الوعود التى تقدم بها الرايخ الثالث والتى لم يتم تنفيذها على أرض الواقع بالعديد من اعضاء الحزب النازى - خاصة من كان يطلق عليهم Alte Kämpfer المحاربون القدامى؛ وهم من قاموا بالانضمام إلى الحزب قبل عام ١٩٣٠

وكانوا أكثر اعضاء الحزب حماسا لفكرة معاداة السامية)، وكذلك بمن كان يطلق عليهم كتيبة العاصفة ـ بالاندفاع للهجوم على الاقلية اليهودية الألمانية تعبيرا عن احباطاتهم مستهدفين بذلك جماعة لن تقوم السلطات بحمايتها.

وكان الاعضاء العاديون فى الحزب مستاءين لأنه بعد مرور عامين على الرايخ الثالث، وبالرغم من وعود هتلر التى لا يمكن احصاؤها والتى وعد بها قبل عام ١٩٣٣ لم يصدر أى قانون يمنع الزواج أو اقامة العلاقات بين "الألمان المنتمين لأصول آرية والألمان المنتمين لأصول يهودية". وورد فى احد تقارير Gestapo الجستابو؛ (الشرطة السرية لألمانيا النازية) التى صدرت فى ربيع عام ١٩٣٥ أن الاعضاء العاديين فى الحزب النازى "سيبدءون فى التحرك الذى نقف وراءه فى الخفاء"؛ وهو الحل المقترح "للمشكلة اليهودية" وهو حل يجب على الحكومة بعد ذلك أن تسير على نهجه".

ونتيجة لذلك، بدأ الناشطون في الحزب النازى واعضاء كتيبة العاصفة موجة خطيرة من الاعتداءات والتخريب المتعمد والمقاطعات ضد اليهود الألمان.

وفى يونيو من عام ١٩٣٥، تم توقيع المعاهدة البحرية بين بريطانيا وألمانيا (A.G.N.A.) فى لندن والتى سمحت بزيادة القوة الألمانية البحرية فى البحرية البريطانية لتصل إلى نسبة خمسة وثلاثين بالمائة من قوة بريطانيا البحرية. وقد اطلق هتلر على ذلك اليوم "أسعد أيام حياته" لأنه كان يعتقد أن هذه الاتفاقية هى البداية الحقيقية للتحالف بين بريطانيا وألمانيا الذى تنبأ به فى كتابه Mein Kampf.

وقد تم عقد هذه المعاهدة البحرية دون استشارة فرنسا أو ايطاليا؛ وهو الأمر الذى اضعف من مكانة عصبة الامم ووضع معاهدة فرساى على المحك لإفراغها من مضمونها الحقيقى.

وبعد توقيع المعاهدة فى يونيو من عام ١٩٣٥ امر هتلر بتنفيذ الخطوة التالية على طريق انشاء تحالف بريطانى ألمانى؛ ألا وهى (Gleichschaltung) التنسيق بين كل الجمعيات التى كانت تطالب باستعادة المستعمرات الألمانية السابقة فى أفريقيا ودمجها فى عصبة واحدة) وهى (Reichskolonialbund) عصبة رايخ استعمارية جديدة. وهى العصبة التى أثارت فى السنوات القليلة التى تلت ذلك حملة دعائية عدوانية تهدف إلى استعادة المستعمرات الألمانية فى أفريقيا.

ولم يكن لهتلر اهتمام حقيقى بالمستعمرات الألمانية السابقة فى أفريقيا. وفى كتابه Mein Kampf شجب هتلر بقوة سياسة حكومة ألمانيا الاستعمارية لأنها كانت تسعى وراء التوسع الاستعمارى فى أفريقيا قبل عام ١٩١٤ على اساس أن الامتداد الطبيعى للمجال الحيوى لألمانيا النازية يجب أن يكون فى أوروبا الشرقية وليس فى أفريقيا.

وكان هتلر ينتوى أن يستخدم هذه الطلبات الاستعمارية كخطة للتفاوض تعتمد على "تخلى" ألمانيا عن مطالبها الاستعمارية فى مقابل أن تدخل بريطانيا فى تحالف مع الرايخ يخضع للشروط الألمانية.

وفى صيف عام ١٩٣٥ تم ابلاغ هتلر أنه نتيجة للتضخم المالى والحاجة لاستخدام العملة الصعبة لشراء المواد الخام التى تحتاجها ألمانيا فى عملية إعادة التسلح تبقى فقط خمسة ملايين مارك ألمانيا متاحة للصرف على الشئون الحربية. كما تم ابلاغه بوجود حاجة ملحة

لمبلغ ثلاثمائة الف مارك ألمانى فى اليوم الواحد لدفع خطر نقص الطعام.

وفى أغسطس من عام ١٩٣٥ تقدم د/ هيلمار شاخت بنصيحة إلى هتلر بأن الموجة العنيفة التى تشهدها البلاد لمعاداة السامية تتعارض مع الازدهار الاقتصادى ومن ثم مع عملية إعادة التسلح.

وقد ادت نصيحة د. شاخت التى تقدم بها فى شكواه إلى هتلر، وكذلك التقارير التى وردت إلى هتلر بأن الرأى العام الألمانى لا يوافق على موجة العنف المعادى للسامية التى تجتاح البلاد وعلى التساهل المستمر للشرطة إزاءها حيث أنه أمر يقلل من شعبية النظام الحاكم أمام الرأى العام إلى اصدار هتلر أمراً فى الثامن من أغسطس فى عام ١٩٣٥ يقضى بوقف "التصرفات الفردية" ضد اليهود الألمان فى الثامن من أغسطس فى عام ١٩٣٥.

ومن وجهة نظر هتلر، كان هناك ضرورة لاصدار قوانين صارمة جديدة تتعلق بمعاداة السامية كنوع من انواع الترضية لاعضاء الحزب الذين خاب املهم بعد قرار الوقف الذى قام باصداره فى الثامن من أغسطس خاصة وأنه قد قام باصدار هذا القانون على مضض لاسباب عملية أما رأيه الشخصى فكان متفقا مع رأى متطرفى الحزب. وكان الاجتماع السنوى للحزب النازى الذى عقد فى سبتمبر من عام ١٩٣٥ ـ والذى كان يتم عقده سنويا فى مدينة Nuremberg ـ إشارة لعقد الجلسة الأولى من جلسات الرايخستاج التى تعقد فى هذه المدينة منذ عام ١٥٤٣.

وكان هتلر يخطط أن يقوم فى هذه الجلسة للرايخستاج بتمرير قانون يجعل من العلم النازى الذى كان يحمل الصليب المعقوف علما ألمانيا

لدولة الرايخ، وكذلك لأن يلقى خطابا مهما يدعم فيه العدوان الإيطالى الوشيك على إثيوبيا.

فقد شعر هتلر أن العدوان الإيطالى من شأنه أن يتيح فرصا عظيمة أمام ألمانيا. وفى أغسطس من عام ١٩٣٥ اخبر هتلر جوبلز بأن رؤيته للسياسة الخارجية هى: "ان تكون انجلترا هى الحليف الداخلى لألمانيا وأن توجد علاقات طيبة للرايخ مع بولندا... والتوسع فى اتجاه الشرق. فبحر البلطيق ملك لنا... والصراع بين إيطاليا وانجلترا على إثيوبيا، وكذلك الصراع اليابانى الروسى الوشيك.

وفى اللحظة الاخيرة قبل الموعد المقرر لبداية الاجتماع السنوى، استطاع وزير الخارجية الألمانى - البارون كونستنتين فون نيورات - أن يقنع هتلر بأن يلغى خطابه الذى كان سيمتدح إيطاليا فيه لقيامها بالعدوان على دولة اخرى. واقنع نيورات هتلر بأن خطابه سيثير الرأى العام فى الخارج لأنه يتعارض مع الرسالة التى تحملها "خطابات السلام" التى يلقيها هتلر. وهكذا، وجد هتلر نفسه حائرا بشأن الموضوع الذى سيتحدث فيه فى أول اجتماع للرايخستاج يتم عقده فى مدينة Nurembergمنذ عام ١٥٤٣ بخلاف الموضوع الذى يتعلق بمسألة قانون علم الرايخ.

وفى الثالث عشر من سبتمبر، امر هتلر بسرعة اثنين من اتباعه المدنيين وهما د. برنارد لوسنر وفرانز ألبريشت ميديكوس من وزارة الداخلية أن يطيرا إلى Nurembergللبداية فى اعداد خطة لقوانين معاداة السامية ليقدمها إلى الرايخستاج فى الخامس عشر من سبتمبر. وفى مساء الخامس عشر من سبتمبر، قدم هتلر قانونين إلى الرايخستاج

يمنعان ممارسة العلاقات الجنسية والزواج بين الألمان "الآريين" والألمان اليهود، وكذلك عمل النساء من اصل "آرى" تحت سن الخامسة والاربعين فى المنازل اليهودية. ويحرم القانونان "غير الآريين" من مزايا المواطنة الألمانية. وتعرف قوانين سبتمبر من عام ١٩٣٥ باسم قوانين نورينبرج.

وفى أكتوبر من عام ١٩٣٥ وللحد من مشكلات نقص الغذاء المتزايدة ولطرح سياسة تقنين توزيع الموارد والسلع نادرة الوجود، امر هتلر على مضض بتخفيض المبالغ المخصصة للانفاق على القوات العسكرية.

وفى ربيع عام ١٩٣٦ واستجابة لمطالب ريتشارد فالتر داريه، امر هتلر بتخصيص ستين مليون مارك ألمانى من العملات الاجنبية لاستخدامها فى شراء الزيت المستخرج من البذور للمزارعين الألمان وهو الأمر الذى أدى إلى تذمر دكتور شاخت ووزير الحرب المشير فيرنر فون بلومبرج لأنه سيكون من المستحيل النجاح فى عملية إعادة التسليح طالما أن العملات الاجنبية قد تم تخصيصها لمنع حدوث حالة من نقص الطعام. وعلى ضوء المشكلات الاقتصادية التى أثرت على شعبيته مع بدايات عام ١٩٣٦ شعر بأن هناك حاجة ملحة لتحقيق انتصار لسياسته الخارجية لصرف انتباه العامة عن الوضع الاقتصادى الراهن.

وفى حديث له مع الصحفى الفرنسى بيرتران دى جوفينيل فى فبراير من عام ١٩٣٦ تنصل هتلر مما جاء فى كتابه Meim Kampf عندما قال أن أجزاءً من الكتاب قد اصبحت غير صالحة للتنفيذ فى العصر الحالى وبأنه لم يعد يعمل بما جاء فيها بالرغم من أنه لم يحدد بالضبط تلك الاجزاء التى كان يتحدث عنها.

وفى مارس من عام ١٩٣٦ نقض هتلر مرة اخرى معاهدة فرساى عن طريق إعادة احكام السيطرة مجددا على المنطقة التى تم تجريدها من

صفتها العسكرية فى .Rhineland وعندما لم تحرك بريطانيا وفرنسا ساكنا تجاه ما يفعل، ازدادت جرأته وفى يوليو من عام ١٩٣٦ بدأت الحرب الاهلية الأسبانية عندما قام الجيش بقيادة الجنرال فرانشيسكو فرانكو بالانقلاب على حكومة الجبهة الشعبية. وبعد تلقيه التماساً بالمساعدة من الجنرال فرانكو فى يوليو من عام ١٩٣٦ ارسل هتلر بقوات لتدعم فرانكو واصبحت أسبانيا أرضا لاختبار القوات الألمانية الجديدة وكذلك لوسائلها الحربية الجديدة. وفى نفس الوقت، استمر هتلر فى مساعيه لإقامة تحالف بين انجلترا وألمانيا. وفى يوليو من عام ١٩٣٦ قدم هتلر لفيبس وعدا بتوقيع بريطانيا لتحالف مع الرايخ تلتزم ألمانيا بمقتضاه بارسال اثنتى عشرة فرقة عسكرية إلى الشرق الأقصى لحماية ممتلكات بريطانيا الاستعمارية من هجوم اليابان، وتم رفض عرض هتلر.

وفى أغسطس من عام ١٩٣٦ وفى استجابة للازمة المتنامية فى الاقتصاد العالمى التى نتجت عن التوترات التى خلفتها فكرة إعادة التسلح، اصدر هتلر مذكرة بعنوان "Four-Year Plan Memorandum" خطة السنوات الاربعة، واصدراوامره إلى هيرمان جورينج بتنفيذ خطة السنوات الاربعة لاعداد الاقتصاد الألمانى لدخول الحرب خلال السنوات الاربعة التالية.

وفى أثناء الازمة الاقتصادية التى حدثت فى عام ١٩٣٦ انقسمت الحكومة الألمانية إلى حزبين: الحزب الأول (الذى اطلق عليه اسم حزب "السوق الحرة") وتمركز حول المسئول عن البنك المركزى ورئيسه هيلمار شاخت ومراقب التسعير د/ كارل فردريش جويردلر؛ وقد شجعا على تخفيض المصروفات الخاصة بالجيش والتحول عن سياسات الاكتفاء الذاتى. اما الحزب الاخر، فقد تمركز حول جورينج ودعا إلى سياسة

عكسية. وقد دعم حزب "السوق الحرة" مجموعة من ابرز رجال الأعمال فى ألمانيا، ومن اشهرهم: هيرمان دويشر صاحب شركة "AEG" وروبرت بوش صاحب شركة "Bosch GmbH Robert" وكذلك ألبرت فويجلر صاحب شركة .of Vereinigte Stahlwerle AG Voegeler

واستمر هتلر فى تردده فى النصف الأول من عام ١٩٣٦ قبل أن يؤيد الحزب الاكثر تطرفا فى مذكرة "خطة السنوات الاربعة" التى اصدرها فى شهر أغسطس. ويعتقد المؤرخون مثل: ريتشارد أوفيرى أن اهمية المذكرة - التى كتبها هتلر بنفسه - يمكن قياسها من منطلق أن هتلر الذى كان مصابا بما يشبه فوبيا الكتابة نادرا ما قام بكتابة أى شىء؛ الأمر الذى يدل على أن هتلر قد شعر أن لديه شيئاً مهماً يريد أن يتحدث عنه.

وتنبأت "مذكرة خطة السنوات الاربعة" بصراع وشيك وشامل ومتبصر بين "البلشفية اليهودية" والاشتراكية الوطنية الألمانية؛ الأمر الذى يقتضى بذل جهود شاملة من أجل إعادة التسلح بغض النظر عن التكاليف الاقتصادية.

وقد كتب هتلر فى مذكراته:

منذ اندلاع الثورة الفرنسية، اصبح العالم يتحرك بسرعة مطردة فى اتجاه الدخول فى صراع جديد؛ وتعتبر البلشفية هى الحل الاكثر تطرفا لوقف هذا الصراع. ويمكن اعتبار أن اساس وهدف البلشفية هو فقط إبادة هذه الطبقات من الجنس البشرى التى كانت تتزعم العالم واستبدالها بالجالية اليهودية المنتشرة فى كل أنحاء العالم. ولن تتمكن اية دولة من الانسحاب أو حتى الابتعاد عن هذا الصراع التاريخى... وليس

الهدف من وراء كتابة هذه المذكرة هو التنبؤ بالوقت الذى تتفجر فيه الازمة الناتجة عن هذا الوضع المستعصى فى أوروبا. فكل ما اريد أن اقوله فى هذه السطور هو أن هذه الازمة قادمة لا محالة وأنه من واجب ألمانيا أن تؤمن الوجود لنفسها بكل وسيلة ممكنة فى مواجهة هذه الكارثة، وإن تحمى نفسها منها. ومن منطلق هذا الإلزام، توجد مجموعة من الاستنتاجات التى تتعلق بأهم المهام الواجب على شعبنا القيام بها. فانتصار البلشفية على ألمانيا لن يؤدى إلى الخضوع لمعاهدة فرساى فقط، بل إلى الدمار النهائى للشعب الألمانى، بل الابادة الشاملة للألمان... وارى أنه من الضرورى للرايخستاج أن يقوم بتمرير هذين القانونين: القانون الأول يقضى بتوقيع عقوبة الاعدام فى حالة حدوث أى تخريب اقتصادى. اما الثانى، فيجعل الشعب اليهودى بأكمله مسئولا عن أى ضرر يتسبب فيه افراد من هذا المجتمع من المجرمين يعمل على الحاق الاذى بالاقتصاد الألمانى وبالتالى بالشعب الألمانى.

بالاضافة إلى ذلك، دعا هتلر ألمانيا إلى الوصول بجيشها إلى مرتبة "الجيش الأول" على مستوى العالم من حيث قدرته الفائقة على القتال وذلك فى خلال الاربع سنوات المقبلة. كما ذكر هتلر أن "مدى التطور العسكرى لمواردنا لا يجب أن يكون كبيرا أو أن يتم بخطى متسارعة أكثر من اللازم". ويكون دور الاقتصاد ببساطة هو أن يقوم بتدعيم "توكيد الذات الألمانية ومد مجالها الحيوى".

ثم استطرد هتلر قائلا: بفهم الابعاد الحقيقية للصراع القادم تصبح المخاوف التى عبر عنها اعضاء حزب "السوق الحرة" مثل شاخت وجويدلر بأن المستوى الحالى من الانفاق العسكرى سيؤدى بألمانيا إلى

الافلاس فى غير محلها. وكتب هتلر: "مهما كان قدر التوازن الذى يجب على كل امة تحقيقه فى النمط العام لحياتها، فإنه لابد من وجود اضطرابات تحدث فى هذا التوازن فى بعض الاوقات على حساب اشياء اخرى اقل فى اهميتها. فإذا اخفقنا فى جعل الجيش الألمانى الجيش الأول على مستوى العالم باسرع وقت ممكن... ستنتهى ألمانيا!".

"لا تحيا الأمة من أجل الاقتصاد أو قادته أو من أجل النظريات المالية أو الاقتصادية. بل على العكس، يخضع المال والاقتصاد وقادته ونظرياته لخدمة هذا الصراع من أجل توكيد ذات الأمة". علاوة على ذلك، استعان بعض المؤرخون المنتمين للفكر اليمينى من امثال هنرى اشبى تيرنر وكارل ديتريش براخر بوثائق مثل مذكرة خطة السنوات الاربعة. ولقد ايد هذان المؤرخان فكرة "أولوية السياسة". ويعتقد هؤلاء المؤرخين أن هتلر كان يولى اهتمامه الاساسى للسياسة (بمعنى أن هتلر كان لا يؤازر الاقتصاد الألمانى بالشكل الكافى، ولكن العكس هو الصحيح). وهذا الرأى معاكس للرأى الذى تبناه بعض المؤرخين الماركسيين عن "أولوية الاقتصاد" (وهى وجهة نظر تقول بأن هتلر كان من اهم "العوامل" المساعدة والمدعمة للاقتصاد الألمانى.

وفى أغسطس من عام ١٩٣٩تم تعيين الدبلوماسى النازى المستقل جواشيم فون ريبنتروب سفيرا لألمانيا لدى محكمة سان جيمس. وقبل مغادرة ريبنتروب البلاد لتولى منصبه الجديد فى أكتوبر ١٩٣٦قال له هتلر: "احرص على أن تشترك بريطانيا فى ميثاق مكافحة الشيوعية، فهذا الأمر هو ما اريد تحقيقه أكثر من أى شىء اخر. أنا ارسلت بك إلى هناك لأنك افضل رجالى الذين يمكنهم القيام بهذه المهمة. فافعل كل ما

يمكنك أن تفعله... ولكن، إذا باءت كافة جهودنا المستقبلية بالفشل، فسنكتفى بذلك. وعندئذ، سأكون على استعداد الحرب. وسأكون فى اشد حالات الحزن إذا اضطرتنى الظروف للقيام بذلك، ولكن إذا استلزم الأمر ذلك فسأقوم به. ومع ذلك، أعتقد أن هذه الحرب لن تستمر لفترة طويلة، وعند انتهائها سأكون على استعداد لعرض السلام الذى يحفظ الكرامة على الشعب البريطانى فى أى وقت، وسيكون هذا السلام مُرضيا للطرفين. وبالرغم من ذلك، سأطلب من بريطانيا أن توقع على اتفاقية مكافحة الشيوعية، وربما أطلب منها أن توقع على اتفاقيات اخرى. ولكن، عليك يا ريبنتروب أن تحسن اللعب طالما انك تحمل الورقة الرابحة فى يدك. وأنا مستعد فى أى وقت للتوقيع على اتفاقية جوية أيضاً. فافعل كل ما يمكنك القيام به، فسأتابع مجهوداتك بكل شغف".

وقام الكونت جالياتسو تشانو، وزير الخارجية الايطالى فى عهد الديكتاتور الفاشى بنيتو موسولينى بإعلان عقد حلف من دول المحور بين ألمانيا وايطاليا فى الخامس والعشرين من أكتوبر فى ١٩٣٦. وفى الخامس والعشرين من نوفمبر فى نفس العام، عقدت ألمانيا اتفاقية مكافحة الشيوعية ووقعتها مع اليابان. وفى أثناء توقيع اتفاقية مكافحة الشيوعية، تم دعوة كل من بريطانيا والصين وإيطاليا وبولندا للانضمام إلى الاتفاقية، ولكن كانت الاستجابة من قبل إيطاليا فقط التى وقعت الاتفاقية فى نوفمبر من عام ١٩٣٧. ولتعزيز العلاقات مع اليابان، التقى هتلر فى عام ١٩٣٧ فى مدينة Nuremberg مع الامير تشى تشى بو؛ شقيق الإمبراطور هيروهيتو. وعلى الرغم من ذلك، فإن اللقاء لم يسفر عن الكثير من النتائج. ويرجع السبب فى ذلك إلى أن هتلر قد رفض طلب اليابان بوقف شحنات الاسلحة الألمانية إلى الصين أو سحب

الضباط الألمان الذين يساندون الصين فى الحرب اليابانية الصينية الثانية. ولقد عارضت القوات المسلحة ووزارة الخارجية الألمانية أن انهاء الوضع غير الرسمى للتحالف بين ألمانيا والصين والقائم منذ العقد الثانى من القرن العشرين معارضة شديدة وضغطتا على هتلر ليتجنب الاساءة إلى الشعب الصينى. وقامت وزارة الخارجية وكذلك القوات المسلحة بلفت انتباه هتلر إلى أنه عند وضع مشكلات العملة الاجنبية التى تهدد اعاقة عملية إعادة التسلح الألمانية فى الاعتبار بالإضافة إلى حقيقة أن الاتفاقيات الاقتصادية العديدة المبرمة بين ألمانيا والصين والتى تمد ألمانيا بالمواد الخام وتعفيها من صرف المزيد من العملات الاجنبية التى لا تقدر بثمن سيتضح أنه من الحماقة السعى للدخول فى حلف مع اليابان يؤدى حتما إلى انهاء الحلف الصينى الألمانى.

وبحلول النصف الاخير من عام ١٩٣٧ كان هتلر قد تخلى عن حلمه فى عقد حلف بين ألمانيا وانجلترا. وألقى باللوم فى ذلك على القيادة البريطانية "غير الكفء" التى رفضت عروض هتلر الرامية إلى عقد حلف.

وفى حديث له مع المفوض الاعلى لعصبة الامم فى مدينةDanzig التى تتمتع بالحكم الذاتى؛ وهو الدبلوماسى كارل جاكوب بوركهاردت فى سبتمبر من ١٩٣٧ احتج هتلر على ما اعتبره تدخلا بريطانيا فى منطقة "النفوذ الألمانى" فى أوروبا. وعلى الرغم من ذلك، فإن هتلر قد اوضح رأيه فى بريطانيا كحليف مثالى على الرغم من أن أنانيته المفرطة تعمل على عرقلة الخطط الألمانية.

ولقد عانى هتلر بشدة من آلام فى المعدة ومن الأكزيما فى الفترة ما بين عامى ١٩٣٦ و١٩٣٧ الامر الذى أدى به إلى أن يصرح للمسئول عن

الدعاية الخاصة بالحزب النازى فى أكتوبر من عام ١٩٣٧ بأنه بسبب وفاة والديه فى سن مبكرة، فإنه على الارجح سيحدث له مثل ما حدث لهم؛ أى أنه سيعيش لفترة قصيرة قد لا تكفيه للفوز بالمجال الحيوى اللازم الذى تحتاجه ألمانيا.

وفى الفترة نفسها، ذكر دكتور جوبلز فى مذكراته اليومية أن هتلر الآن يرغب فى رؤية "الرايخ الألمانى العظيم" الذى تصوره فى حياته، بدلا من أن يترك مهمة تحقيق هذا الحلم لمن يخلفه من حكام.

وفى الخامس من نوفمبر فى عام ١٩٣٧ عقد هتلر اجتماعا سريا فى مستشارية الرايخ مع وزيرى الخارجية والحرب بالإضافة إلى ثلاثة من قادة القوات المسلحة الرئيسيين. وتم تسجيل الاجتماع فى مذكرة عرفت باسم .Memorandum Hossbach وقد صرح هتلر بنواياه فى الحصول على المزيد من "المجال الحيوى" من أجل الشعب الألمانى. كما اصدر اوامره لهم بوضع خطط للحرب فى الشرق فى موعد لا يتجاوز عام ١٩٤٣ من أجل الحصول على المجال الحيوى المطلوب. وصرح أنه يمكن اعتبار دقائق هذ المؤتمر بمثابة "وصية سياسية" فى حالة وفاته.

وتشير المذكرة إلى أن هتلر كان يعتقد أنه فى ظل الحالة التى وصل اليها الاقتصاد الألمانى سيكون الحل الوحيد لوقف التداعى الشديد فى مستوى المعيشة هو انتهاج سياسة العدوان فى المستقبل القريب عن طريق الاستيلاء على النمسا وتشيكوسلوفاكيا.

وفضلا عن ذلك، صرح هتلر أن سباق التسلح يعنى وجوب التحرك قبل أن تتصدر بريطانيا وفرنسا السباق بشكل دائم. أما التغيير اللافت للنظر فى Hossbach Memo فكان تغير موقف هتلر تجاه بريطانيا.

فبعد أن كان يراها الحليف المستقبلى لألمانيا فى كتابه Zweites Buch الذى كتبه فى عام ١٩٢٨اصبحت عدوا يثير فى نفسه الكراهية فى المذكرة التى كتبها فى عام ١٩٣٧.

ولقد وصف المؤرخ كلاوس هيلدبراند المذكرة على أنها بداية "مسار متناقض" تجاه بريطانيا بينما يعتقد المؤرخ أندريس هيلجروبر أن هتلر كان يعمل على التوسع حتى وإن كان "بدون بريطانيا" ومن الافضل أن يكون "معها"، ولكن إن استلزم الأمر قد يكون "ضدها".

وادت نوايا هتلر التى اتضحت فى المذكرة إلى اعتراضات قوية من جانب وزير الخارجية - البارون كونستنتين فون نيورات - ووزير الحرب المشير - فيرنر فون بلومبرج - والقائد العام للجيش - فيرنر فون فريتش - لأن حدوث أى عدوان ألمانى فى أوروبا الشرقية سيؤدى إلى اندلاع حرب مع فرنسا بسبب وجود نظام التحالف الفرنسى فى أوروبا الشرقية؛ والذى يطلق عليه Sanitaire Cordon. وفى حالة نشوب الحرب بين فرنسا وألمانيا، سيكون تدخل بريطانيا امرا مؤكدا حتى لا تضيع منها فرصة الحاق الهزيمة بفرنسا.

وكان من المقرر أن يكون الاعتداء على كل من النمسا وتشيكوسلوفاكيا بداية لسلسلة من الحروب الاقليمية فى أوروبا الشرقية تؤمن وجود ألمانيا فى أوروبا قبل الحسم الاخير للصراع مع بريطانيا وفرنسا.

ونصحه كل من فريتش وبلومبرج ونيورات أن ما يفعله سيجلب استراتسجية تحمل العديد من المخاطر على اقصى الحدود وتهدد بنشوب حروب اقليمية فى أوروبا الشرقية؛ الأمر الذى سيؤدى إلى الارجح إلى دخول ألمانيا فى حرب شاملة قبل أن تكون مستعدة لمواجهة

ذلك. وقدموا نصيحتهم لهتلر بأن ينتظر حتى يتيح المزيد من الوقت لألمانيا لتتمكن من إعادة تسليح نفسها. ولم يكن لأى من نيورات أو بلومبرج أو فريتش اعتراضات اخلاقية على سياسة العدوان الألمانية، ولكن تركزت معارضتهم على مسألة تحديد التوقيت المناسب للقيام بذلك.

وقام هتلر فى اواخر شهر نوفمبر لعام ١٩٣٧ باستقبال حامل الخاتم الملكى البريطانى ـ اللورد هاليفاكس ـ الذى كان يزور ألمانيا ظاهريا كجزء من رحلة صيد يقوم بها. وعند بحث موضوع التغييرات الخاصة بحدود ألمانيا، قال هاليفاكس لهتلر: "تتعلق جميع القضايا الأخرى بالتغيرات المحتملة فى النظام الأوروبى والمتوقع أن تحدث بمرور الوقت. ومن بين هذه الموضوعات ما يتعلق بكل من Danzig والنمسا وتشيكوسلوفاكيا. وترغب انجلترا فى حدوث هذه التغيرات فى اطار نوع من التطور السلمى مع تجنب الوسائل التى من شأنها احداث اضطرابات بعيدة الأثر".

ولقد اوضح هاليفاكس فى تصريحاته لهتلر أنه بالرغم من عدم تمكنه من ادراك مدى تقدير هتلر للمعنى الذى يحمله كلامه فإن أى تغييرات تحدث فى المنطقة يجب أن يتم انجازها بصورة سلمية. كما اوضح هاليفاكس أنه بالرغم من عدم تقيد بريطانيا بالتزامات امنية فى أوروبا الشرقية باستثناء ميثاق عصبة الأمم، فإن بريطانيا لن تسمح بوجود أى تغيرات اقليمية عن طريق الحروب.

ويبدو أن هتلر قد اساء فهم ملاحظات هاليفاكس واعتقد أن كلامه يؤكد على اعتقاده بأن بريطانيا ستلتزم الحياد بينما يواصل هو استراتيجيته المتعلقة بالحروب المحدودة فى أوروبا الشرقية.

وكان آكثر ما يزعج هتلر هو تلك الانتقادات الموجهة لنواياه التى صرح بها فى Memorandum, Hossbach تلك الانتقادات التى عبر عنها كل من نيورات وبلومبرج وفريتش. وفى بداية عام ١٩٣٨اكد هتلر احكام قبضته على الجهاز العسكرى وجهاز السياسة الخارجية من خلال ما قام به أثناء ازمة بلومبرج وفريتش والغاء وزارة الحرب واستبدالها بالقيادة العليا للقوات المسلحة الألمانية واستبعاد نيورات من الخدمة كوزير للخارجية فى الرابع من فبراير لعام ١٩٣٦وتوليه بنفسه لمنصب القائد الاعلى للقوات المسلحة الألمانية.

وعلق المؤرخ الاقتصادى البريطانى ريتشارد أوفرى على ذلك قائلاً أن تأسيس القيادة العليا للقوات المسلحة الألمانية (OKW) فى فبراير من عام ١٩٣٦ كان بمثابة دليل واضح على نوايا هتلر؛ حيث أن هيئات القيادات العليا ـ مثل القيادة العليا للقوات المسلحة الألمانية ـ يتم تأسيسها عادة فى اوقات الحرب لا السلم.

ويشير التاريخ الرسمى لألمانيا فى أثناء الحرب العالمية الثانية إلى أن هتلر بدءاً من عام ١٩٣٨ لم يكن ينتهج سياسة خارجية يمكن أن تؤدى إلى زيادة فرص نشوب الحرب، بل سياسة تهدف إلى اشعال الحرب بالفعل.

كل شىء عن الهولوكست

تعتبر الصحة العنصرية (شكل من اشكال العنصرية العلمية) واحدة من الركائز التى اسس عليها هتلر سياساته الاجتماعية. ويستند هذا المفهوم على افكار آرثر دى جوبينو ـ وهو احد نبلاء فرنسا ـ وعلى علم تحسين النسل؛ وهو علم زائف يتبنى فكرة النقاء العرقى، وعلى الداروينية الاجتماعية؛ وهى الأيديولوجية التى تتبنى فكرة أن الارتقاء

البشرى يحدث نتيجة للتنافس بين الافراد والجماعات والامم. وعند تطبيق هذه الافكار على البشر، تم تفسير مبدأ "البقاء للاصلح" على أنه يهدف إلى النقاء العرقى وابادة كل "من ليس جديرا بالحياة".

وكان أول ضحايا هذه السياسة هم الاطفال من ذوى الإعاقات البدنية أو العقلية. وكانت عمليات قتلهم تتم فى اطار برنامج اطلق عليه اسم (T4 Action برنامج القتل الرحيم).

وبعد اعتراض الشعب الصاخب على هذا البرنامج، تظاهر هتلر بايقاف العمل به، ولكن فى حقيقة الأمر استمر القتل. (انظر: Nazi eugenicsتحسين النسل النازى).

فضلاً عن ذلك، وفى الفترة ما بين عامى ١٩٣٩ و١٩٤٥ قامت وحدات النخبة النازية ?SSبمساعدة بعض الحكومات المتواطئة من العدو ومجندين من الدول المحتلة، بعمليات قتل منظمة اودت بحياة عدد يتراوح بين احد عشر مليونًا واربعة عشر مليونًا شخص تقريبا، واشتمل هذا العدد على حوالى ستة مليون يهودى.

فى معسكرات الاعتقال وفى (ghetto الجيتو؛ الاحياء التى يسكن فيها الفقراء من اليهود) وفى عمليات القتل الجماعى. كذلك، كانت عمليات القتل تتم بشكل اقل تنظيما فى اماكن اخرى. فبالإضافة إلى الافراد الذين كان يتم التخلص منهم بالتسميم بالغاز، لاقى كثيرون حتفهم نتيجة للتجويع والاصابة بالامراض أثناء العمل بنظام السخرة (أحيانا كانوا يعملون لصالح الشركات الألمانية الخاصة).

وفضلا عن قتل اليهود، تعرض اخرون للقتل امثال بعض البولنديين من غير اليهود (بلغ عددهم أكثر من ثلاثة مليون فرد) والشيوعيين أو

الخصوم السياسيين واعضاء جماعات المقاومة والمثليين جنسيا والافراد المنتمين للقبائل التى تحمل اسم روما (وهى مجموعة فرعية من الغجر تستوطن أوروبا الوسطى والشرقية) والمعاقين بدنيا والمتخلفين عقليا واسرى الحرب السوفيت (ربما بلغ عددهم ثلاثة ملايين شخص) والمنتمين للطائفة المسيحية التى اطلق عليها اسم شهود يهوه والمؤمنين بفكرة البعث الثانى للسيد المسيح والوثنيين الجدد واعضاء النقابات العمالية والمرضى النفسيين. وكان مجمع معسكرات الابادة الذى يطلق عليه Auschwitz-Birkenau واحدا من اكبر المراكز التى تتم فيها عمليات القتل الجماعى فى ذلك العهد. ولم يقم هتلر ابدا بزيارة معسكرات الاعتقال، كما لم يتحدث ابدا علنا عن عمليات القتل التى تتم فيها بعبارات صريحة.

وكان التخطيط للهولوكست (der judischen Endlösung the Frage أو الحل الاخير للمشكلة اليهودية) قد تم بمعرفة القادة النازيين، ولعب الدور الرئيسى فيه هاينريش هيلمر.

وبينما لم يظهر أى امر محدد من هتلر بموافقته على القتل الجماعى الذى يتم، توجد بعض الوثائق التى تظهر موافقته على العمل الذى تقوم به Einsatzgruppen وهى جماعات القتل التى تبعت الجيش الألمانى إلى بولندا وروسيا بالإضافة إلى أن هتلر كان يبلغ بدقة بنشاطات تلك الجماعات. وتشير الدلائل أيضاً إلى أنه فى خريف عام ١٩٤١ اتفق هيلمر وهتلر على القيام بعمليات ابادة جماعية عن طريق تسمم الغاز. وفى أثناء التحقيقات التى باشرها ضباط المخابرات (ضابط المخابرات) السوفيتية والتى تم كشف النقاب عنها بعد مرور ما يقرب من خمسين عاما، ذكر خادم هتلر - هاينز لينج - ومعاونه العسكرى - اوتو جونش - أن

هتلر "درس بعناية مخطط غرف الغاز". كذلك، شهدت سكرتيرته الخاصة - تراودل يونج - أن هتلر كان يعرف كل ما يحدث فى معسكرات الموت.

وفى سبيل تحقيق التعاون فى تنفيذ هذا "الحل الاخير"، تم عقد مؤتمر Eichmann AdolfWannsee بالقرب من برلين فى العشرين من يناير فى عام ١٩٤٢. وحضر المؤتمر خمسة عشر من كبار المسئولين. وكان يرأس المؤتمر راينارد هيدريش وأدولف أيشمان. وتعتبر سجلات هذا الاجتماع هى اوضح الادلة المتاحة على التخطيط للهولوكست. وفى الثانى والعشرين من فبراير، نقل عن هتلر قوله لرفاقه "سنستعيد عافيتنا فقط بإبادة اليهود".

■ ■ ■





الحرب العالمية الثانية



التحالف مع اليابان

فى فبراير من عام ١٩٣٨ أنهى هتلر أخيراً الازمة التى اصابت السياسة الألمانية فيما يتعلق بالشرق الاقصى؛ والتى تتعلق بالاختيار بين الاستمرار فى التحالف الصينى الألمانى غير الرسمى والقائم مع الصين منذ العقد الثانى من القرن العشرين أو الدخول فى تحالف جديد مع اليابان. وفضل الجيش تماما فى هذا الوقت استمرار ألمانيا فى تحالفها مع الصين. وكان كل من وزير الخارجية ـ كونستنتين فون نيورات ـ ووزير الحرب ـ فيرنر فون بلومبرج ـ الذين كان يطلق عليهما اسم "اللوبى الصينى" يؤيدان الصين، وحاولا توجيه السياسة الخارجية لألمانيا بعيدا عن الدخول فى أى حروب فى أوروبا. ولكن، قام هتلر بصرف الوزيرين من الخدمة فى بدايات عام ١٩٣٨.

وبناء على نصيحة وزير الخارجية الجديد الذى عينه هتلر ـ جواشيم فون ريبنتروب ـ المؤيد لليابان بقوة، اختار هتلر انهاء التحالف مع الصين فى سبيل الفوز بتحالف مع اليابان الاكثر قوة وتحضرا. وفى احدى خطبه أمام الرايخستاج، تحدث هتلر عن اعتراف ألمانيا بولاية Manchukuo وكانت ولاية فى منشوريا احتلتها اليابان واصبح لها

السيادة الاسمية عليها. وتخلى عن المطامع الألمانية فى مستعمراتها السابقة فى المحيط الهادى. وامر هتلر بوقف ارسال شحنات الاسلحة إلى الصين إلى جانب استدعاء جميع الضباط الألمان المنضمين للجيش الصينى. وانتقاما من ألمانيا لانهاء دعمها للصين فى حربها ضد اليابان، قام القائد العام الصينى - شيانج كاى ذشك - بالغاء الاتفاقيات الاقتصادية بين الصين وألمانيا.

وكان نتيجة ذلك أن حرمت ألمانيا من المواد الخام، مثل عنصر التنجستين الفلزى الذى كانت تزودها به الصين فى السابق. وادى انهاء التحالف الصينى الألمانى إلى زيادة مشكلات ألمانيا المتعلقة باعادة التسلح؛ حيث أن ألمانيا اصبحت الآن مضطرة إلى اللجوء إلى احتياطى العملة الاجنبية المحدود لشراء المواد الخام من السوق المفتوحة.

النمسا وتشيكوسلوفاكيا

فى مارس من عام ١٩٣٨مارس هتلر ضغوطا على النمسا لضمها إلى ألمانيا (واطلق على عملية الاندماج مع النمسا اسم The Anschluss) وبالفعل فى الرابع عشر من مارس من العام نفسه، دخل هتلر فيينا منتصرا. وبعد ذلك، اكد هتلر على الازمة الموجودة حول مناطق Studentlandالتابعة لتشيكوسلوفاكيا والتى يتحدث سكانها اللغة الألمانية.

والتقى السفير البريطانى - سير نيفيل هندرسون - بهتلر فى الثالث من مارس فى عام ١٩٣٨ نائبا عن حكومته ليتقدم باقتراح لإقامة اتحاد دولى يهدف إلى السيطرة على معظم القارة الأفريقية (على أن يكون لألمانيا دورا قياديا فى هذا الامر) فى مقابل الحصول على وعد من ألمانيا بعدم اللجوء إلى الحرب لتغيير الحدود.

الا أن هتلر رفض عرض بريطانيا؛ حيث أنه كان مهتما بتوسيع المجال الحيوى فى أوروبا الشرقية أكثر من اهتمامه بالدخول فى اتحادات دولية. وبرر هتلر هذا الرفض برغبته فى عودة المستعمرات الألمانية فى أفريقيا إلى حكم الرايخ، لا أن يدخل فى اتحاد دولى يحكم أفريقيا الوسطى. فضلا عن ذلك، اعتبر هتلر أنه من الاهانة البالغة من قبل بريطانيا أن تملى شروطا على ألمانيا تتعلق بكيفية ادارة شئونها فى أوروبا فى مقابل الحصول على منطقة فى أفريقيا.

وأنهى هتلر حديثه مع هندرسون قائلا أنه على استعداد للانتظار عشرين عاما قادمة لاستعادة المستعمرات الألمانية فى أفريقيا على أن يقبل شروط بريطانيا الخاصة لتجنب الحرب.

علاوة على ذلك، عقد هتلر يومى الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من مارس عام ١٩٣٨ سلسلة من الاجتماعات السرية فى برلين مع كونراد هنلاين، قائد حزب الجبهة الداخلية Heimfront Sudeten وهو اكبر الأحزاب العرقية الألمانية فى .Sudetenlandوفى أثناء هذه الاجتماعات، تم الاتفاق على أن يقدم هنلاين ذريعة تغزو بها ألمانيا تشيكوسلوفاكيا وهى مطالبة الألمان فى منطقة Sudetenحكومة براج بحقهم فى الحصول على الحكم الذاتى؛ وهو مطلب من غير المحتمل أن تقره الحكومة هناك. وفى إبريل من عام ١٩٣٨ اخبر هلاين وزير خارجية المجر أنه "مهما كانت عروض الحكومة التشيكية سخية، فإنه سيستمر فى زيادة المطالب... لإفساد أية وسيلة للتفاهم لأن ذلك هو السبيل الوحيد لتدمير تشيكوسلوفاكيا سريعا".

وبشكل غير معلن، لم تكن قضية منطقة Sudeten ذات اهمية كبيرة بالنسبة لهتلر، بل إن نواياه الحقيقية كانت استغلال هذه القضية كوسيلة

يبـرر بهـا داخل البـلاد وخـارجـهـا شن الحـرب على تشـيكوسلوفـاكـيـا وتدميرها بدافع حق اهل هذه المنطقة فى تقرير مصيرهم ورفض حكومة براج تلبية مطالب هنلاين.

وخطط هتلر لضرورة وجود تعزيزات عسكرية ضخمة على الحدود التشيكية، ولشن هجمات دعائية ضارية تتحدث عن الاضطهاد الذى يلقاه الألمان فى هذه المنطقة. واخيرا، لإلقاء الضوء على مجموعة من الحوادث بين نشطاء الجبهة الداخلية والسلطات التشيكية بغرض تبرير الغزو الذى سيجتاح تشيكوسلوفاكيا سريعا فى حملة تستغرق أياما قلائل قبل أن تتمكن القوى الأخرى مٍن التدخل.

وبما أن هتلر كان يرغب فى جنى اكبر قدر من الثمار واكمال ما اطلق عليه اسم "الحائط الغربى" لحماية منطقة Rhineland فقد اختار أن يتم الغزو فى آخر سبتمبر أو فى بدايات شهر اكتوبر من عام ١٩٣٨.

اما فى ابريل من عام ١٩٣٨فقد امر هتلر القيادة العليا للقوات المسلحة بالتحضير لخطة للاستيلاء على تشيكوسلوفاكيا والتى اطلق عليها اسم (Grün Fal الخطة الاستراتيجية التى وضعها هتلر للاستيلاء على تشيكوسلوفاكيا).

وكانت ازمة مايو التى استمرت فى الفترة ما بين التاسع عشر والثانى والعشرين من مايو فى عام ١٩٣٨ من العوامل التى ادت إلى زيادة التوتر فى أوروبا. وكانت ازمة مايو التى حدثت فى عام ١٩٣٨ عبارة عن انذار كاذب اطلقته الشائعات المنذرة بتعرض تشيكوسلوفاكيا للغزو فى نهاية الاسبوع الذى ستجرى فيه الانتخابات المحلية فى البلاد وكذلك التقارير الخاطئة التى تحدثت عن تحركات خطيرة للجيوش الألمانية على طول

الحدود التشيكية قبل اجراء الانتخابات مباشرة. ومن العوامل الأخرى التى اكدت على ذلك قتل الشرطة التشيكية لاثنين من الألمان العرقيين وتلميحات ريبنتروب التى تحمل معنى العنف لهندرسون عندما سأله الاخير عن مدي صحة الأخبار القائلة بوقوع غزو فى نهاية الاسبوع. وقد أدى هذا الأمر إلى قيام تشيكوسلوفاكيا بالتعبئة الجزئية واطلاق لندن تحذيرات صارمة من الغزو الألمانى لتشيكوسلوفاكيا فى نهاية الاسبوع، وذلك قبل أن تدرك عدم صحة هذه الشائعات وأنه لا وجود لأى غزو ألمانى فى نهاية هذا الاسبوع.

وعلى الرغم من عدم التخطيط لأى غزو فى مايو من عام ١٩٣٨ فإن البعض فى لندن كانوا يعتقدون بأن برلين تفكر فى هذا الأمر حتما مما أدى إلى صدور إنذارين فى يومى الحادى والعشرين والثانى والعشرين من شهر مارس مفادهما أن المملكة المتحدة على استعداد للدخول فى حرب إلى جانب ألمانيا فى حالة دخول فرنسا فى حالة حرب ضد ألمانيا.

ومن جانبه، استخدم هتلر كلمات احد معاونيه من الضباط وعبر عن شعوره "بالغضب" العارم بسبب اضطراره للتراجع بعد عملية التعبئة التى قامت بها تشيكوسلوفاكيا وبعد تحذيرات كل من لندن وباريس على الرغم من أنه لم يخطط للغزو فى نهاية هذا الاسبوع.

وبالرغم من أن مسودة خطة الغزو كانت قد وضعت بالفعل فى إبريل من عام ١٩٣٨ لغزو تشيكوسلوفاكيا فى المستقبل القريب، فإن ازمة مايو وفكرة الهزيمة الدبلوماسية قد زادتا من قناعة هتلر بصحة المسار الذى اختاره. ويبدو أن ازمة مايو قد اقنعت هتلر بصعوبة التوسع "دون مساندة بريطانيا"، وإن التوسع "ضد بريطانيا" كان النهج الوحيد القابل للتطبيق فى ذلك الوقت.

ومن النتائج المباشرة التى ترتبت على ازمة مايو أن هتلر قد اصدر اوامره باسراع الخطى فى صناعة البناء البحرية بصورة تفوق المنصوص عليه فى المعاهدة البحرية بين بريطانيا وألمانيا. وجاء لاول مرة فى المذكرة المعروفة باسم "Memorandum Heye" - والتى صدرت بناء على اوامر من هتلر - أن الاسطول الملكى البريطانى هو العدو الرئيسى للقوات البحرية الألمانية.

فضلا عن ذلك، أعلن هتلر فى المؤتمر الذى اقيم فى الثامن والعشرين من مايو فى عام ١٩٣٨ أن قراره الخاص "بسحق تشيكوسلوفاكيا" بحلول الأول من اكتوبر من نفس العام "غير قابل للتغيير". وكان تبريره لهذا الأمر هو أن هذه الطريقة هى التى سيؤمن بها الجناح الشرقى فى الجيش "حتى يتمكن من الزحف نحو الغرب فى انجلترا وفرنسا".

وفى المؤتمر نفسه، اعرب هتلر عن اعتقاده الراسخ فى أن بريطانيا لن تخاطر بشن حرب إلا بعد الانتهاء من عملية إعادة التسلح التى يعتقد هتلر أنها ستتم بين عامى ١٩٤١ و١٩٤٢, كما ينبغى على ألمانيا أن تتخلص من فرنسا وحلفائها فى أوروبا فى الفترة ما بين الاعوام ١٩٣٨ و١٩٤١ وهى الفترة التى ستكون فيها عملية إعادة التسلح الألمانية لا تزال قيد التنفيذ. وادى اصرار هتلر الشديد على تنفيذ خطة فى عام ١٩٣٨ إلى إثارة أزمة خطيرة داخل الهيكل القيادى فى ألمانيا.

فقد احتج رئيس اركان الحرب - الجنرال لودفيج بيك - فى سلسلة مطولة من المذكرات قام بتقديمها على أن خطة Fall Grün التى ستتسبب فى اشعال حرب عالمية تخسرها ألمانيا. كما حث هتلر على التخلى عن

فكرة الحرب التى يخطط لها. اما هتلر فقد رأى أن اراء بيك المضادة للحرب ما هى إلا "Kindische Kräfteberechnugen" ("حسابات طفولية").

وبداية من شهر أغسطس فى عام ١٩٣٨ وصلت اخبار إلى لندن تفيد بان ألمانيا بدأت فى تحريك جنود الاحتياط. كما تسربت بعض الاخبار من قبل عناصر تعأرض الحرب فى الجيش الألمانى بان الحرب ستشتعل فى وقت ما فى شهر سبتمبر.

وفى النهاية، ونتيجة لضغوط دبلوماسية شديدة من فرنسا وبريطانيا على وجه الخصوص، كشف الرئيس التشيكى - إدفارد بينيس - يوم الخامس من سبتمبر فى عام ١٩٣٨ عما اطلق عليه Fourth Plan الخطة الرابعة لاعادة التنظيم الدستورى لدولته والذى يلبى فيها معظم مطالب الألمان فى Sudetenالخاصة بالحكم الذاتى والتى تقدم بها هنلاين فى خطابه الذى القاه فى منطقة Karlsbad فى شهر ابريل من عام ١٩٣٨, كما صرح الرئيس التشيكى بأنه سيبطل كل الذرائع حتى لا يعطى الألمان الفرصة لغزو دولته.

وسرعان ما جاءت استجابة حزب الجبهة الداخلية بزعامة هنلاين لهذا لعرض "الخطة الرابعة" بإثارة سلسلة من الاشتباكات العنيفة مع الشرطة التشيكية والتى وصلت إلى ذروتها فى منتصف سبتمبر مما أدى إلى اعلان الاحكام العرفية فى مناطق معينة فى Sudeten وكرد فعل لهذا الموقف الحرج، فكر رئيس الوزراء البريطانى - نيفيل تشامبرلين - فى اللجوء للخطة التى تم اطلاق اسم Plan Zعليها، والتى تقضى بسفره إلى ألمانيا والالتقاء بهتلر للتوصل إلى اتفاقية تعمل على انهاء الازمة. وفى الثالث عشر من سبتمبر فى عام ١٩٣٨ تقدم تشامبرلين بعرض للسفر

إلى ألمانيا لبحث حل لهذه الازمة. وهكذا، قرر رئيس الوزراء تنفيذ Plan Z ردا على المعلومات الخاطئة التى اصدرتها المعارضة الألمانية والتى تنذر بأن الغزو الألمانى من المتوقع حدوثه فى أى وقت بعد يوم الثامن عشر من سبتمبر من العام نفسه.

وبالرغم من عدم رضا هتلر عن عرض تشامبرلين، فإنه قد وافق على مقابلة رئيس الوزراء لأن رفضه لهذا العرض سيكذب مزاعمه التى دأب على تكرارها عن كونه رجل سلام لا يدفعه إلى الحرب سوى عناد الرئيس التشيكى بينيس.

وفى أثناء القمة التى عقدت فى منطقة Berchtesgaden وعد تشامبرلين بالضغط على بينيس ليوافق على مطالب هتلر المعلنة بخصوص تحويل تبعية منطقة Sudetenland إلى ألمانيا فى مقابل الوعد الذى ابرمه هتلر على مضض بتأجيل اتخاذ أى رد فعل عسكرى حتى يتيح الفرصة أمام تشامبرلين ليفى بوعده. وما كان هتلر ليوافق على هذا التأجيل إلا لتأكده من فشل تشامبرلين فى الحصول على موافقة حكومة براج بتحويل تبعية .Sudetenland ولذلك، اصابه احباط شديد عندما نجحت الضغوط البريطانية والفرنسية فى مساعيها وجعلت حكومة براج تجيبه إلى طلبه.

ولقد زاد من صعوبة المحادثات التى تمت فى سبتمبر من عام ١٩٣٨ بين هتلر وتشامبرلين اختلاف المفاهيم المتأصلة لدى كل منهما فيما يتعلق بالشكل الذى يجب أن تتخذه الخريطة الأوروبية. فقد كان هتلر يهدف إلى التذرع بمشكلة Sudetenland لاشعال الحرب، بينما كان تشامبرلين يناضل فى سبيل ايجاد حل سلمى للمشكلة.

عندما عاد تشامبرلين إلى ألمانيا فى الثانى والعشرين من سبتمبر من العام نفسه لعرض خطة السلام المتمثلة فى نقل تبعية Sudetenland إلى ألمانيا فى قمة يتم عقدها مع هتلر بمنطقة Godesberg Bad فوجئ الوفد البريطانى المفوض للتفاوض برفض هتلر تنفيذ الشروط التى وضعها بنفسه فى .Berchtesgaden

وفى سبيل القضاء على جهود السلام المبذولة من قبل تشامبرلين إلى الأبد، طالب هتلر تشيكوسلوفاكيا بالتخلى تماما عن Sudetenland فى موعد اقصاه الثامن والعشرين من سبتمبر فى عام ١٩٣٨ ودون اجراء مفاوضات بين براج وبرلين ودون تفويض دولى لمراقبة عملية نقل التبعية. إلى جانب ذلك، طالب هتلر بعدم اجراء أى استفتاءات عامة فى المناطق التى سيتم نقل تبعيتها إلى ألمانيا قبل الانتهاء من هذه العملية. واضاف هتلر أن ألمانيا لن تتخلى عن خيار الحرب إلا بعد أن تتوصل تشيكوسلوفاكيا إلى حلول لادعاءات بولندا والمجر ضدها.

ولقد ظهر مدى تباين الاراء بين كل من هتلر وتشامبرلين جليا عندما تعرف الاخير على مطالب الأول الجديدة واحتج على لهجة الانذار التى اتسمت بها هذه المطالب مما دفع هتلر إلى أن يرد بحجة معاكسة مفادها أنه نظرا لأن الوثيقة المدون بها مطالبه معنونة باسم "مذكرة"، فهذا يعنى أنها ليست إنذاراً.

وفى الخامس والعشرين من سبتمبر فى عام ١٩٣٨ قامت بريطانيا برفض انذار Godesberg Bad وبدأت فى الاستعداد للحرب.

وللتأكيد على هذه النقطة، زار سير هوريس ويلسون - المستشار الصناعى الأول فى الحكومة البريطانية - والمساعد المقرب لتشامبرلين

هتلر كرسول ليخبره أنه فى حالة هجوم ألمانيا على تشيكوسلوفاكيا، فإن فرنسا ستنفذ التزاماتها الخاصة بالتحالف بين تشيكوسلوفاكيا وفرنسا والتى تم إبرامها فى عام ١٩٢٤. ومن ثم "ستجد انجلترا نفسها ملزمة بعرض المساعدة على فرنسا".

وخلال يومى ٢٧ و٢٨ من سبتمبر واصرارا منه على شن الهجوم المقرر فى الأول من اكتوبر ١٩٣٨ اعاد هتلر التفكير فيما انتوى أن يقوم به ووافق على اقتراح قدمه موسولينى وتوسط لقبوله والخاص بعقد مؤتمر فى ميونخ يحضره كل من تشامبرلين وموسولينى ورئيس الوزراء الفرنسى إدوارد دالاييه لبحث الوضع فى تشيكوسلوفاكيا.

اما الاسباب التى دعت هتلر إلى تغيير موقفه، فليست واضحة. ولكن يبدو أن هذه الاسباب تكمن فى اتحاد التحذيرات البريطانية والفرنسية على نفس الفكرة خاصة بعد تحرك الاسطول البريطانى بالفعل مما جعل هتلر يرى أخيراً النتائج التى ستؤول اليها خطة .Fall Grün كذلك ظهوره بمظهر المعتدى نتيجة لطبيعة التصريحات التى يمكن أن تكون ذريعة لنشوب الحرب والتى أعلنها عن التوقيت الذى يطالب فيه بتحويل تبعية Sudetenland إلى جانب اراء مستشاريه الألمان بعدم استعداد ألمانيا للدخول فى حرب عالمية من الناحيتين العسكرية والاقتصادية. ايضا، كانت هناك تلك التحذيرات التى تلقاها من بعض الدول التى كان ينظر اليها على أنها دول حليفة له وتتضمن إيطاليا واليابان وبولندا والمجر والتى جاء فيها أنها لن تحارب بالنيابة عن ألمانيا. اخيرا، كانت هناك اشارات تامة الوضوح إلى أن غالبية الشعب الألمانى غير راض عن فكرة الحرب بشكل عام.

بالاضافة إلى ذلك، كانت ألمانيا تعانى من نقص الإمدادات الكافية من الزيت وغيره من المواد الخام الاساسية (لأن المصانع التى كان من المقرر أن تنتج النفط الصناعى لاستخدامه فى المجهود الحربى الألمانى كانت لم تعمل بعد)، وكان الاعتماد لدرجة كبيرة على الواردات من الخارج.

كما أعلنت القوات البحرية الألمانية أنه فى حالة الدخول فى حرب مع بريطانيا فإنهالن تستطيع اختراق الحصار البريطانى. ولأن ألمانيا لم يكن لديها تقريبا أى مخزون احتياطى من الزيت، فإن هذا السبب يكفى وحده لخسارتها الحرب. كما اخبرت وزارة الاقتصاد هتلر أن ألمانيا لا تمتلك سوى ٢,٦ طن من الزيت فى الوقت الحالى وإن الدخول فى حرب ضد بريطانيا وفرنسا يستلزم ما لا يقل عن ٧,٦ مليون طن من الزيت. ومنذ الثامن عشر من سبتمبر فى عام ١٩٣٨ رفضت بريطانيا امداد ألمانيا بالمعادن، وفى الرابع والعشرين من سبتمبر منعت قيادة البحرية الملكية البريطانية السفن البريطانية من الابحار إلى ألمانيا. وقامت بريطانيا باحتجاز ناقلة البترول Invershannon التى تحمل ٨٦٠٠ طن من البترول إلى مدينة هامبورج بألمانيا مما أدى إلى حدوث تأثيرات سلبية اقتصادية مباشرة على ألمانيا.

ومع الاخذ فى الاعتبار أن ألمانيا كانت تعتمد على استيراد الزيت (حيث أن ٨٠٪ من الزيت فى ألمانيا خلال فترة الثلاثينات من القرن العشرين كان يأتى اليها من قارات العالم الجديد) بالإضافة إلى أن احتمالية دخول ألمانيا فى حرب مع بريطانيا كانت ستضعها فى حصار يقطع عنها إمدادات الزيت التى تحتاجها، يرى المؤرخون أن قرار هتلر بإيجاد حل سلمى والغاء خطة Fall Grün يرجع إلى مخاوف هتلر حيال

مشكلة الزيت. Thumb 200px تشامبرلين دالاييه وهتلر وموسولينى فى مؤتمر ميونخ الذى اقيم فى الثلاثين من سبتمبر من عام ١٩٣٨. وفى المؤتمر الذى استغرق يوما واحدا وتم عقده فى ميونخ وحضره كل من هتلر وتشامبرلين ودالاييه وموسولينى، تم توقيع معاهدة ميونخ التى استجابت لطلبات هتلر الظاهرية ونقلت تبعية المناطق الموجودة فى Sudetenland إلى ألمانيا.

وبما أن لندن وباريس كانتا قد وافقتا بالفعل على فكرة نقل تبعية المنطقة المتنازع عليها فى منتصف شهر سبتمبر، فإن المؤتمر قد تناول فى يوم واحد المحادثات الخاصة بالمسائل الفنية المتعلقة بكيفية تنفيذ عملية نقل التبعية. كما ناقش المؤتمر التنازلات البسيطة التى سيقوم بها هتلر والتى تتمثل فى أن تتم عملية نقل التبعية فى غضون عشرة أيام فى شهر أكتوبر بتفويض دولى يراقب عملية نقل التبعية، وستنتظر ألمانيا حتى يتم تسوية الادعاءات المجرية والبولندية.

وفى ختام المؤتمر، وقع هتلر معاهدة صداقة ألمانية بريطانية علق عليها تشامبرلين آمالاً كبيرة بينما لم تكن لهذه المعاهدة لدى هتلر ادنى اهمية.

وعلى الرغم من أن تشامبرلين كان راضيا عن مؤتمر ميونخ؛ الأمر الذى أدى إلى ادعائه الزائف بان هذا المؤتمر قد ضمن "تحقيق السلام فى الوقت الراهن"، فإن هتلر كان من داخله يشعر بالغضب الشديد لاضطراره "التخلى" عن الحرب التى كان يصبو إلى شنها فى عام ١٩٣٨.

وكنتيجة للقمة التى تم عقدها، فاز هتلر فى استفتاء مجلة تايم بلقب رجل العالم وذلك فى عام ١٩٣٨.

وقد رحب رئيس الوزراء البريطانى ـ نيفيل تشامبرلين ـ بهذه المعاهدة باعتبارها "مبادرة للسلام فى الوقت الراهن"، ولكن أثناء مساعيهم لاستمالة هتلر وكسب رضائه، تركت كل من فرنسا وبريطانيا تشيكوسلوفاكيا تحت رحمة هتلر. وبالرغم من أن هتلر كان قد أعلن على الملأ عن سعادته الغامرة إثر تحقيق مطالبه الظاهرية، فإنه كان قد عقد عزمه سرا على الدخول فى حرب فى المرة القادمة التى يتاح له فيها ذلك حتى يتأكد من أن مطالب ألمانيا المستقبلية قد تم الحصول عليها.

ورأى هتلر من وجهة نظره أن مبادرة السلام التى توسطت فيها بريطانيا كانت بمثابة هزيمة دبلوماسية لألمانيا بالرغم من أنها تخدم بشدة مطالب ألمانيا الظاهرية؛ وذلك لانها اثبتت أن أحلامه للتوسع فى الشرق لن تتحقق إلا بالقضاء على قوة بريطانيا. وفى اعقاب معاهدة ميونخ، شعر هتلر أنه نظرا لأن بريطانيا لن تتحالف مع ألمانيا أو تلتزم الحياد مما يسمح لألمانيا بتحقيق طموحاتها فى القارة الأوروبية، فقد اصبحت تشكل تهديدا رئيسيا لألمانيا. وهكذا، حلت بريطانيا محل الاتحاد السوفيتى فى ذهنه باعتبارها العدو الرئيسى للرايخ من وجهة نظر هتلر؛ الأمر الذى يستلزم إعادة توجيه السياسات الألمانية.

وفى احد الخطابات التى القاها فى التاسع من اكتوبر عام ١٩٣٨ فى مدينة Saabrücken أعرب هتلر عن خيبة امله تجاه معاهدة ميونخ عندما هاجم شخصيات اعتبرهم من المحافظين الذين لا يسعون ابدا إلى تهدئة الاوضاع وهم وينستون تشرشل وألفريد داف كوبر وانتونى إيدن والذين وصفهم بانهم زمرة من مثيرى الحرب المعادين لألمانيا والذين سيهاجمون ألمانيا فى أول فرصة تسنح لهم. وعبر عن اعتقاده أن هؤلاء الاشخاص من الممكن أن يتقلدوا زمام الامور فى بريطانيا فى اية لحظة.

وفى نفس الخطاب، أعلن هتلر: "نحن الألمان لن نتحمل بعد اليوم هذا التدخل الذى يفرض سلطته علينا. يجب على بريطانيا أن تلتفت لشئونها هى فقط وتهتم بحل مشكلاتها هى فقط".

وفى نوفمبر من عام ١٩٣٨امر هتلر باطلاق حملة دعائية كبرى ضد بريطانيا تم فيها استخدام عبارات التجريح التى تستنكر "سياسة النفاق" التى تنتهجها بريطانيا للحافظ على إمبراطوريتها فى جميع أنحاء العالم بينما تسعى لمنع الألمان من تكوين امبراطوريتهم الخاصة.

وتم تخصيص جزء من هذه الحملة الدعائية لانتقاد انتهاكات حقوق الانسان التى ترتكبها بريطانيا فى تعاملها مع انتفاضة العرب فى كل من فلسطين الواقعة تحت الانتداب البريطانى وفى الهند، وكذلك سياسة النفاق التى انتهجتها بريطانيا فى انتقادها لحادثة (Kristallnacht ليلة الزجاج المحطم) التى وقعت فى نوفمبر من عام١٩٣٨.

ويشير هذا إلى تحول هائل عن الافكار التى سادت خلال السنوات الأولى من عهد الرايخ الثالث عندما كانت وسائل الإعلام الألمانية تقدم الإمبراطورية البريطانية فى صورة رائعة ومميزة. وفى نوفمبر من عام ١٩٣٨ صدر امر لوزير الخارجية جواشيم فون ريبنتروب بتحويل اتفاقية مكافحة الشيوعية إلى تحالف عسكرى مفتوح مناهض لبريطانيا يكون مقدمة لاعلان الحرب على كل من بريطانيا وفرنسا.

وفى السابع والعشرين من يناير فى عام ١٩٣٩ وافق هتلر على تنفيذ الخطة التى عرفت باسم Plan Z وهو برنامج للتوسع البحرى يستمر لمدة خمس سنوات ويدعو إلى تأسيس قوات بحرية ألمانية بحلول عام ١٩٤٤ تضم عشرة بوارج واربع حاملات للطائرات وثلاثة طرادات مقاتلة واربعة

واربعين طرادة خفيفة وثمان طرادات ثقيلة وثمانية وستين مدمرة ومائتين وتسعة واربعين غواصة ألمانية وذلك بهدف سحق البحرية الملكية البريطانية.

ويمكن أن نلمس اهمية هذه الخطة من خلال الاوامر التى اصدرها هتلر والتى تقضى برفع القوات البحرية الألمانية من المرتبة الثالثة إلى المرتبة الأولى من حيث الاحقية فى الحصول على المواد الخام والاموال والعمالة الماهرة.

وفى ربيع عام ١٩٣٩ اصدر هتلر اوامره إلى القوات الجوية الألمانية بالبدء فى بناء قوة استراتيجية من قاذفات القنابل يكون هدفها هدم المدن البريطانية هدما تاما.

واستدعت خطط هتلر لحربه ضد بريطانيا وجود سلاح هجومى مشترك بين القوات البحرية الألمانية والقوات الجوية الألمانية يقوم بتوجيه "ضربات ابادة سريعة" على المدن وسفن الشحن البريطانية لانه من المتوقع "ان تستسلم بريطانيا وتعلن الخضوع فى اللحظة التى يتم فيها قطع الامدادات عنها". وتوقع هتلر أن تفوق تجربة الحياة فى احدى الجزر البريطانية تحت وطأة الحصار والمجاعة ونيران القذف قدرة الشعب البريطانى على الاحتمال.

وفى نوفمبر من عام ١٩٣٨ ذكر هتلر فى احد خطاباته السرية التى القاها أمام مجموعة من الصحفيين الألمان أنه كان مكرها على الحديث عن السلام باعتباره الهدف الذى يسعى إليه من أجل أن يتمكن من الوصول إلى مستوى إعادة التسلح "الذى كان يعتبر مطلبا ضروريا... بالنسبة للمرحلة القادمة". وفى نفس الخطاب، اعرب هتلر عن تذمره

نظرا لأن الدعاية الخاصة بالسلام التى اطلقها فى الخمس سنوات السابقة قد حققت نجاحا كبيرا، وأنه قد حان الوقت الآن لكى يخرج على الشعب الألمانى بفكرة الترويج للحرب.

واوضح هتلر أن "التجربة العملية قد برهنت على أن الدعاية التى روجت للسلام فى العقد السابق كانت فكرة محفوفة بالمخاطر لانها من السهل جدا أن تقنع الشعب بان الحكومة الحالية تلتزم بقرارها وبنواياها للحفاظ على السلام تحت كل الظروف". وعوضا عن ذلك، دعا هتلر إلى وجود نوع جديد من الصحافة "تقع على عاتقه مسئولية تقديم وقائع معينة فى السياسة الخارجية باسلوب يجعل صوت الشعب نفسه يعلو بالهتاف بضرورة البدء فى استخدام القوة".

وفى وقت لاحق من نوفمبر فى عام ١٩٣٨ اعرب هتلر عن خيبة الامل التى كان يشعر بها من تلك النصائح الحريصة التى كان يتلقاها من بعض الجهات.

واطلق هتلر على كل من الخبير الاقتصادى والجنرال لودفيج بيك ودكتور هيلمار شاخت والدبلوماسى أولريش فون هاسل ورجل الاقتصاد ردولف برينكمان اسم "دوائر التفكير الحريص أكثر من اللازم". فقد حاولوا عرقلته عن اتمام مهمته عبر مناشدته بتوخى الحذر فى تصرفاته. وكانت حاجة هتلر إلى مهاراتهم، هى التى منعته من "التخلص منهم فى يوم من الايام أو القيام بشىء من هذا القبيل".

وفى ديسمبر من عام ١٩٣٨ تسلمت مستشارية الفوهرر برئاسة فيليب بوهلر خطابا يتعلق بطفلة تدعى صوفيا كناور مصابة بعجز بدنى وذهنى شديد وتعيش فى مدينة Leipzing.

فى تلك الفترة، كانت هناك منافسة شرسة بين مكتب بوهلر، ومكتب مستشارية الرايخ الذى يرأسه هانز هيانريش لامرز، والمستشارية الرئاسية بزعامة اوتو مايسنر، ومكتب الضابط المساعد لهتلر فيلهيلم بروكنر، ومكتب نائب الفوهرر الذى كان يسيطر عليه عمليا مارتن بورمان على السعى لنيل الحظوة عند هتلر.

وكجزء من لعبة القوة التى يستخدمها ضد خصومه، قدم بوهلر الخطاب الذى يتعلق بالطفلة المعاقة إلى هتلر الذى اعرب عن شكره لبوهلر لانه اطلعه على هذا الامر، وكان رده على هذا الخطاب هو توجيه امر إلى طبيبه الشخصى د/ كارل براندت بقتل الطفلة.

وفى يناير من عام ١٩٣٩ ?امر هتلر كل من بوهلر ود/ براندت بالبدء منذ تلك اللحظة فى قتل جميع الاطفال المعاقين الذين يولدون فى ألمانيا.

وكان ذلك هو أصل برنامج القتل الرحيم. ونتيجة لذلك، اخذ كل من د/ براندت وبهلر يتصرفان دون الرجوع لهتلر، فى محاولة لكسب رضاه حيث قاموا بالتوسع فى عملية القتل وفقا لبرنامج القتل الرحيم لقتل جميع الاطفال المعاقين بدنيا أو ذهنيا فى ألمانيا كمرحلة اولى ثم قتل البالغين المعاقين كلهم بعد ذلك.

وفى اواخر عام ١٩٣٨ وبدايات عام ١٩٣٩ ?ادت الازمة الاقتصادية المستمرة التى سببتها مشكلات عملية إعادة التسلح خاصة تلك المشكلة التى تتعلق بنقص العملات الصعبة التى كانت تحتاج اليها ألمانيا لشراء المواد الخام التى كانت تنقصها، بالإضافة إلى التقارير التى وردت من جورينج بشأن استحالة تنفيذ الجدول الزمنى المقرر "لخطة السنوات الاربعة" بهتلر إلى أن يضطر فى يناير من عام ١٩٣٩ إلى أن يصدر على

مضض امرا ينص على تخفيض حصص المواد التى تلزم قوة الدفاع؛ بحيث يتم تخفيض حصة الصلب بنسبة ثلاثين بالمائة، والألومنيوم بنسبة سبعة واربعين بالمائة، والاسمنت بنسبة خمسة وعشرين بالمائة، والمطاط بنسبة اربعة عشر بالمائة، والنحاس بنسبة عشرين بالمائة. Murray 1984, p.268وفى الثلاثين من يناير عام ١٩٣٩ ?ألقى هتلر خطابا تحت عنوان "التصدير أو الموت" يدعو فيه إلى بناء اقتصاد ألمانى "هجومى" (او "معركة الصادرات" كما اطلق عليها هتلر) من أجل زيادة ما تملكه ألمانيا من العملة الاجنبية والتى تحتاج اليها لشراء المواد الخام مثل الحديد عالى الجودة اللازم للمواد العسكرية. وعُرف هذا الخطاب أيضاً باسم "خطاب "النبوءة". ويأتى الاسم الذى عرف به هذا الخطاب من "نبوءة" هتلر التى صرح بها فى الجزء الاخير من خطابه.

"هناك شىء واحد اود أن اقوله فى هذا اليوم واود أن يبقى محفورا فى ذاكرة الآخرين وفى ذاكرتنا نحن الألمان: على مدى مشوار حياتى، أتاحت لى الظروف فى احيان كثيرة أن أتنبأ ببعض الامور التى سخر منى الآخرين عندما صرحت بها. واثناء كفاحى للوصول إلى السلطة، كان اليهود هم أول من قابل نبوءاتى بقدر من السخرية خاصة عندما صرحت بأننى سأتولى زعامة الدولة فى يوم من الايام، وزعامة الأمة بأسرها، وإننى سأتمكن حينها من تسوية مشكلة اليهود واقوم بالكثير من الامور الاخرى. وكانت ضحكاتهم صاخبة، ولكننى اظن أنهم يسخرون منذ فترة طويلة من الوقت على ما لا ينبغى السخرية منه. اسمحوا لى اليوم أن اخبركم مرة اخرى بواحدة من نبوءاتى. فإذا نجحت القوى المالية اليهودية خارج أوروبا فى اقحام الامم مرة اخرى فى حرب عالمية جديدة، فإن

النتيجة لتكون سيادة البلشفية فى كل ارجاء الأرض فحسب - وبالتالى تحقيق اليهود للنصر - بل ستكون هلاك العرق اليهودى فى أوروبا!".

عموما فقد دار جدل تاريخى مهم حول خطاب هتلر المعروف باسم "خطاب النبوءة". فالمؤرخون امثال ايبرهارد جاكيل الذين يعتقدون أن هتلر كان يعنى تماما ما قاله فى خطابه يعتقدون أنه على الاقل منذ القاء خطاب النبوءة فإن هتلر كان قد وضع نصب عينيه تنفيذ عمليات ابادة جماعية لليهود كهدف رئيسى يسعى لتنفيذه.

وقد قال كل من لوسى داويدوفيتش وجيرالد فليمينج أن هذا الخطاب افسح المجال أمام هتلر للتصريح بأنه بمجرد اعلانه للحرب العالمية، فإنه سيستخدمها كستار لمخططاته الموجودة سابقا لابادة اليهود تماما. واغفل كل من كريستوفر براونينج وجهتى النظر المتعارضتين بشأن الحقيقة التاريخية الخاصة بالهولوكست؛ والتى تقول أحدهما بإن اوامر الهولوكست قد صدرت من بعض مرؤوسى هتلر وأنه لم تكن لديه ابدا النية لعمل ذلك، بينما تقول وجهة النظر الثانية بأن هتلر كانت لديه النية المبيتة منذ توليه الحكم لإبادة اليهود فى الهولوكست. والمؤرخين الذين يعتبرون أن هتلر لم تكن لديه ابدا نية مبيتة لإبادة اليهود فى الهولوكست. هذا التفسير زعما منهم بأنه إذا كان هتلر صادقا فى نواياه التى عبر عنها فى خطابه ما كان استمر فى تأجيل حكم الاعدام الذى نوى أن ينفذه ضد اليهود لمدة ثلاثين شهراً؛ وهى الفترة ما بين اندلاع الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر من عام ١٩٣٩ وافتتاح أول (Vernichtungslagerمعسكر لإبادة اليهود) فى اواخر عام ١٩٤١.

علاوة على ذلك، اشار براونينج إلى وجود خطة مدغشقر Plan Madagascarفى الفترة ما بين عامى ١٩٤٠ و١٩٤١وغيرها من

المخططات الأخرى التى تبرهن على أنه لم تكن هناك خطة رئيسية موضوعة بهدف الإبادة الجماعية لليهود. هذا ويرى براونينج أن خطاب النبوءة كان مجرد محاولة للتظاهر بالشجاعة من جانب هتلر وإن هناك رابط ضعيف بين هذا الخطاب وبين الكشف الفعلى عن حقيقة السياسات المعادية للسامية التى كان يؤمن بها.

وعلى الاقل يتمثل جزء من السبب الذى دفع هتلر إلى انتهاك معاهدة ميونخ - عندما قام بالاستيلاء على النصف التشيكى من تشيكوسلوفاكيا فى مارس من عام ١٩٣٩ - فى رغبته فى الحصول على مصادر جديدة للثروة والقوة تساعده فى التغلب على ازمته الاقتصادية.

واصدر هتلر اوامره إلى الجيش الألمانى بدخول براج فى الخامس عشر من مارس فى عام ١٩٣٩ بدخول قلعة براج التى أعلن عنها أن منطقتى Bohemiaو Moravia قد أصبحتا تحت الحماية الألمانية.

ضربة البداية

كانت هناك ضرورة حتمية من وجهة نظر هتلر - من منطلق منهجه فى معاداة بريطانيا - لضم بولندا إلى جانب ألمانيا باعتبارها دولة تابعة أو حتى دولة محايدة فى هذا الصراع. واعتقد هتلر أن تحقيق ذلك يمثل ضرورة على الصعيد الاستراتيجى من ناحية لانه يضمن تأمين الجانب الشرقى للرايخ، وعلى الصعيد الاقتصادى من ناحية اخرى لتجنب الأثر السلبى للحصار البريطانى.

وكان طموح ألمانيا فى المقام الأول ينصب على تحويل بولندا إلى دولة تابعة لها، ولكن مع حلول مارس من عام ١٩٣٩ وعندما رفضت بولندا المطالب الألمانية ثلاث مرات، عقد هتلر عزمه على تدمير بولندا تنفيذا للهدف الرئيسى للسياسة الخارجية لألمانيا فى عام١٩٣٩.

وفى الثالث من ابريل لعام ١٩٣٩امر هتلر قواته العسكرية ببدء التجهيز للمخطط المعروف باسم (Weiss Fall الخطة الاستراتيجية التى وضعها هتلر لغزو بولندا)؛ وهو مخطط يقضى بتنفيذ الغزو الألمانى فى الخامس والعشرين من اغسطس فى عام ١٩٣٩. وفى اغسطس من عام ١٩٣٩ تحدث هتلر مع قادته العسكريين عن خطته الرئيسية لعام ١٩٣٩ فقال: ".... اقامة علاقة مقبولة بين ألمانيا وبولندا من أجل محاربة الغرب". ولكن نظرا لأن البولنديين لن يقبلوا بالتعاون مع ألمانيا من أجل اقامة "علاقة مقبولة" (بمعنى أن يوافقوا على أن تصبح بولندا دولة تابعة لألمانيا)، فقد رأى هتلر أنه لن يكون هناك بديل عن محو بولندا من الوجود.

وقد اوضح المؤرخ جيرهارد فاينبرج أن شعب هتلر كان يشتمل على مجموعة تؤمن بفكرة تدمير بولندا (فقد كانت المشاعر المعادية لبولندا قوية جدا فى الجيش الألمانى)، ولكنهم كانوا اقل رضا عن فكرة الدخول فى حرب مع بريطانيا وفرنسا. فإذا كان هذا هو الثمن الذى يجب أن تدفعه ألمانيا من أجل تدمير بولندا، سيكون هتلر قد نجح على الارجح بخطته تلك فى التعبير عما يريده شعبه. وفى مناقشاته الخاصة مع اعوانه، كان هتلر دائماً ما يصف بريطانيا بأنها العدو الاساسى لألمانيا الذى يجب أن تلحق به الهزيمة. ومن وجهة نظره، كان محو بولندا من الوجود مقدمة ضرورية يجب أن تتم حتى يتمكن من تحقيق الهدف الذى يسعى اليه وهو تأمين الجانب الشرقى من بلاده واضافة المزيد إلى المجال الحيوى لألمانيا. وشعر هتلر بالاهانة البالغة من "الوعد" الإنجليزى بحماية الاستقلال البولندى الذى تم الاعلان عنه فى الحادى والثلاثين من شهر مارس فى عام ١٩٣٩ واخبر معاونيه أنه "سيسقى البريطانيين من مر الكأس حتى يستجيروا".

وفى خطابه الذى ألقاه فى مدينة Wilhelm shaven بمناسبة تدشين البارجة Admiral Tirpitz فى الأول من ابريل من عام ١٩٣٩ هدد هتلر بالغاء المعاهدة البحرية بين بريطانيا وألمانيا إذا اصر البريطانيون على "سياسة التطويق" والتى تتمثل فى "ضمانهم" للاستقلال البولندى.

وكجزء من منهجه الجديد، ابدى هتلر تبرمه فى خطاب ألقاه أمام الرايخستاج فى الثامن والعشرين من ابريل فى عام ١٩٣٩ من "سياسة التطويق" التى تستعملها بريطانيا مع ألمانيا، وأعلن الغاء كل من المعاهدة البحرية بين بريطانيا وألمانيا ومعاهدة عدم الاعتداء الألمانية البولندية.

ولإيجاد ذريعة للاعتداء على بولندا، طالب هتلر بضم مدينة Danzig التى تتمتع بالحكم الذاتى، وكذلك بحقه فى انشاء طرق "اقليمية اضافية" عبر الممر البولندى الذى تم اقتطاعه من ألمانيا رغما عنها بموجب معاهدة فرساى. وبالنسبة لهتلر، كانت مدينة Danzig مجرد ذريعة لتبرير اعتدائه على بولندا تماما كما فعل فى حالة منطقة Sudeten كأحد شكاوى الألمان، كان الألمان عادة ما يرفضون الدخول فى مناقشات حول هذه القضية.

وهكذا، ظهر تعارض ملحوظ فى مخططات هتلر بين منهجه طويل الاجل المعادى لبريطانيا ـ الذى اعد له العدة بالتوسع لحد كبير فى القوات البحرية الألمانية والقوات الجوية والذى كان سيستلزم سنوات عديدة حتى ـ يكتمل ـ وبين سياسته الخارجية الحالية التى انتهجها على مدار عام ١٩٣٩ والتى كانت ستؤدى على الارجح إلى اندلاع حرب عامة إثر القيام باعمال مثل الاعتداء على بولندا.

واستطاع هتلر أن يتغلب على التمزق الذى كان يعانى منه بين اهدافه قصيرة الأجل واهدافه طويلة الأجل بمساعدة وزير الخارجية ـ ريبنتروب

ـ الذى اخبر هتلر بأن فرنسا وبريطانيا لن يلتزما بوعودهما تجاه بولندا، وبالتالى ستكون أى حرب بين ألمانيا وبولندا حربا اقليمية محدودة. وأرجع ريبنتروب تقديره للموقف بشكل جزئى إلى احدى العبارات التى زعم أن وزير الخارجية الفرنسى ـ جورج بونيت ـ قد قالها له فى ديسمبر من عام ١٩٣٨ عندما اخبره أن فرنسا الآن تنظر إلى أوروبا الشرقية باعتبارها منطقة نفوذ تخضع لألمانيا وحدها.

علاوة على ذلك، كان منصب ريبنتروب السابق كسفير لألمانيا فى لندن سببا جعل هتلر ينظر اليه باعتباره الخبير النازى الأول فى الشئون البريطانية؛ وبالتالى كان لنصيحته عند هتلر وزنها واهميتها.. كذلك، اطلع ريبنتروب هتلر على البرقيات الدبلوماسية التى تدعم تحليله فقط دون غيرها من البرقيات التى لا تساند تحليله.

كما أن السفير الألمانى فى لندن ـ هيربرت فون ديركسن ـ عمد إلى ارسال تقارير من شأنها دعم تحليل ريبنتروب مثل الرسالة التى حملها موفده فى أغسطس من عام ١٩٣٩ والتى ورد فيها أن نيفيل تشامبرلين يعلم أن "الهيكل الاجتماعى لبريطانيا لن يتحمل الفوضى الناجمة عن الحرب حتى وإن انتصر فيها بالرغم من ايمانه بفكرة الامبراطورية البريطانية" وبالتالى سيتراجع عن فكرة الحرب.

ويمكن ملاحظة الدرجة التى تأثر بها هتلر بنصيحة ريبنتروب من خلال اوامره التى اصدرها إلى الجيش الألمانى فى الحادى والعشرين من اغسطس فى عام ١٩٣٩ باعلان حالة تعبئة محدودة ضد بولندا وحدها.

واختار هتلر آخر اغسطس كموعد لتنفيذ مخطط Fall Weiss وذلك للحد من الاثر السلبى لاعلان حالة التعبئة على الانتاج الزراعى الألمانى.

وكانت المشكلات التى نجمت عن الحاجة لبدء الحملة على بولندا فى آخر اغسطس أو بدايات سبتمبر حتى يتم الانتهاء منها قبل موسم هطول الامطار فى شهر اكتوبر، وكذلك حتى تحصل القوات الألمانية على قدر كاف من الوقت حتى تستطيع الاحتشاد على الحدود البولندية قد فرضت على هتلر وضعا وجد نفسه فيه فى اغسطس من عام١٩٣٩ فى امس الحاجة لتعاون السوفيت معه إذا كان يريد أن يدخل الحرب فى هذا العام.

وكانت معاهدة ميونخ كافية لتبديد آخر امل تبقى لدى بعض الدوائر السوفيتية وبالاعتقاد فى فكرة "معاهدة الامن الجماعى".

وفى الثالث والعشرين من اغسطس فى عام ١٩٣٩ وافق جوزيف ستالين على عرض هتلر لابرام اتفاقية عدم اعتداء (معاهدة مولتوف ـ ريبنتروب)؛ وهى المعاهدة التى نصت بنودها السرية على الاتفاق على تقسيم بولندا. وتعتبر الاسباب التى تقف وراء خيارات هتلر فى مجال السياسة الخارجية فى عام ١٩٣٩ من اهم الموضوعات التاريخية التى يثور الجدال بشأنها. فهناك رأى يقول بأن الازمة المتعلقة بالبنية الاقتصادية للبلاد هى التى دفعت هتلر لأن "يهرب منها إلى الحرب"؛ وذلك من رأى المؤرخ الماركسى تيموثى ماسون. وهناك رأى آخر يقول بأن تصرفات هتلر كانت متأثرة بدرجة اكبر بعوامل غير اقتصادية؛ وهو الرأى الذى يتبناه المؤرخ الاقتصادى ريتشارد أوفرى. والمؤرخون مثل: ويليام كار وجيرهارد فاينبرج وايان كيرشو يعتقدون أن احد الاسباب غير الاقتصادية التى ادت بهتلر إلى أن يتعجل دخول الحرب هى الخوف المرضى الذى كان يستحوذ عليه من فكرة دنو اجله؛ وبالتالى الشعور بعدم وجود الكثير من الوقت امامه لتنفيذ طموحاته.

وفى آخر أيام السلام، كان هتلر يتأرجح بين التصميم على محاربة القوى الغربية إذا اضطرته الظروف، وبين العديد من المخططات التى كانت تهدف لابعاد بريطانيا عن دائرة الحرب. ولكن، على أى حال ما كان هتلر ليتراجع عن هدفه بغزو بولندا.

وكانت الاسباب التى نجحت فى اقناع هتلر بارجاء الهجوم المقرر على بولندا لفترة قصيرة من تاريخ الخامس والعشرين من اغسطس حتى الأول من سبتمبر هى تلك الاخبار التى وردت اليه بتوقيع تحالف انجليزى بولندى فى الخامس والعشرين من شهر اغسطس ردا على معاهدة عدم الاعتداء الألمانية - الروسية (وذلك بدلا من توطيد الصلات بين لندن ووارسو كما تنبأ ريبنتروب)، بالإضافة إلى الاخبار التى وردت اليه من إيطاليا بأن موسولينى لن يلتزم بالميثاق المعروف باسم (ميثاق الصداقة والتحالف بين ألمانيا وايطاليا) واختار هتلر أن يقضى أيام السلام الاخيرة إما فى مراوغة البريطانيين ومحاولة تحييدهم عن طريق "ضمان الحماية وعدم الاعتداء" الذى تقدم به فى الخامس والعشرين من شهر اغسطس فى عام ١٩٣٩ إلى الامبراطورية البريطانية أو فى ارسال ريبنتروب إلى هندرسون بخطة للسلام فى اللحظات الاخيرة قبل نشوب الحرب بشرط زمنى يستحيل قبوله حتى يتمكن من القاء اللوم على البريطانيين والبولنديين للتسبب فى نشوب الحرب.

وفى الأول من سبتمبر من عام ١٩٣٩ قامت ألمانيا باجتياح غرب بولندا. وأعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا فى الثالث من سبتمبر، ولكن لم تتخذا إجراءات فورية لتفعيل هذا الاعلان. وكان أكثر ما أثار استياء ودهشة هتلر هو تلقيه اعلان الحرب البريطانى فى الثالث من سبتمبر من عام ١٩٣٩ فالتفت إلى ريبنتروب وسأله: "ماذا سنفعل الآن؟".

ولم يكن لدى ريبنتروب ما يقوله سوى أن السفير الفرنسى - روبرت كولوندر - قد يقوم فى وقت لاحق فى هذا اليوم بتقديم الاعلان الفرنسى للحرب على ألمانيا.

ولم يمر وقت طويل حتى قامت القوات الروسية باجتياح شرق بولندا فى السابع عشر من سبتمبر.

وبعد سقوط بولندا، كانت هناك فترة زمنية اطلق عليها الصحفيون "الحرب الزائفة". وفى جزء يقع فى الشمال الغربى لبولندا تم ضمه إلى ألمانيا، أوكل هتلر إلى اثنين ممن يحملون رتبة (Gauleiters) (القائدين النازيين الإقليميين المسئولين عن تلك المنطقة) وهما: ألبرت فورستر وآرثر جرايسر مهمة "مد سطوة اللغة والبشر والحضارة الألمانية" إلى هذه المنطقة، ووعدهما بأنهما "لن يكونا عرضة للمساءلة من أى انسان أو جهة" عن الطريقة التى تتم بها عملية "فرض السطوة الألمانية". وقد قام كل من فورستر وجرايسر بتفسير هذه الاوامر من منظوره الشخصى. فقد اتبع فورستر سياسة بسيطة تتمثل فى جعل البولنديين المحليين يقومون بالتوقيع على نماذج مطبوعة توضح أنهم من اصل ألمانى دون الحاجة إلى تقديم وثائق تثبت ذلك. وفى نفس الوقت، قام جرايسر بحملة تطهير عرقى وحشية! فقد قام بطرد كل السكان البولنديين المحليين إلى المنطقة الواقعة تحت الاحتلال العسكرى الألمانى فى بولندا.

عندئذ، اشتكى جرايسر إلى هتلر - وتلاه هيلمر فى شكواه - من أن فورستر يقبل آلاف البولنديين كمواطنين ألمان "من اصل ألمانى"؛ الأمر الذى يعنى تلويث "النقاء العرقى" الألمانى. وطلب الاثنان من هتلر أن يأمر فورستر بالتوقف عما يفعله. فما كان من هتلر إلا أن رد عليهما بأن عليهما أن يقوما بتسوية خلافاتهما مع فورستر وألا يقحماه فى الموضوع.

وتعتبر الطريقة التى تعامل بها هتلر مع المشكلة التى نشبت بين فورستر وجرايسر نموذجا يبرهن على نظرية ايان كيرشو التى وردت فى كتاب "Working Towards the Führer" وهى أن هتلر كان يصدر اوامر غامضة ويسمح لمعاونيه أن يعملوا وفق سياسات خاصة بهم وحدهم.

وبعد غزو بولندا، نشب خلاف كبير آخر بين قوتين مختلفتين؛ تركزت الأولى حول اثنين من ضباط وحدات النخبة النازية الذين كانا يحملان رتبة Reichsfüherer وهما هاينريش هيلمر وآرثر جرايسر؛ وكانا يناصران وينفذان خططا للتطهير العرقى فى بولندا. بينما تركزت الثانية حول هيرمان جورينج وهانز فرانك وطالبت بتحويل بولندا إلى "مخزن غلال" الرايخ.

وتم تسوية هذا الخلاف فى مؤتمر تم عقده فى الثانى عشر من فبراير فى عام ١٩٠٤ فى ضيعة Karinhall المملوكة لجورينج. وقد تم حسم الخلاف لصالح وجهة نظر جورينج وفرانك القائمة على الاستغلال الاقتصادى لبولندا، ووضع حد لعملية الترحيل الجماعى التى تتم للسكان البولنديين نظرا لأنها تعوق النمو الاقتصادى الألمانى. علاوة على ذلك، وفى الخامس عشر من مايو من عام ١٩٤٠ قام هيلمر بعرض مذكرة على هتلر بعنوان "افكار للتعامل مع السكان الغرباء فى الشرق".

وكانت هذه المذكرة تطالب بطرد كل السكان اليهود من أوروبا إلى أفريقيا، وتحويل ما تبقى من السكان البولنديين إلى "طبقة عاملة بلا قائد". وقد علق هتلر على المذكرة بأنها "جيدة وصائبة". وادى تعليق هتلر على المذكرة إلى الاسراع بتنفيذ خطوات ما اطلق عليه اتفاقيةKarinhall كما أدى إلى انتصار وجهة النظر التى تبناها هيلمر وجرايسر فى التعامل مع بولندا.

واستمرت بريطانيا - التى كانت قواتها قد قامت بمغادرة فرنسا عن طريق البحر من ميناء Dunkirk - فى القتال جنبا إلى جنب مع المناطق الأخرى الخاضعة لها فى معركة الأطلسى.

وبعد رفض البريطانيين - الذين اصبحوا الآن تحت قيادة وينستون تشرشل - عروض السلام التى قدمها هتلر، امر هتلر بشن غارات قصف على المملكة المتحدة. وكانت معركة بريطانيا هى المقدمة التى تسبق الغزو الذى خطط له هتلر. وبدأت الهجمات بالضرب العنيف للقواعد الجوية ومحطات الرادار التى تحمى شمال شرق بريطانيا والتابعة للقوات الجوية الملكية البريطانية. وبالرغم من ذلك، فشلت القوات الجوية الألمانية فى هزيمة القوات الجوية الملكية البريطانية.

وفى السابع والعشرين من سبتمبر فى عام ١٩٤٠ وقع المعاهدة ثلاثية الاطراف فى برلين كل من: سابيرو كوروسو من الامبراطورية اليابانية وهتلر وتشانو. وكان الغرض من توقيع هذه المعاهدة ثلاثية الاطراف - والتى كانت موجهة ضد قوة لم يتم التصريح عنها على الرغم من أنه كان واضحا أنها الولايات المتحدة - هو ردع الولايات المتحدة الأمريكية عن دعم البريطانيين.

وتوسعت المعاهدة بعد ذلك لينضم اليها كل من: المجر ورومانيا وبلغاريا. وعرفت الدول الموقعة على هذه المعاهدة اجمالا باسم تحالف دول المحور. وبنهاية شهر اكتوبر من عام ١٩٤٠ لم تكن السيادة الجوية الألمانية بعد عملية (Sea lion Operation عملية أسد البحر: الخطة الألمانية لغزو المملكة المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية) قد تأكدت. وامر هتلر بالقصف - الذى كان يتم فى الليل فى معظم الاحيان - للمدن البريطانية. وشملت هذه المدن: لندن وبليمث وكفينترى.

فى الثانى والعشرين من شهر يونيو فى عام ١٩٤١ قام ثلاثة ملايين جندى من القوات الألمانية بمهاجمة الاتحاد السوفيتى ضاربين بمعاهدة عدم الاعتداء التى وقعها هتلر مع ستالين منذ عامين عرض الحائط. وتعتبر الاسباب التى دعت هتلر إلى غزو الاتحاد السوفيتى من الموضوعات التى ثار بشأنها جدلا تاريخيا كبيرا.

وقد تم اطلاق اسم رمزى على هذا الغزو وهو Operation Barbarossa. وقد صرح بعض المؤرخين مثل أندريس هيلجروبر أن هذه العملية لم تكن إلا "خطوة مرحلية" ضمن خطة هتلر التى اطلق عليها اسم (Stufen plan خطة الخطوات المرحلية) والتى كانت تستهدف اخضاع العالم. ويعتقد هيلجروبر أن هتلر قد وضع هذه الخطة فى سنوات العشرينات من القرن العشرين.

وعلى صعيد اخر، يرى مؤرخون اخرون مثل: جون لوكاكس أن هتلر لم يكن لديه أبداً خطة مرحلية لاخضاع العالم Stufen plan وأن غزو الاتحاد السوفيتى كان خطوة قام بها هتلر لغرض معين بعد أن رفضت بريطانيا الاستسلام.

وقد صرح لوكاكس أن السبب الذى صرح به هتلر فى حديث خاص لغزو الاتحاد السوفيتى كان بالتحديد أن وينستون تشرشل قد علق الامل على اشتراك الاتحاد السوفيتى فى الحرب إلى جانب قوات الحلفاء، ومن ثم وجد هتلر أن الطريقة الوحيدة التى يستطيع أن يجبر بريطانيا على الاستسلام هى القضاء على هذا الامل. وكان ذلك هو السبب الحقيقى الذى دفع هتلر إلى تنفيذ هذه العملية.

ومن وجهة نظر لوكاكس، فإن عملية غزو الاتحاد السوفيتى كانت من هذا المنطلق خطوة قام بها هتلر اساسا ضد بريطانيا لاجبارها على أن تسعى للسلام معه عن طريق تدمير املها الوحيد فى النصر، فلم تكن هذه الخطوة ـ فى حقيقة الأمر ـ ضد الاتحاد السوفيتى. ويعتقد كلاوس هيلدبراند أن كل من ستالين وهتلر كان يخطط منفردا للهجوم على الآخر فى عام ١٩٤١.

ويعتقد هيلدبراند أيضاً أن الأخبار التى انتشرت فى ربيع عام ١٩٤١ عن احتشاد القوات السوفيتية على الحدود ادت إلى اشتراك هتلر فى خطة (Flucht nach vorn "الفرار إلى الامام" وتعنى مجابهة الخطر عن طريق الهجوم بدلا من الانسحاب).

وتوجد طائفة اخرى من المؤرخين تضم مجموعة متنوعة منهم مثل: فيكتور سافوروف ويواشيم هوفمان وارنست نولت ودافيد ايرفينج تعتقد أن السبب الرسمى الذى صرح به الألمان لقيامهم بعملية غزو الاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٤١ هو السبب الفعلى وراء هذه العملية؛ وبهذا تكون هذه العملية "حرب وقائية" وجد هتلر نفسه مجبرا على الدخول فيها لتفادى هجوم سوفيتى كان سيعوقه عن تحقيق أحلامه؛ ذلك الهجوم الذى كان مقررا له أن يتم فى يوليو من عام ١٩٤١. وتعرضت هذه النظرية لهجوم كبير وتم وصفها بانها خاطئة؛ وقد قام المؤرخ الأمريكى جيرهارد فاينبرج بتشبيه المدافعين عن نظرية الحرب الوقائية بمن يعتقدون فى "الحكايات الخرافية".

واستولت القوات الألمانية فى غزوها على اجزاء كبيرة من الأراضى التى شملت: دول البلطيق وروسيا البيضاء وأوكرانيا. كذلك، حاصرت

القوات الألمانية الكثير من القوات السوفيتية ودمرتها، وهى القوات التى اصدر ستالين اوامره اليها بعدم الانسحاب. وبالرغم من ذلك، فقد وجدت القوات الألمانية نفسها مجبرة على التوقف قبيل تمكنها من دخول موسكو مباشرة فى ديسمبر من عام ١٩٤١ بسبب الشتاء الروسى القارص والمقاومة السوفيتية العنيفة. وفشل الغزو فى تحقيق النصر السريع الذى كان هتلر يريده. وفى الثامن عشر من شهر ديسمبر من عام ١٩٤١ ?سجل هاينريش هيلمر الذى كان يحمل رتبة Reichsführer-SS فى وحدات النخبة النازية فى الدفتر الذى كان يدون فيه تفاصيل المقابلات التى يقوم بها سؤاله إلى هتلر: "ماذا سنفعل مع يهود روسيا؟" وكانت اجابة هتلر على السؤال: "als Partisanen auszurotten" أو "قم بإبادتهم على أنهم اعضاء القوات غير النظامية التى تزعج القوات الألمانية المحتلة بشن الغارات المتكررة عليها".

وقد وضع اعلان هتلر الحرب على الولايات المتحدة فى الحادى عشر من ديسمبر فى عام ١٩٤١ بعد اربعة أيام من قيام الامبراطورية اليابانية بالهجوم على ميناء بيرل هاربور فى هاواى، وبعد ستة أيام من اقتراب القوات النازية الألمانية من موسكو فى مواجهة ائتلاف ضم اكبر امبراطورية فى العالم ممثلة فى (الامبراطورية البريطانية)، واكبر قوة صناعية ومالية فى العالم ممثلة فى (الولايات المتحدة)، واكبر جيش فى العالم ممثلاً فى (الاتحاد السوفيتى).

وفى اواخر عام ١٩٤٢ لحقت الهزيمة بالقوات الألمانية فى معركة العلمين الثانية؛ الأمر الذى وضع حدا لمحاولة هتلر الاستيلاء على قناة السويس والشرق الاوسط. وفى فبراير من عام ١٩٤٣ انتهت معركة ستالينجراد الهائلة بتدمير الجيش السادس الألمانى. وبعد ذلك، وقعت

معركة كورسك الهائلة. واصبحت قرارات هتلر العسكرية غريبة الاطوار بشكل متزايد، واخذ الوضع العسكرى والاقتصادى لألمانيا فى التدهور. كذلك، تدهورت حالة هتلر الصحية. فقد كانت يده اليسرى ترتجف. ويعتقد ايان كيرشو الذى كتب السيرة الذاتية لهتلر واخرون أن هتلر ربما يكون قد عانى من مرض الشلل الرعاش.

كما يشتبه أن يكون مرض الزهرى سببا فى بعض الاعراض المرضية التى ظهرت على هتلر بالرغم من أن الدليل المتوافر على صحة هذا الاعتقاد ضعيف.

وبعد اجتياح قوات الحلفاء لصقلية (Husky Operation عملية هاسكى) فى عام ١٩٤٣تم عزل موسولينى من قبل بيترو بادوجليو الذى أعلن استسلامه لقوات الحلفاء. وطوال عامى ١٩٤٣ و١٩٤٥ كانت القوات السوفيتية تجبر جيوش هتلر على الانسحاب بكل ثبات على طول الجبهة الشرقية. وفى السادس من يونيو من عام ١٩٤٤ تمت عملية انزال جيوش الحلفاء الغربيون فى شمالى فرنسا فى واحدة من اكبر العمليات البرمائية التى حدثت فى تاريخ العسكرية؛ وهى العملية التى تعرف باسم (Overlord Operation عملية القائد الاعلى). وكان اصحاب الرؤية الواقعية فى الجيش الألمانى يعرفون أن الهزيمة حتمية، وخطط البعض منهم لاقصاء هتلر عن السلطة. وفى يوليو من عام ١٩٤٤ قام كلاوس فون شتاوفينبرج بزرع قنبلة فى مركز قيادة الفوهرر هتلر المعروف باسم (Wolfsschanze وكر الذئب) فى Rastenburg ولكن هتلر نجا من الموت بأعجوبة. واصدر هتلر اوامره بالقيام بعملية انتقام وحشية تم فيها تنفيذ حكم الاعدام فى أكثر من اربعة آلاف وتسعمائة شخص؛ الأمر الذى تم احيانا عن طريق التجويع فى الحبس الانفرادى الذى يعقبه التعرض

البطئ للاختناق. وتم القضاء على حركة المقاومة الرئيسية بالرغم من أن بعض المجموعات المتفرقة الاصغر حجما استمرت فى محاولاتها.

الهزيمة والموت

بحلول نهاية عام ١٩٤٤ كان الجيش الاحمر قد اجبر الألمان على التراجع إلى أوروبا الوسطى، وكانت قوات الحلفاء الغربيين تتقدم صوب ألمانيا. وادرك هتلر أن ألمانيا قد خسرت الحرب، ولكنه لم يسمح بالانسحاب. وتمنى هتلر أن يقوم بالتفاوض المنفرد من أجل السلام مع الأمريكيين والبريطانيين؛ وهو الامل الذى دعمه وفاة فرانكلين دى روزفلت فى الثانى عشر من ابريل من عام ١٩٤٥. وسمح عناد هتلر واستخفافه بأخذ الحقائق العسكرية فى الاعتبار باستمرار الهولوكست. كما اصدر هتلر اوامره بالتدمير الكامل لكل البنية التحتية الصناعية الألمانية قبل أن تقع فى ايدى قوات الحلفاء. وقال أن فشل ألمانيا فى الفوز بالحرب أدى إلى خسارتها لحقها فى البقاء.

وهكذا، قرر هتلر أن الأمة بأسرها يجب أن تنتهى معه. وعهد هتلر بتنفيذ خطة الأرض المحروقة (تدمير كل ما يمكن أن ينفع العدو قبل الانسحاب من الأرض) إلى وزير التسلح ألبرت سبير الذى لم يطع امر قائده.

وفى ابريل من عام ١٩٤٥ هاجمت القوات السوفيتية ضواحى مدينة برلين. ووجد هتلر نفسه فى وضع يجبره فيه مطاردوه على الفرار إلى جبال بافاريا ليتمكن من مواجهتهم فى جولة اخيرة فى المعقل الوطنى الذى لجأت اليه الفلول المتبقية من القوات. ولكن هتلر كان مصمما على أن يعيش فى عاصمة بلاده أو يهلك فيها.

وفى العشرين من ابريل، احتفل هتلر بعيد ميلاده السادس والخمسين فى "قبو الفوهرر" (Führer bunker) الذى كان موجودا اسفل مستشارية الرايخ (Reichskanzlei). وقام قائد الحامية المحاصرة فى "حصن بريسلو" (Breslau Festung) الجنرال - هيرمان نيهوف - بتوزيع الشيكولاتة على القوات المحاصرة احتفالاً بذكرى ميلاد القائد.

وفى ابريل من عام ١٩٤٥ استطاعت قوات جورجى جوكوف؛ قوات جبهة روسيا البيضاء الأولى أن تخترق دفاعات الفرقة العسكرية Vistula التابعة لقوات الدفاع الألمانية بقيادة الجنرال جوتهارد هاينريكى أثناء معركة مرتفعات Seelow. وكان السوفيت فى هذا الوقت يتقدمون صوب قبو هتلر دون مقاومة تذكر. ومتجاهلا الحقائق الواضحة، رأى هتلر أن الخلاص من ورطته قد يكون فى الوحدات المتداعية للسقوط بقيادة الجنرال فليكس شتاينر. واصبحت القوات التى يقودها شتاينر معروفة باسم جيش شتاينر المستقل (Armeeabteilung Steiner). ولكن، لم يكن "لجيش شتاينر المستقل" أى وجود إلا فوق الورق الذى تسطر فوقه الخطط العسكرية. وقد كان هذا الجيش اكبر قليلا من فيلق، ولكنه كان اصغر من أن يطلق عليه جيش. واصدر هتلر اوامره إلى شتاينر بمهاجمة الجناح الشمالى من (Saliebt) المناطق التى ينجح فيها العدو (صاحب الأرض) فى حصار القوات التى اخترقت أراضيه من ثلاث جهات، وبذلك تشكل قوات العدو التى تكون فى المواجهة المباشرة للقوات المخترقة ما يعرف بالزاوية الداخلية أو زاوية إعادة الدخول (re-entrant) اما الجزء الذى تكون فيه القوات المخترقة سهلة المنال بالنسبة للعدو فيسمى جيب (pocket). الجزء البارز الضخم فى الخط الدفاعى الألمانى الذى نجحت قوات جبهة روسيا البيضاء الأولى بقيادة جوكوف فى اختراقه. وفى هذه

الاثناء، صدرت الاوامر إلى الجيش التاسع الألمانى الذى كان قد أجبر على التحرك إلى جنوب الجزء الذى نجحت القوات المعادية فى اختراقه بمهاجمة الشمال فى هجوم يمكن وصفه بأنه هجوم كماشة.

وفى وقت لاحق فى الحادى والعشرين من ابريل، اجرى هاينريكى اتصالا مع هانز كربس قائد القيادة العليا للجيش(Oberkommando des Heeres or OKH) ليخبره أن خطة هتلر غير قابلة للتنفيذ. وطلب هاينريكى أن يتحدث إلى هتلر، ولكن كربس اخبره أن هتلر مشغول للغاية ولا يستطيع أن يتلقى هذا الاتصال.

وفى الثانى والعشرين من ابريل، واثناء واحدة من مؤتمراته العسكرية الاخيرة قام هتلر بمقاطعة التقرير الذى كان يتلى عليه ليسأل عن مصير خطة الجنرال شتاينر الهجومية. وكان الرد هو فترة من الصمت الطويل خيمت على الاجتماع. وبعدها، اخبروه بأن الهجوم لم يتم تنفيذه وإن انسحاب وحدات عديدة من جيش شتاينر من برلين - بناء على اوامر هتلر - أدى إلى ضعف الجبهة وبالتالى نجاح الروس فى الدخول إلى برلين. عندها طلب هتلر من جميع الحاضرين - عدا فيلهلم كايتل وهانز كربس وألفريد يودل وفيلهلم برجدورف ومارتن بورمان - مغادرة غرفة الاجتماعات.

ثم انفجر فيمن تبقى من حاضرى الاجتماع بخطبة مسهبة وعنيفة منددا بما اعتبره خيانة متعمدة لاوامره وعدم كفاءة من جانب قادته. واختتم كلامه بان اقسم على أن يبقى فى برلين على رأس القوات المدافعة عن المدينة، ثم يطلق النار على نفسه بعد ذلك.

وقبل أن ينتهى ذلك اليوم، وجد هتلر أن سبيل النجاة الوحيد امامه يتمثل فى تنفيذ خطة جديدة يستعين فيها بقوات الجيش الثانى عشر

بقيادة الجنرال فالتر فنك. وكانت الخطة تقتضى أن يقوم فنك بتحويل جيشه - الذى كان يواجه القوات الأمريكية فى الغرب حينها - إلى ناحية الشرق لتحرير برلين. وهكذا، يلتحم الجيش الثانى عشر مع الجيش التاسع لاقتحام المدينة.

وقام فنك بالفعل بالهجوم، وفى غمار الفوضى استطاع أن يقوم باتصال مؤقت مع حامية بوتسدام. ولكن، لم ينجح بالمرة فى الاتصال بالجيش التاسع- كما كان مقررا فى الخطة أصلاً.

وفى الثالث والعشرين من ابريل، القى جوزيف جوبلز بيانا أمام اهل برلين.

وفى الثالث والعشرين من ابريل ايضا، قام الرجل الثانى فى حكومة الرايخ الثالث وقائد القوات الجوية - هيرمان جورينج - بارسال برقية من منطقة Berchtesgaden فى بافاريا. وصرح فيها بأنه بعد أن تم حصار هتلر فى برلين، فإنه يطالب بتولى حكم ألمانيا خلفا لهتلر الذى كان قد اختاره لتولى هذا المنصب خلفا له من قبل. وذكر جورينج فترة زمنية معينة يتم بعدها اعتبار هتلر غير مؤهل للبقاء فى الحكم.

ورد هتلر - فى حنق - باصدار اوامره بالقبض على جورينج. وعندما كتب وصيته فى التاسع والعشرين من ابريل، اعفى جورينج من كل المناصب التى كان يتقلدها فى الحكومة.

ومع انقضاء يوم السابع والعشرين من شهر ابريل، كانت برلين قد انعزلت تماما عن باقى ألمانيا.

وفى الثامن والعشرين من ابريل، اكتشف هتلر أن قائد وحدات النخبة النازية - هاينريش هيلمر - كان يحاول مناقشة شروط الاستسلام مع

الحلفاء (عن طريق الدبلوماسى السويدى كونت فولك بيرنادوت). واصدر هتلر اوامره بالقاء القبض على هيلمر، كما امر باطلاق النار على نائب هيلمر فى برلين - هيرمان فيجلاين.

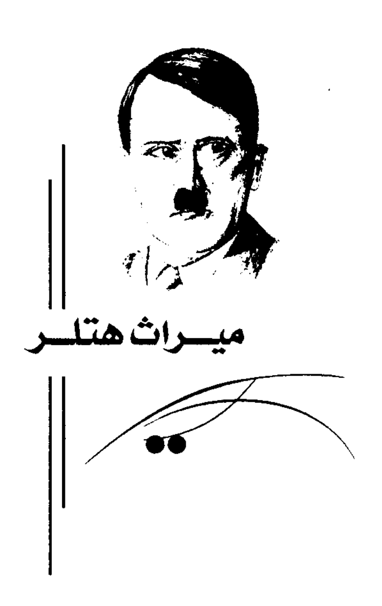
وفى مساء الثامن والعشرين من ابريل، صرح الجنرال فينك بأن جيشه الثانى عشر قد تم اجباره على التراجع على طول جبهة القتال. واضاف أنه لم يعد من الممكن القيام بأية هجمات اخرى على برلين. ولم يبلغ الجنرال ألفريد بودل (القائد الاعلى للجيش) هذه المعلومات إلى هانز كربس فى برلين حتى وقت مبكر من صباح يوم الثلاثين من ابريل.

وفى التاسع والعشرين من ابريل، كان كل من هانز كربس وفيلهلم برجدورف وجوزيف جوبلز ومارتن بورمان شهودا على وصية أدولف هتلر الاخيرة ووقعوا عليها. وقد أملى هتلر هذه الوثيقة على سكرتيرته الخاصة - تراودل بونج. وفى نفس اليوم، تم ابلاغ هتلر باخبار وفاة الديكتاتور الإيطالى - بينيتو موسولينى - العنيفة فى الثامن والعشرين من ابريل، وهو الأمر الذى زاد من تصميمه أن يتجنب الوقوع فى الاسر.

وفى الثلاثين من ابريل من عام ١٩٤٥، وبعد اشتباكات عنيفة انتقلت من شارع إلى شارع فى مدينة برلين، وبينما كانت القوات السوفيتية على بعد تقاطع أو اثنين من مقر مستشارية الرايخ، قام هتلر بالانتحار باطلاق النار داخل فمه وهو يضع فى فمه كبسولة سيانيد. وقد تم وضع جثة هتلر وجثة إيفا براون - عشيقته التى تزوجها فى اليوم السابق لانتحاره - فى حفرة صنعتها قنبلة، وقام اوتو جونش وبعض الضباط المعاونين الموجودين فى قبو القائد بسكب الكثير من البنزين على الجثتين، واشعال النار فيهما بينما كان الجيش الاحمر مستمرا فى تقدمه ممطرا المدينة بالقنابل.

وفى الثانى من مايو، استسلمت برلين. وفى السنوات التى اعقبت الحرب، تضاربت المعلومات التى وردت فى التقارير عن مصير ما تبقى من رفات هتلر. وبعد تفكك الاتحاد السوفيتى، وردت معلومات من التقارير التى كانت محفوظة فى الأرشيف السوفيتى أنه قد تم دفن الجثث الخاصة بكل من: هتلر وإيفا براون وجوزيف جوبلز وقرينته ماجدا جوبلز واطفال جوبلز الستة والجنرال هانز كربس والكلاب التى كان هتلر يمتلكها سرا فى مقابر بالقرب من مدينة Rathenow فى ولاية Brandenburg. وفى عام ١٩٧٠ فتح السوفيت المقبرة التى تم دفنهم فيها، وتم حرق الرفات التى وجدت بها ونثرها فى نهر الألب. ووفقا للمعلومات الواردة من جهاز الامن الفيدرالى الروسى، فإن جزء من جمجمة بشرية تم الاحتفاظ بها فى الأرشيف الخاص بالجهاز وعرضها فى معرض فى عام ٢٠٠٠ وهى من الرفات التى تبقت من جسد هتلر وتعتبر كل ما تبقى من هذه الرفات. وقد شكك العديد من المؤرخين والباحثين فى حقيقة انتماء هذا الجزء من الجمجمة لرفات هتلر.

■■■



ميـراث هتلـر



يتم النظر إلى هتلر والحزب النازى والآثار التى خلفتها النازية على العالم بأسره كأمور لا أخلاقية إلى اقصى الحدود. ويصف المؤرخون والفلاسفة والسياسيون النازية بكلمة "شريرة" من منطلق غير دينى وأيضاً من منطلق دينى. وتدان الصورة التاريخية والصورة الحضارية التى يتم رسمها لهتلر فى الغرب إلى اقصى الدرجات. ويحظر عرض الصليب المعقوف أو غيره من الرموز النازية فى ألمانيا والنمسا. كما يحظر إنكار الهولوكست فى الدولتين.

وخارج مسقط رأس هتلر فى مدينة Braunau am Inn يوجد فى النمسا شاهد قبر حجرى محفورا عليه الرسالة التالية:

وتأتى ترجمة الكلمات المحفورة على شاهد القبر بشكل غير مترابط كالتالى: "من أجل السلام، الحرية/ والديمقراطية/ عدم العودة إلى عهد الفاشية أبداً/ هذا هو ما يذكرنا به الملايين ممن رحلوا عن عالمنا".

وعلى الرغم من ذلك، يتحدث البعض عن الإرث الذى خلفه لنا هتلر بطريقة محايدة وايجابية. فرئيس مصر الاسبق ـ أنور السادات ـ تحدث عن "اعجابه" بهتلر فى عام ١٩٥٣ عندما كان شابا صغيرا، على الرغم من أنه قد يكون يتحدث عنه فى اطار تمرده على الامبراطورية البريطانية. كما اشار اليه لويس فراخان بوصفه "رجل عظيم جدا".

كـمــا أعلن بال ثاكـيــراى ـ رئيس الجناح الأيمن لحــزبShiv Sena الهندوسى فى ولاية Maharashtraالهندية ـ فى عام ١٩٩٥ أنه كان احد المعجبين بهتلر. وكتب المؤرخ الألمانى ـ فريدريك ماينك ـ عن هتلر قائلاً: "انه واحد من افضل النماذج الفريدة والاستثنائية على قوة الشخصية التى لا يمكن التنبؤ بتصرفاتها أبداً".

الحالة الدينية للفوهرر

نشأ هتلر بين ابوين ينتميان للمذهب الرومانى الكاثوليكى، ولكنه بعد أن ترك منزل والديه لم يحضر أى قداس أو يلتزم بالطقوس الدينية للكنيسة الكاثوليكية.

وبالرغم من ذلك، فعندما انتقل إلى ألمانيا ـ حيث يتم تمويل الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية عن طريق ضريبة للكنيسة تقوم الدولة بجمعها ـ لم يقم هتلر مطلقا (وكذلك جوبلز أبداً" بالتخلى عن الكنيسة أو الامتناع عن سداد الضرائب الخاصة بها. لذلك، اعتبر المؤرخ ـ شتايجمان-جال ـ أن هتلر اسمياً "يمكن اعتباره كاثوليكياً". وعلى الرغم من ذلك، فقد اوضح شتايجمان أيضاً فى مناقشته لموضوع الدين فى ألمانيا النازية ان: "العضوية الاسمية فى الكنائس ليست معيارا موثوق به للحكم على درجة التقوى والتمسك بالدين".

كذلك، كان هتلر يمتدح علانية التراث المسيحى والحضارة المسيحية الألمانية، واعرب عن اعتقاده فى أن المسيح كان ينتمى للجنس الآرى لأنه كان يحارب اليهود. وفى خطبه وتصريحاته، تحدث هتلر عن نظرته للمسيحية باعتبارها دافعا محوريا لمعاداته للسامية، قائلاً: "أنا كمسيحى لا اجد نفسى ملزما بالسماح لغيرى بخداعى، ولكننى اجد نفسى ملزما بأن احارب من أجل الحقيقية والعدالة".

اما تصريحاته الخاصة التى نقلها عنه أصدقاؤه المقربون فيشوبها الكثير من الاختلاط؛ فهى تظهر هتلر كرجل متدين على الرغم من انتقاده للمسيحية التقليدية. ونجد أن هتلر قد قام بهجوم واحد على الاقل للكاثوليكية "يعيد إلى الاذهان جدال شترايشر حول فكرة أن المؤسسة الكاثوليكية كانت تناصر اليهود وتتحالف معهم".

وفى ضوء هذه التصريحات الخاصة، يعتبر جون إس كونواى والعديد من المؤرخين الآخرين أنه ليس هناك مجال للشك فى أن هتلر كان يحمل بين جوانحه "عداءً متأصلاً" للكنائس المسيحية.

وتتباين التفسيرات المقدمة لتصريحات هتلر الخاصة إلى حد بعيد فى امكانية الوثوق فيها؛ ولعل من اهمها تلك التقارير المتعددة عن تصريحات هتلر الشخصية عن المسيحية والتى تتفاوت إلى حد بعيد فى مصداقيتها، ولعل ابرزها كتاب Hitler Speaks الذى كتبه هيرمان راوشينج والذى يعتبره كثير من المؤرخين عملاً ملفقاً. ويمكن الاطلاع فى نظرة عامة على معتقدات هتلر الدينية - بناء على تصريحاته الشخصية الظاهرة - من خلال الكتاب الذى مدحه الكثيرون والذى كتبه مايكل ريسمان أو فى الكتاب الذى ألفه ريتشارد شتايجمان-جال والذى أثار الكثير من الجدل حوله وهو بعنوان Nazism and Christianity.

وعلى الرغم من ذلك، ففى مجال العلاقات السياسية مع الكنائس فى ألمانيا، كان هتلر بكل سهولة ينتهج استراتيجية "تناسب الاهداف السياسية الآنية التى كان يسعى لتحقيقها". ووفقا لاراء البعض، كان لهتلر خطة عامة حتى قبل أن يصل إلى كرسى رئاسة الحزب النازى؛ ألا وهى تدمير المسيحية فى الرايخ.

وقد صرح رئيس المنظمة شبه العسكرية "شباب هتلر" قائلاً: "كان تدمير المسيحية هدفا ضمنيا تسعى الحركة الاشتراكية الوطنية لتحقيقه" منذ بدايتها، ولكن "كانت الاعتبارات المتصلة بالوسيلة الممكنة لتحقيق هذا الهدف هى ما جعلت من المستحيل" أن يتم التصريح علنا بهذا الوضع المتطرف.

ويعتقد معظم المؤرخين أن هتلر كان مختلفا عن غيره ممن عكست تصرفاتهم أيديولوجيات النازية! فلم يكن هتلر ممن يؤمنون بالافكار القاصرة على فئة محدودة من البشر أو يؤمن بفكرة وجود قوى خفية فوق طبيعية يمكن اخضاعها للقوى البشرية ولم يكن متمسكا بالأيديولوجية التى تؤمن بوجود حكمة خفية كامنة فى الجنس الآرى دون غيره من الاجناس؛ وسخر هتلر من تلك المعتقدات فى كتابه .Mein Kampf

ويعتقد اخرون أن هتلر فى شبابه - خاصة فيما يتعلق بآرائه العنصرية - تأثر بعدد وافر من الأعمال التى كتبت عن القوى فوق الطبيعية؛ والتى تحدثت عن التفوق الغامض الذى يتمتع به الألمان. ومن هذه الاعمال: المجلة المعروفة باسم Ostara مما يثبت صحة الادعاء الذى اذاعه ناشر المجلة - لانز فون ليبنفيلس - بأن هتلر قد زاره فى عام ١٩٠٩ وامتدح عمله.

ولا يزال المؤرخون فى حالة من عدم الاتفاق حول موضوع الوثوق فى صحة ادعاء لانز باتصال هتلر به.

ويعتقد نيكولاس جودريك-كلارك فى صحة ادعاء ليبنفيلس. اما بريجيت هامان فقد تركت التساؤل حول صحة هذا الادعاء معلقا ,فى حين تشكك ايان كيرشو إلى أقصى الحدود فيه.

علاوة على ذلك، قام هتلر لبعض الوقت بحث الشعب الألمانى على اعتناق شكل من اشكال المسيحية التى اطلق عليه اسم "المسيحية الايجابية"؛ وهو معتقد يقوم على تخليص المسيحية الأرثوذكسية مما يعترض على وجوده فيها، ويتميز بإضافة بعض الملامح العنصرية اليها. وبالرغم من ذلك، فبحلول عام ١٩٤٠ كان معلوما للرأى العام أن هتلر قد تخلى عن فكرة حث الألمان على الإيمان بفكرة إمكانية التوفيق بين الافكار المتعارضة التى تدعو اليها المسيحية الايجابية.

وكان هتلر يرى أن "الارهاب الدينى هو - باختصار - ما تدعو اليه التعاليم اليهودية؛ تلك التعاليم التى تعمل المسيحية على الترويج لها والتى من شأنها أن تزرع القلق والارتباك فى عقول البشر".

وبالإضافة إلى عدم حضور القداس والالتزام بالطقوس الدينية للكنيسة الكاثوليكية، فقد كان هتلر يفضل بعض جوانب المذهب البروتستانتى إذا كانت هذه الجوانب ستمكنه من تحقيق أهدافه. وفى الوقت نفسه، قام هتلر بمحاكاة بعضا من معالم الكنيسة الكاثوليكية المتمثلة فى نظام مؤسستها القائم على التسلسل الهرمى وعلى وجود طقوس معينة ولغة خاصة يتم استخدامهما فيها.

وابدى هتلر اعجابه بالتقاليد العسكرية فى تاريخ المسلمين، وأصدر اوامره إلى هيلمر بانشاء فرقة عسكرية من المسلمين فقط فى وحدات النخبة النازية، وكان ذلك لخدمة اهدافه السياسية فقط.

ووفقا لما ذكره واحد ممن كان هتلر يأتمنهم على اسراره، فإنه قد صرح له بشكل خاص قائلاً: "دين محمد الإسلامى من أكثر الأديان التى كانت ستلاءم - أيضاً - الاهداف التى نسعى لتحقيقها؛ أكثر من المسيحية

نفسها. فلماذا يتوجب علينا أن نعتنق المسيحية بكل الخنوع والهوان اللذين تتصف بهما..."؛ وكان هتلر فى ذلك معجبا بجانب الصمود والشجاعة فى ملاقاة العدو الذى كان المسلمون يتصفون به، ولم يلتفت إلى أن هذا الجانب فى المسلمين انما كان دفاعا عن الحق ولم يقصد به يوما الهجوم على الغير أو الاعتداء على حقوق الاخرين.

وصرح هتلر فى احدى المرات قائلاً: "لا نريد إلهاً آخر غير ألمانيا نفسها. ومن الضرورى أن نتحلى بإيمان وأمل وحب يتصفون بالتعصب لألمانيا ولصالح ألمانيا".

الحالة الصحية لهتلر

طالما كانت الحالة الصحية لهتلر مثاراً للجدل. فقد قيل مرات عديدة أنه كان يعانى من اعراض القولون العصبى، ومن آفات جلدية، ومن عدم انتظام فى ضربات القلب، ومن مرض الشلل الرعاش، وهناك فيلم يظهر يده اليسرى وهى ترتعش؛ وهو ما يمكن أن يكون إشارة لاصابته بالشلل الرعاش. وهناك فيلم آخر - تمت اضافة الكلمات له باستخدام تكنولوجيا قراءة الشفاه - يظهر هتلر وهو يشكو من ارتعاش ذراعه. وباستثناء هاتين الحالتين اللتين تتحدثان عن حالته الصحية، لا توجد الكثير من الادلة التى تتحدث عنها.

وفى السنوات التى تلت بدايات عقد الثلاثينيات من القرن السابق، كان هتلر يلتزم بنظام غذائى نباتى بالرغم من أنه كان يتناول اللحوم أحياناً. وهناك بعض الاخبار التى تم تناقلها عنه وهو يقوم بإثارة اشمئزاز ضيوفه ويعطى لهم وصفا تفصيليا عن طريقة ذبح الحيوانات فى محاولة منه لجعلهم يعزفون عن تناول اللحوم. ويعتبر خوف هتلر من

الاصابة بمرض السرطان (الذى أودى بحياة والدته) هو اهم الاسباب التى تم تقديمها لتبرير هذا السلوك من جانبه بالرغم من أن الكثير من المؤلفين يؤكدون أن السبب وراء ذلك كان حبه العميق والمتأصل للحيوانات. وقد صنع له مارتن بورمان خصيصا صوبة زجاجية بالقرب من Berghof مقر اقامته الموجود بالقرب من منطقة Berchtesgaden وذلك للتأكد من امداده بالفواكه والخضراوات الطازجة طوال فترة الحرب. بعض الصور الفوتوغرافية لاطفال بورمان وهم يقومون بالعناية بالصوبة الزجاجية. وبحلول عام ٢٠٠٥ كانت دعائم هذه الصوبة هى كل ما تبقى منها من بين اطلال المنطقة الخاصة بالقادة النازيين.

لم يكن هتلر مدخناً، وكان يشجع على الترويج لحملات مناهضة للتدخين فى كل أنحاء ألمانيا. ويقال أن هتلر وعد بمنح أى فرد من المقربين له ساعة ذهبية إذا تمكن من الإقلاع عن التدخين (وقام بالفعل بمنح البعض ساعات ذهبية عندما تمكنوا من ذلك). وتؤكد روايات العديد من الشهود أنه بعد التأكد من صحة خبر انتحاره، قام العديد من الضباط والمعاونين وافراد السكرتارية فى قبو الفوهرر بإشعال السجائر وتدخينها.

حياة هتلر الجنسية

قدم هتلر نفسه للجماهير على أنه رجل بلا حياة عائلية، وعلى أنه قد كرس حياته تماما لمهمته السياسية.

وارتبط هتلر بعلاقة خطبة فى العشرينات مع ميمى رايتر، وفى وقت لاحق كانت له عشيقة وهى إيفا براون. وكانت تربطه علاقة وثيقة بابنة اخته غير الشقيقة جيلى باوبال؛ وهى علاقة زعم بعض المعلقين أنها

كانت علاقة جنسية بالرغم من عدم وجود ادلة تثبت ذلك. ويذكر جون تولاند فى كتابه The Definitive Biography: Adolf Hitler أن هتلر كان كثيرا ما يزور جيلى بصفته خطيبها، كما كان يضع الكثير من القيود على تحركاتها ما لم تكن بصحبته. وقد حاولت النساء الثلاث الانتحار (ونجحت اثنتين منهما بالفعل فى ذلك)؛ وهى حقيقة ادت إلى وجود بعض التكهنات عن اصابة هتلر بانحراف جنسى مثل: انحراف جنسى فى التبول وذلك كما ذكر اوتو شتراسر وهو احد الخصوم السياسيين لهتلر. وقد انكر رايتر - وهو الشخص الوحيد الذى ظل على قيد الحياة بعد سقوط النازية - هذا الامر. واثناء فترة الحرب وبعدها، قدم المحللون النفسيون عددا لا حصر له من التفسيرات النفسية - الجنسية غير المتوافقة مع بعضها البعض لتصرفات هتلر من منظور علم الباثولوجيا.

وتشير بعض النظريات إلى أن هتلر كانت له علاقة بواحدة من معتنقات الفكر الفاشى؛ وهى البريطانية يونيتى ميتفورد.

وفى الآونة الأخيرة، تحدث لوثر ماشتان فى كتابه The Hidden Hitler عن أن هتلر كان مثلياً.

عائلة هتلر

توفيت باولا هتلر؛ آخر من تبقى على قيد الحياة من أسرة هتلر التى تتصل به اتصالا مباشرا فى عام ١٩٦٠.

اما أكثر افراد سلالته المباشرة شهرة وعمرا من ناحية والده فهو: ابن اخيه ويليام باتريك هتلر. وانتقل ليعيش مع زوجته - فايليس - فى جزيرة لونج ايلاند فى مدينة نيويورك، وأنجبا أربعة أطفال. ولم ينجب أياً من ابناء ويليام هتلر أطفالا حتى الآن.

وعلى مدار السنوات، حاول الكثير من المراسلين الصحفيين أن يقوموا باقتفاء أثر اقارب ينتمون لدوائر ابعد فى عائلة الفوهرر؛ ويزعم أن الكثير منهم يعيشون الآن حياة غامضة بعد أن مضى وقت طويل على قيامهم بتغيير أسمائهم حتى لا يتعرف عليهم احد.

سلسلة نسب هتلر

ألويس هتلر، الوالد

ألويس هتلر؛ الاصغر، الأخ غير الشقيق

انجيلا هتلر راوبل، الاخت غير الشقيقة

بريدجيت داولينج، زوجة اخيه

إيفا براون، العشيقة والزوجة

جيلى راوبال، بنت اخته غير الشقيقة

هاينز هتلر، ابن اخيه

هيرمان فيجلاين، شقيق زوجته وذلك عندما تزوج هتلر من إيفا براون

يوهان جورج هيدلر، جده المفترض

يوهان نيبوموك هيدلر، جده الاكبر من ناحية والدته، ويزعم أنه عمه الاكبر ومن المحتمل أن يكون جد هتلر الحقيقى من ناحية الاب

كلارا هتلر، والدته

ماريا شيكلجروبر، جدته

باولا هتلر، أخته

ويليام باتريك هتلر، ابن أخيه

كان هتلر خطيبا مفوها استولى على لباب الكثيرين بضربات يده على المنصة التى كان يقف خلفها وهو يلقى خطاباته، وبصوته الهادر وخطبه الحماسية. وكان يصقل مهاراته بإلقاء الخطب على الجنود خلال عامى ١٩١٩ و ١٩٢٠ واصبح ماهرا فى التحدث إلى الناس بما يريدون أن يسمعوه منه: (الخيانة التى طعنت الجيش الألمانى فى الظهر أثناء الحرب العالمية الأولى، والخطة اليهودية الماركسية لغزو العالم، والخيانة التى تعرضت لها ألمانيا فى معاهدة فرساى).

وكان هتلر ماهراً أيضاً فى العثور على كبش فداء يلقى عليه باللوم على ما يلحق بشعبه من مصائب. ومع مرور الوقت، تمكن هتلر من الوصول إلى حد الكمال فى أدائه أمام الجماهير عن طريق التدرب أمام المرآة والعزف الماهر على أوتار المشاعر أثناء عروضه.

وقد تدرب هتلر على يد احد الاشخاص الذى كان يدعى كذبا قدرته على استبصار المستقبل، وقد ركز على استخدام اليد والإيماءات التى يمكن القيام بها عن طريق الذراع. وتحدث عنه ألبرت سبير الذى كان وزيراً للذخيرة فى عهده ومعمارياً - والذى كان يعرف هتلر كما كان الجميع يعرفه - فقال أنه كان قبل كل شىء آخر ممثلاً بارعاً.

وقد تم تصميم الاجتماعات السنوية الحاشدة التى كان ينظمها ألبرت سبير من أجل اطلاق شرارة اقناع الذات فى نفوس المشاركين فيها. وكان المشاركون فى هذه الاجتماعات السنوية يعززون التزامهم تجاه الحركة النازية عن طريق الحضور فى الاجتماعات السنوية، والاشتراك فى المسيرات، ورفع اصواتهم بالتحية للقائد، واداء التحية العسكرية بيد ثابتة

وقوية. ويمكن ادراك هذه الامور بشكل كامل من مشاهدة الفيلم الدعائى الذى يحمل اسم (of the will triumphانتصار الارادة)؛ والذى قام باخراجه لينى ريفنشتال ليصور الاجتماع السنوى للحزب النازى الذى تم عقده فى Nuremberg فى عام ١٩٣٤.

وقد قام المخرج بتصوير هتلر من زاوية عالية أو منخفضة فقط، ولكن لم يقم بتصويره من الأمام مباشرة إلا مرتين فقط. والتقاط الكاميرا الصور له من هذه الزوايا تضفى عليه هالة من التقديس. وكان بعض من ظهروا فى الفيلم ممثلين تقاضوا اجرا عن قيامهم بالتمثيل فى هذا الفيلم الدعائى، ولكن لم يكن معظم من شاركوا فيه من الممثلين. ولم يتم أبداً الكشف عما إذا كان الفيلم قد استعان ببعض المنضمين حديثا للحزب النازى من بين رواد المسرح. وربما تكون محاولات اقناع الذات قد تركت أثرها على هتلر نفسه. وكان هتلر يلقى بالخطبة نفسها (ويصقلها بلسانه المعسول لدرجة اكبر فى كل مرة) مئات المرات؛ فيلقيها أولاً أمام الجنود ثم يقوم بإلقائها فى النوادى المنتشرة فى كل أنحاء ألمانيا والتى كان يرتادها الشعب الألمانى. وربما كانت هذه العروض هى ما اضافت المزيد والمزيد إلى الاحقاد التى كان يضمرها فى نفسه؛ خاصة تلك الكراهية الشديدة التى كان يضمرها لليهود والتى استولت عليه تماما.

أحاديث خاصة

وقد قام هتلر بزيارة المشير الفنلندى ـ مانر هايم ـ فى الرابع من شهر يونيو فى عام ,١٩٤٣ واثناء هذه الزيارة، قام احد المهندسين العاملين فى شركة هيئة الاذاعة الفنلندية YLE، ويدعى ثور دامن بتسجيل نص

الحوار الذى دار بين هتلر ومانر هايم؛ وهو تصرف لابد وأنه قد قام به فى الخفاء لأن هتلر لم يكن ليسمح بتسجيل محادثاته الشخصية دون إذن منه ودون أن يتحضر لذلك. ويعتبر هذا التسجيل اليوم هو التسجيل الوحيد المعروف لهتلر وهو يتحدث بلهجة غير رسمية. والتسجيل يعرض لمحادثة خاصة مدتها احدى عشرة دقيقة ونصف بين القائدين.

ويتحدث هتلر بطريقة يظهر فيها قليلا من الإثارة وبالرغم من ذلك فهى طريقة تتسم بالتحرر الفكرى (وذلك إذا ما تمت مقارنة الطريقة التى يتحدث بها بتلك التى كان يتحدث بها الرجال الذين ينتمون للطبقة العاملة فى زمنه). ومعظم التسجيل عبارة عن مونولوج يتحدث فيه هتلر. وفى المحادثة، يعترف هتلر بفهمه لقدرة الاتحاد السوفيتى على الدخول فى حرب (وتوجد بعض النسخ من هذا الحوار باللغة الإنجليزية).

أسطوانة Patria المصورة

وقد تم اصدار أسطوانة مصورة تحمل سبع صور وواحدا من خطابات أدولف هتلر. وهذه الأسطوانة تحمل اسم (Patria الوطن). وتحمل واجهة الأسطوانة صورة لهتلر وهو يلقى بأحد خطاباته، كما أن عليها تسجيل لأحد خطابات هتلر وكذلك خطاب لواحد من اعضاء الحزب النازى. اما الوجه الآخر للأسطوانة فيصور يد تحمل العلم المرسوم عليه الصليب المعقوف.

الأعمال الوثائقية التى تؤرخ لعهد الرايخ الثالث

ظهر هتلر فى سلسلة من الأفلام، كما ارتبطت شخصيته بالبعض الآخر من الافلام بدرجات متفاوتة؛ وذلك فى افلام من اخراج لينى

ريفنشتال التى قام بإخراجها فى (UFA Universum Film AG) وهو اكبر الاستوديوهات الخاصة بصناعة السينما فى عهد الرايخ الثالث:

(Sieg des Glaubens derانتصار الايمان، تم تصويره فى عام ١٩٣٣).

(des Willens Triumphانتصار الارادة، وتم تصويره فى عام ١٩٣٤).

(des Freiheit: Unsere Wehrmacht Tagيوم الحرية: قواتنا المسلحة، وتم تصويره فى عام ١٩٣٥).

(Olympia وتم تصويره فى عام ١٩٣٨).

وكان هتلر هو الشخصية المحورية فى الافلام الثلاثة الأولى؛ وركزت هذه الافلام على الاجتماعات السنوية الخاصة بالحزب النازى فى السنوات التى تم انتاج هذه الافلام فيها ويمكن اعتبارها أفلاما دعائية. وقد تم تصوير هتلر بشكل واضح فى الفيلم الذى يحمل عنوان Olympia. ولا يزال الجدال قائما حول اعتبار الفيلم الاخير فيلما دعائيا أو فيلما وثائقيا حقيقيا. وعلى أى حال، يعمل الفيلم على تخليد دورة الألعاب الأوليمبية التى تمت اقامتها فى عام ١٩٣٦ وينشر الرسالة الدعائية التى حرصت هذه الأولمبياد على نشرها بتصويرها لألمانيا تحت الحكم النازى تعيش فى رخاء وتتطلع للسلام. كذلك، تم تصوير هتلر - بصفته شخصية سياسية بارزة - فى العديد من الأفلام الإخبارية القصيرة التى يتم عرضها فى دور السينما.

التليفزيون

تم تصوير حضور هتلر للعديد من الحفلات الرسمية والمناسبات الاجتماعية - بما فى ذلك دورة الالعاب الأوليمبية الخاصة بعام ١٩٣٦

والاجتماعات السنوية للحزب النازى التى كان يتم عقدها فى مدينة Nuremberf - على الشبكات التليفزيونية فى الفترة ما بين عامى ١٩٣٥ و١٩٣٩. وكانت تتم إعادة عرض هذه الأحداث - بالإضافة إلى غيرها من البرامج التى تلقى الضوء على الانشطة التى يقوم بها الموظفون الرسميون - فى قاعات المشاهدة العامة. وقد تم تقديم نماذج من عدد من الافلام التى حفظها لنا التاريخ منذ عهد ألمانيا النازية فى الفيلم الوثائقى الذى تم إنتاجه فى عام ١٩٩٩ تحت عنوان (Das Fernsehen unter dem Hakenkreuz التلفزيون تحت حكم الصليب المعقوف).

الأعمال الوثائقية التى تم انتاجها بعد سقوط الرايخ الثالث

(The World at War العالم فى حالة حرب)، وقد تم انتاجه فى عام ١٩٤٧: وهى سلسلة من انتاج Thames Television تعرض الكثير من المعلومات عن هتلر وعن ألمانيا النازية، ويتضمن ذلك مقابلة شخصية مع سكرتيرة هتلر - تراودل يونج.

(Adolf Hitler's Last Days الأيام الاخيرة فى حياة أدولف هتلر): وهى سلسلة من انتاج BBC تحمل عنوان ("Secrets of World War II" "أسرار الحرب العالمية الثانية")، وهى تحكى عن الايام الاخيرة التى قضاها هتلر أثناء الحرب العالمية الثانية.

(The Nazis: A Warning From History النازيين: تحذير يطل علينا برأسه القبيح من قلب التاريخ)، وقد تم انتاجه فى عام ١٩٩٧، وهى سلسلة من ستة اجزاء من انتاج BBC TV عن الطريقة التى تقبل بها المثقفون والمتعلمون الألمان هتلر والنازيين حتى وقت سقوط النازية. وكان المستشار التاريخى لهذا العمل هو ايان كيرشو.

(Hitler Sekretärin Im) - Toten Winkel النقطة العمياء: سكرتيرة هتلر)، وقد تم انتاجه فى عام ٢٠٠٢. والعمل عبارة عن مقابلة شخصية حصرية استغرقت تسعين دقيقة مع تراودل يونج؛ سكرتيرة هتلر. والفيلم اخرجه المخرج النمساوى اليهودى: أندريه هيلر، وذلك قبل وفاة تراودل بفترة قصيرة على إثر اصابتها بسرطان الرئة واسترجعت فيه تراودل ذكريات الايام الاخيرة فى قبو القائد فى برلين. وقد تمت الاستعانة بمقتطفات من هذه المقابلة فى فيلم Downfall.

(Arkiteltur Undergängens مهندس النهاية)، وقد تم انتاجه فى عام ١٩٨٩. وهو عمل وثائقى عن مفهوم حب الجمال من وجهة النظر الوطنية الاشتراكية التى رآها هتلر.

(das Fernsehen inter dem Hakenkreuz التليــفـــزيون تحت حكم الصليب المعقوف)، وقد تم انتاجه فى عام ١٩٩٩. وهو عمل وثائقى قدمه مايكل كلوفت عن الاستخدام الوطنى للتلفزيون فى ألمانيا فى عهد النازية للاغراض الدعائية ما بين عامى ١٩٣٥ و١٩٤٤.

الأعمال الدرامية التى تناولت النازية

(The Last Ten Days: Hitler هتلر: الايام العشرة الاخيرة فى حياته)، وقد تم انتاجه فى عام ١٩٧٣. ويعرض الفيلم الايام الاخيرة من حياة هتلر التى انتهت بوفاته، والفيلم من تمثيل سيرأليك جينيز.

(The Bunker القبو)، وقد تم انتاجه فى عام ١٩٧٨. ويعرض الفيلم الأحداث التى دارت فى الايام الاخيرة فى قبو القائد من يوم السابع عشر من يناير وحتى يوم الثانى من مارس فى عام ١٩٤٥. وقد تم تحويل هذا العمل إلى فيلم تليفزيونى بعنوان The Bunker وذلك فى عام ١٩٨١ من تمثيل أنتونى هوبكنز.

(Max ماكس)، العمل من انتاج عام ٢٠٠٢. وهو دراما قصصية تصور الصداقة التى جمعت بين تاجر فنون يهودى وهو ماكس روثمان (ويمثل الشخصية جون كوساك)، وبين أدولف هتلر الشاب (ويمثل الشخصية نوه تايلور)، وذلك عندما صادفه الفشل كرسام فى فيينا.

(Valkyrie فالكايرى؛ من تنتقى القتلى)، والعمل من انتاج عام ٢٠٠٨. ويصور هتلر - الذى قام بأداء دوره دافيد بامبر - كهدف لمحاولة اغتيال مدانة قام بها شتاوفنبرج.

(The Rise of Evil: Hitler هتلر: الشر يبعث حياً)، والعمل من انتاج عام ٢٠٠٣. وهو عبارة عن مسلسل تلفزيونى من جزئين يحكى عن السنوات الأولى فى حياة أدولف هتلر وعن صعوده للحكم (وذلك حتى عام ١٩٣٣) وقام بتمثيل دور البطولة فى الفيلم روبرت كارلايل.

(Downfall Untergang der السقوط)، والعمل من انتاج عام ٢٠٠٤. وهو فيلم ألمانى عن الايام الاخيرة من عمر هتلر وعمر الرايخ الثالث. وادى دور البطولة فى الفيلم برونو جانز ويعتمد الفيلم جزئيا على السيرة الذاتية الخاصة بتراودل يونج؛ وهى السكرتيرة المقربة إلى هتلر. وفى عام ٢٠٠٢ صرحت يونج بأنها تشعر بالذنب لأنها "... كانت معجبة بأعتى المجرمين فى تاريخ البشرية".

فيلم من اخراج هانز يورجن سايبربرج Hitler-Ein Film aus Seutschland A Film from Germany: Hitler هتلر: فيلم من ألمانيا)، والعمل من انتاج عام ١٩٧٧. والعمل مدته سبع ساعات ويتكون من اربعة اجزاء واستعان المخرج فى هذا الفيلم بمقطفات وثائقية، وخلفيات من الصور الفوتوغرافية، وعرائس متحركة، ومشاهد تم عرضها على خشبة المسرح، وغيرها من العناصر.

(The Empty Mirror المرآة الخـاوية)، والعـمل من انتـاج عـام ١٩٩٦: وهو دراما نفسية تتأمل فى الأحداث التى وقعت بعد عهد هتلر (وصور هذه الأحداث نورمان رودواى الذى عاصر سقوط ألمانيا النازية).

(Dr Freud Will You Now Mr. Hitler تستطيع الآن مقابلة د/ فرويد يا سيد هتلر)، والعمل من انتاج عام ٢٠٠٨: وهو دراما اذاعية كتبها لورانس ماركس وموريس جران، وتقدم سيناريو تخيلى يقوم فيه سيجموند فرويد بعلاج هتلر الشاب. وقد قام الممثل توبى جونز بأداء دور هتلر.

(Fatherland الوطن)، والعمل من انتاج عام ١٩٩٤, والعمل عبارة عن رؤية افتراضية لألمانيا خلال عام ١٩٦٤ فى حالة انتصار هتلر فى الحرب العالمية الثانية. والعمل مأخوذ من الرواية التى كتبها الصحفى السابق روبرت هاريس.

نظـرة أخـــرى

كل الافلام الغربية بعد الحرب العالمية الثانية اظهرت هتلر وحشا دمويا لا وازع اخلاقى يحكمه....

ولأن الدنيا ليست اسود وابيض فقط فلابد من وجود لون رمادى... فلابد أن يكون فى شخصية هتلر خير ما.

وهذا الموضوع هو اسقاط بسيط على جمال ربما لا تعرفونه من حياة هتلر.. وهى الفترة التى كان يعمل بها رساما تشكيليا قبل التحاقه بالجيش ممتلئ بالحماس لألمانيا.

هتلر كان نموذجا للشاب المستقيم فقد كان لا يعاقر الخمر ولا يدخن ونموذجا اوضح للشاب المعدم الفقير الذى يأكل حسب إمكانياته حيث كان يكتفى بالخبز والحليب.

هتلر كان رساما موهوبا جدا استدعاه جيش النمسا للخدمة العسكرية ففضل الرسم والسكن فى مأوى للمتشردين على الالتحاق بالخدمة العسكرية فى هذا الجيش.

تشرد - فقر - هروب بدون عمل وظروف من اقسى ما يكون. وفى هذه الظروف القاسية تعرف إلى رسام قليل الموهبة فى الفن بارع فى التجارة واساليب تسويق الأعمال الفنية يدعى هاينز الذى قام بالنيابة عنه ببيع لوحاته ناصحا اياه بالبقاء بعيدا عن انظار الجيش وسرعان ما اخذت أعمال الفنان هتلر تنال القبول من محبى الفن.

فتغيرت احواله المادية واستأجر غرفة فى منزل سيدة تدعى زاكريس.. واستئجاره هذه الغرفة جعله يتفرغ للرسم تماما فبدأ بالرسم ليل نهار.

واقترح عليه هاينز أن يرسم الإعلانات والملصقات الجدارية بمبالغ مغرية يتقاسمها مناصفة معه وحققت هذه الملصقات الاسم الفنى لهتلر عند شركات الاعلانات.

كانت موضوعاته المبكرة منصبة على رسم واجهات المبانى الضخمة والقصور والكنائس القديمة وكان شديد الاهتمام بالتفاصيل الصغيرة وفى اقل من شهر واحد انجز عشر لوحات وتوجه بها إلى كلية الفنون الجميلة فى فيينا تعززه ثقة كبيرة فى نفسه لتأهله لاجتياز الاختبارات التى تنتظره مع عدد من المتقدمين من امثاله بلغ عددهم ١١٣ طالبا غير أن هذه اللوحات لم تحظ بالإعجاب من قبل لجنة التحكيم، كذلك رفضت أعمال شاب آخر هو: كريسيان أندرسن الذى اصبح فيما بعد يعرف باسم معلم أوروبا ثم رئيسا لهذه الكلية التى لم تقبله طالبا فيها ذات يوم.

لم يؤثر هذا الرفض فى عزيمة هتلر بل تابع الرسم وطور اسلوبه وتحول تحولا كبيرا فى منهجه الفنى وشاعت الافكار السياسية فى

لوحاته، وعلى العكس من اقامته فى فيينا؛ لم يهرب من نداء خدمة الواجب بل التمس أن يُقبل متطوعا فى الجيش خلال الحرب العالمية الأولى وفى هذه الفترة كانت الطلبات على اعماله لا تنقطع ومع ذلك قرر نهائيا التخلى عن الفرشاة والالوان وانحاز بكل حماسه إلى ما سماه: "قوة الكلمة" وكان يعنى تحديدا الكلمة المحكية لا الكلمة المكتوبة.

وجاء فى كتابه الشهير "كفاحى" قوله: أن القوة التى حركت كتل الثلج فى الميدان السياسى والدينى كانت دائماً منذ اقدم العصور قوة الكلام السحرية.

رسم هتلر حوالى ١٥٠٠ لوحة ما بين زيتية ومائية وبالفحم وقلم الرصاص وقسمت هذه اللوحات إلى ثلاث مجموعات، الأولى منها مودعة الآن فى صناديق بأحد متاحف فلورنسا والثانية يملكها اللورد: "باث" فى لونغليت بانجلترا اما المجموعة الثالثة والأهم فإنها بحوزة الأمريكى "بيلى برايس" فى تكساس، ولكل مجموعة من هذه اللوحات قضايا تحوم حولها وتحول دون خروجها للنور فالمجموعة الأولى والمسماة بلوحات: هتلر الفلورنسية - تثير فى الوقت الحاضر سلسلة من المشاكل القانونية بين ورثة: سيفييرو وإدارات المتاحف هناك وهى المشاكل التى لن تنتهى بسهولة بل تزداد تعقيدا بمرور الوقت وبسبب توقع ارتفاع صوت مفاجئ من ألمانيا يقول صراحة أن هذه اللوحات لنا ومن حقنا استعادتها.

خلفيــة تاريخيــة

بعد انهيار النازية لم يجرؤ احد على فتح ملفات إيجابياتها بل نجد التشويه المتعمد على شخص "هتلر" ذاته فقد انكبت جميع الافلام السينمائية المنتجة فى الغرب على اظهاره بالرجل الدموى والمتوحش ولم يتطرق فيلم واحد على كثرتها إلى تناول مرحلة فترة شبابه حينما كان

فنانا تشكيليا حيث أدت تفاعلات الحرب العالمية الأولى إلى تغيير مساره من فنان منقطع للفن وحده إلى جندى ممتلئ بالحماس الوطنى لبناء الأمة الألمانية. وفى هذه القراءة نحاول تقديم الفنان "أدولف هتلر" كما هو أسوة بغيره من الفنانين التشكيليين الراحلين وهى قراءة فنية بحتة تهدف قدر المستطاع لازالة الشوائب التى علقت بحياة هذا الفنان فى مرحلة تعاطيه للرسم وهو اضعف الإنصاف.

رحلة الجوع الطويلة

اصيب الفنان الشاب فى مستهل حياته الفنية بحالة من الاحباط الشديد لكنه لم يتوقف لحظة عن فعل الرسم وكان هذا الفنان المعدم والفقير لا يدخن ولا يعاقر الخمر بل ظل وفيا لغذائه التقليدى فى حدود ما يحتويه جيبه من نقود وهو غذاء مكون عادة من الحليب والخبز فقط. وعندما تم استدعاؤه للخدمة العسكرية اختفى تماما عن الانظار وتحول إلى انسان بلا عنوان ولا سكن ثابت وفضل الاقامة فى مأوى للمتشردين والمتسكعين عن الالتحاق فى جيش حكومة النمسا وكان الجوع رفيقه الوفى الذى لازمه أينما حل.

استثمار توقيعه تجارياً

فى هذه الفترة القاسية من حياته تعرف إلى رسام قليل الموهبة فى الفن بارع فى التجارة واساليب تسويق الأعمال الفنية يدعى: "هانيز" الذى قام بالنيابة عنه ببيع لوحاته ناصحا اياه بالبقاء بعيدا عن انظار الادارة العسكرية فيما اخذت اعمال: "هتلر" تنال القبول من محبى الفن.

وانصاع هتلر بناء على اقتراح هذا الصديق لرسم الاعلانات والملصقات الجدارية بمبالغ مغرية يتقاسمها مناصفة مع هانيز ,من ذلك

ملصق عن مسحوق صابون "تيدى" وفيه يظهر اثنان من سعاة البريد أحدهما مرهق ويتصبب عرقا والثانى مرحٍ ونظيف لأنه يستعمل مسحوق صابون "تيدى" وحققت مثل هذه الملصقات الاسم الفنى لهتلر عند شركات الاعلانات مما دفع بصديقه إلى انتحال توقيعه والقيام بالرسم بنفسه دون علم من هتلر وهذه الفعلة إذا ما جانبها الصدق التاريخى تفيد أن غالبية اللوحات المنسوبة للفنان هتلر من رسم غيره.

وقبل الاسترسال فى حياة هذا الفنان نعود قليلا بالأحداث إلى سيدة تدعى: "زاكريس" التى نشرت اعلانا فى إحدى الصحف المحلية فى مدينة فيينا يتضمن رغبتها فى تأجير غرفة صغيرة بشقتها بالدور الثالث من المبنى رقم ٢٠ فى شارع - ستومير غراس.

وكان هذا الاعلان بمثابة طوق نجاة للشاب المتشرد: "أدولف هتلر" وبمجرد أن فرغ من قراءته ذهب مسرعا إلى السيدة زاكريس يطرق بابها فى الصباح الباكر وعندما فتحت له وجدت امامها شابا طويل القامة تبدو عليه مظاهر التهذيب غير المفتعل شاب يميزه وجه شاحب وعينان براقتان ولم يخص معها كثيرا فى تفاصيل إجراءات هذه الصفقة الصغيرة وتم له تأجير الغرفة بالثمن والشروط التى فرضتها عليه السيدة زاكريس.

■■■





من المسئول عن الحرب العالمية الثانية؟





وربما لهذا بالتحديد يقولون: من المسؤول عن الحرب العالمية الثانية ومقتل ستين مليون انسان فيها؟ الجواب المتوقع أن المسؤول هو أدولف هتلر. ولكن مهلاً. لدى التدقيق العميق فى امرها نكتشف أن المسؤول الحقيقى والأول هو عميد اكاديمية الفن فى فيينا الذى رفض قبول هتلر كتلميذ رسم فيها. فلو أن الاكاديمية قبلت الشاب هتلر لكفت العالم شره. كان المنتظر عندئذ لينشغل هتلر برسم البرتقال والقنانى الفارغة كمعظم فنانى عصره. لكن اكاديمية فيينا رفضته وبدلا من أن يصبح فنانا مغمورا فى ألمانيا لا احد يسمع به، اصبح امبراطورا لألمانيا وأوروبا النازية.

كان لهذا الرفض من اكاديمية الفنون اثره على مسيرة الفن فى ألمانيا والنمسا. فمن اسباب رفضه أنه كان يرسم بالاسلوب الكلاسيكى الذى عفا عليه الزمن ولم يتطور ويماشى مسيرة الفن الحديث: ولهذا، فحالما تسلم الحكم فى ألمانيا سنة ١٩٣٣ كان من أول ما امر به قمع المدرسة الحديثة واضطهاد كل الرسامين التجريديين والسرياليين والتعبيريين ومن لف لفهم من رؤوس المدرسة الحديثة وذيولها. بعد اشهر قليلة من تسلمه السلطة مستشارا لألمانيا القى خطابا فى مدينة نورنبرغ عام

١٩٣٤ ندد فيه بكل مظاهر الفن الحديث الذى وصفه بالانحطاط ثم عين زميله غوبلز مديرا للثقافة فى ألمانيا، وبالتالى مسؤولا عن النشاط الفنى وبدأت حملة اضطهاد الفنانين الحداثيين ومطاردتهم. كان فى طليعة ذلك كارل شمت روتلف وهانس فايبخ والنمساوى أوسكار كوكوشكا وإدوار مونخ وبول كلى والشيوعى بوريس تاسلتسكى.

اصدر غوبلز اوامره بمصادرة ٧٠٠ لوحة حديثة من المتاحف واتلافها. وكما نتوقع كان أكثر الممنوعين من اليهود وعلى رأسهم هانس فايبخ الذى رسم سلسلة من اللوحات تصور اهوال الحرب كما عاشها كجندى فى الجبهة الشرقية خلال الحرب العظمى. وقد صدرت الاوامر بمنع كل اعماله، واضطر للهرب إلى بريطانيا. وكذا فعل روتلف والكثير من الرسامين والنحاتين الحداثيين. بولى كلى هرب إلى سويسرا وكوكوشكا إلى بريطانيا.

كان معظم هؤلاء الفنانين يساريين وعلى الخصوص تاسلتسكى الذى آمن بمدرسة الواقعية الاشتراكية ورسم لوحة "موت كاسانوفا" التى خلد فيها ذكرى احد القادة الشيوعيين الذين اغتيلوا. امر هتلر باعتقال تاسلتسكى وزجه فى احد معسكرات الاعتقال، حيث جرت تصفيته بعد قليل. اما كوكوشكا فقد رسم بعد التجائه إلى بريطانيا سلسلة من الأعمال يندد فيها بساسة بريطانيا وتساهلهم مع هتلر. كان منها لوحة "ماريانا" التى صور فيها تشرشل وزملاءه وهم سكارى يعبثون مع الغانيات فى النوادى الليلية بلندن. كان من جرائم النازية اتلاف مئات اللوحات من أعمال بول كلى التجريدية وكارل روتلف التعبيرية، الذى منعه النازيون من عرض اعماله سنة ١٩٣٦ ثم اصدروا فى ١٩٤١ امرا بمنعه كليا من الرسم.

ينظر كثير من الناس إلى الأعمال الحديثة كخربطات طفولية لا تستحق غير السخرية والضحك عليها. ويظهر أن هتلر قد ساهم بمثل هذا الرأى، رغم كونه رساما مطلعا على الامر. ففى سنة ١٩٣٦ امر بتنظيم معرض بعنوان "الفن المنحط" لعرض بعض أعمال هؤلاء الفنانين الألمان الحداثيين للتشهير بهم والسخرية منهم. كان منها لوحة "امرأة تحمل شنطة" بالوان فطرية قوية من الاخضر والبنى تنم عن تأثير الفن الأفريقى الذى اكتشفه الفنانون الأوروبيون فى بداية القرن العشرين، كان من معروضات الفن المنحط أيضاً لوحة تاسلتسكى "موت كاسانوفا" ولوحة ادوار مونخ "الطفل المريض".

وقد كانت بادرة موفقة من متحف التبت مودرن بلندن أن جاءتنا بمجموعة من هذه الأعمال التى سمح هتلر بعرضها تحت عنوان "الفن المنحط" الموجود حاليا فى العاصمة البريطانية.

السينما

مؤخرا وضمن سلسلة افلامها الوثائقية، عرضت القناة الفرنسية ـ الألمانية أرتى ARTE شريطا وثائقيا حول علاقة هوليوود بألمانيا النازية.

الفيلم يستعرض كيف تعامل ارباب الشركات السينمائية مع ظهور الحزب النازى فى ألمانيا خلال العشرينات من القرن الماضى، حيث حاول هؤلاء ـ الذين اغلبهم من اصول يهودية ـ التغاضى عن اتخاذ موقف من النازية فى اعمالهم السينمائية على اعتبار أنهم أمريكيون قبل أن يكونوا يهودا.

لكن مع حلول ليلة ٩ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٣٨ وهو التاريخ الذى اصدر فيه هتلر اوامره باعتقال اليهود وترحيلهم إلى مراكز الاعتقال،

تغير الأمر وتكونت جمعيات - بمبادرة من ارباب الشركات السينمائية - من أجل استقبال اليهود المهاجرين من ألمانيا وباقى الدول الأوروبية، فى سرية تامة مخافة من رد فعل التنظيمات العنصرية المتعاطفة مع النازية، كمنظمة جيرمان بوند ومنظمة كى كليكس كلان.

على المستوى السينمائى، شرعت هوليوود فى انتاج العديد من الافلام الدعائية المناهضة للنازية: اعترافات جاسوس ألمانى وهو فيلم كوميدى صادف انتاجه من طرف شركة وارنر، قيام السلطات الأمريكية بشن حملة تحقيق واسعة فى صفوف الأمريكيين من اصل ألمانى. كما أن كل الممثلين فيه اشترطوا على الشركة المنتجة ومخرج الفيلم تصوير مشاهدة فى سرية تامة وعدم ظهور اسمائهم فى جنريك الفيلم مخافة من المنظمات المتعاطفة مع النازية.

فيلمان كوميديان فقط كسرا عقدة الخوف وتم توزيعهما على نطاق واسع فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وهما: الديكتاتور لشارلى شابلن (١٩٣٨) وأكون أو لا أكون للمخرج الأمريكى أرنست ليبتش ١٩٤٢؟ حسب الفيلم الوثائقى، أنه بعد انتصار الحلفاء سنة ١٩٤٥ كانت المصالح السينمائية التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية السابقة إلى الدخول إلى مراكز الاعتقال - حتى قبل المصالح الطبية والاسعاف - لتوثيق البشاعات التى شهدتها هذه المراكز والتى احدث عرضها بالقنوات التلفزيونية آنذاك، ردة فعل قوية من الجمهور دفع بوسائل الإعلام خاصة الأمريكية والبريطانية إلى التحفظ فى الاتصال بالضحايا وانجاز تحقيقات مصورة معهم.

لكن مع ظهور مسلسل جذور سنة ١٩٧٧ والذى يحكى عن معاناة السود بأمريكا، سواء قبل الحرب الاهلية أو بعدها، وما حققه من نجاح

كاسح على المستوى العالمى دفع بأرباب الشركات السينمائية فى هوليوود إلى انتاج اشرطة وثائقية وروائية عن معاناة اليهود خلال الحقبة النازية.

الرياضـــة

لمدة اسبوعين فى أغسطس ١٩٣٦ غطت الديكتاتورية النازية لهتلر شخصيتها العسكرية العنصرية عند احتضانها للالعاب الصيفية الأولمبية بتحريكها الهادئ لاجندتها المعادية للسامية ومخططاتها التوسعية. استغل النظام النازى هذه الالعاب بمخادعة العديد من الجماهير الاجنبية والصحفيين الاجانب بتقديم صورة لألمانيا المسالمة والمتسامحة. برفضها اقتراح مقاطعة الدورة الأولمبية فى سنة ١٩٣٦ اضاعت الولايات المتحدة وبعض الديمقراطيات الغربية الفرصة لاخذ موقف يقر بأن ـ كما قال بعض المراقبين فى تلك الفترة ـ ربما كانوا قد اعطوا هتلر مهلة لتقليص المقاومة العالمية للاستبداد النازى. ومع اختتام الالعاب تنامت سياسات ألمانيا التوسعية واضطهاد اليهود واعداء اخرين للدولة ادت إلى الحرب العالمية الثانية والمحرقة.

الألعاب الأولمبية فى صيف ١٩٣٦

فى ١٩٣١ منحت اللجنة الأولمبية العالمية تنظيم الدورة الأولمبية سنة ١٩٣٦ لمدينة برلين واشار هذا الاختيار إلى عودة ألمانيا للمجموعة الدولية بعد عزلها إثر هزيمة الحرب العالمية الأولى.

بعد سنتين اصبح قائد الحزب النازى أدولف هتلر مستشار ألمانيا واستبدل بسرعة الديمقراطية الهشة لدكتاتورية الحزب الواحد الذى اضطهد اليهود والغجر وكل المعارضين السياسيين وغيرهم. عمل النظام النازى على مراقبة كل مكونات الحياة العامة الألمانية وبلغ حتى

الرياضية. استخدم النظام النازى الرياضة فى الثلاثينات للترويج لأسطورة الجنس الآرى المتفوق. فى النحت وفى اشكال اخرى مجد الفنانون الألمان العضلات القوية جدا لعدائيهم ونوهوا بالسمات التى يتمتع بها الجنس الآرى. مثل هذه الصورة تعكس الاهمية التى اعطاها النظام النازى للقوة البدنية كضرورة ملحة للخدمة العسكرية.

فى ابريل ١٩٣٣ تم تمرير قانون يخول فقط للجنس الآرى الانضمام لجمعيات العدو اما العدائين من غير الجنس الآرى كاليهود والغجر فقد وقع اخراجهم فورا من الجمعيات الرياضية الألمانية البطل الهاوى إريك سيلنج فى ابريل ١٩٣٣ نظرا لكونه يهودى. (واصل بعد ذلك مشواره الرياضى بالولايات المتحدة). كما طرد بطل كرة التنس اليهودى دانيال برين من كأس مجموعة دايفس بألمانيا. طردت جريتل بيرجمان من فريقها الألمانى للقفز العالى سنة ١٩٣٣ ومن الفريق الأولمبى الألمانى سنة ١٩٣٦.

ثم منع العدائين اليهود من جميع الفرق الرياضية الألمانية وتم تجميعهم فى جمعيات يهودية تتضمن مجموعات شيلد والمقابيين وتمكينهم من مرافق منفصلة. لكن هذه المرافق اليهودية لا يمكن مقارنتها بتلك الألمانية. الغجر مثل الملاكم جوهان روكيلى طردوا من الرياضيات الألمانية.

وكحركة لتضليل الرأى العام العالمى سمحت السلطات الألمانية للنصف يهودية هيلين ماير بتمثيل ألمانيا بالالعاب الأولمبية ببرلين. تحصلت على ميدالية فضية بحواجز السيدات الفردية ومثل كل الفائزين الألمان ادت التحية النازية على المضرب. بعد الدورة الأولمبية عادت ماير إلى الولايات

المتحدة. ولم يتبارى أى يهودى منذ ذلك الحين باسم ألمانيا فاز تسعة عدائين يهود بميداليات بالدورة الأولمبية بما فيهم ماير وخمسة مجريين. وذهب سبعة عدائين يهود ذكور من الولايات المتحدة إلى برلين. مثل بعض المتسابقين اليهود الأوروبيين بالدورة الأولمبية فإن العديد من هؤلاء الشبان وقع الضغط عليهم من قبل المنظمات اليهودية لمقاطعة الالعاب. ولأن جلهم لم يفهم كليا مدى خطورة النظام النازى واهدافه قرر بعضهم مواصلة المنافسة.

فى أغسطس ١٩٣٦ حاول النظام النازى تغطية سياسة العنصرية العنيفة عند استضافته للالعاب الأولمبية الصيفية. جل العلامات المعادية لليهود وقع حذفها وقتيا وقامت الجرائد بتقليص خطابها المعادى لليهود واستغل النظام هذه الالعاب الأولمبية لتقديم صورة خاطئة حول ألمانيا للجماهير والصحفيين الاجانب مظهرين ألمانيا المسالمة والمتسامحة.

اتسعت الحركات المقاطعة للدورة الأولمبية ببرلين لتبلغ الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والسويد وتشيكوسلوفاكيا وهولندا. وكان الحوار حول مشاركة الولايات المتحدة بأولمبية سنة ١٩٣٦ ساخنا وطويلا جدا وهى عادة ما تبعث باكثر عدد من الرياضيين لهذه التظاهرة. بعض المؤيدين للمقاطعة أيدوا فكرة اقامة أولمبية بديلة. وكان اكبرها "أولمبية الشعب" التى قررت بصيف ١٩٣٦ ببرشلونة بأسبانيا إلا أنها الغيت بعد اندلاع الحرب الاهلية فى يوليو ١٩٣٦ مباشرة بعد وصول الف عداء.

بعض العدائين من عدد الدول اختاروا أيضاً مقاطعة الدورة الأولمبية ببرلين. وفى الولايات المتحدة ساند بعض العدائين اليهود والمنظمات اليهودية مثل الكونجرس اليهودى الأمريكى والهيئة اليهودية للعمل هذه

المقاطعة. عندما صوت اتحاد العداء الهاوى للولايات المتحدة للمشاركة فى ديسمبر ١٩٣٥ اتبعتهم دول اخرى وفشل الحصار.

قام النظام النازى باستعدادات لالعاب صيف أغسطس ١-١٦. تم بناء العديد من المركبات الرياضية والرايات الأولمبية التى غطت معالم وبنائات مدينة برلين المكتظة. جل السواح غير واعين بأن النظام النازى اخفى العلامات المناهضة لليهود بصفة وقتية واستعملوا فريقا من الشرطة من الغجر بأمر من الوزارة الداخلية الألمانية. وفى ١٦ يوليو ١٩٣٦ تم القبض على ٨٠٠ غجرى مقيم ببرلين وضواحيها وتم حجزهم من قبل الشرطة بمحتشد خاص بإحدى ضواحى برلين بمارسان. امر الضباط النازيون فى تلك الفترة بعدم تجريم ومحاكمة الشواذ من الزائرين الاجانب.

تنافس ٤٩ فريقًا للعدو من جميع العالم بالدورة الأولمبية ببرلين اكبر من جميع المنافسات السابقة. فشاركت ألمانيا باكبر عدد وهو ٣٤٨ عداء. وكان فريق الولايات المتحدة الثانى ٣١٢ عضو من ضمنهم ١٨ أمريكى من اصل أفريقى. ترأس اللجنة رئيس الهيئة الأولمبية الأمريكية أفيرى براندج. ولم يشارك الاتحاد السوفيتى فى العاب برلين.

بمهارة فائقة ساندت الالعاب الأولمبية بصور ملونة ومجلات موزعة وصور السباق كانت تربط بين ألمانيا النازية واليونان القديمة مجسدة اسطورة الجنس النازى بكون أن الحضارة الألمانية المتفوقة كانت قد انتجت ثقافة آرية عتيقة وكلاسيكية. والقت هذه النظرة الكلاسيكية العتيقة الضوء على الجنس المثالى "الآرى الراقى" والبطل ذو "العيون الزرقاء والشعر الاشقر والملامح الرقيقة والجميلة".

تواصلت الجهود الرامية للاشعار حتى بعد الدورة الأولمبية مع اخراج الفيلم "أولمبياد" سنة ١٩٣٨, وهو الفيلم الوثائقى المثير للجدل الذى أدير من قبل المخرجة الألمانية والمتعاطفة الألمانية لينى ريفنستال. كلفت من قبل النظام النازى لاخراج هذا الفيلم حول العاب صيف ١٩٣٦.

فظهرت ألمانيا بوجه المنتصر فى الدورة الأولمبية رقم ١١. تحصل العداءون الألمان على اغلب الميداليات ونالت الضيافة الألمانية وحسن الاستقبال اعجاب الزائرين. تناقلت جل الصحف تقرير "النيويورك تايمس" الذى لقى صدى والذى ذكر بأن هذه الالعاب اعادت ألمانيا إلى صف الدول بل وأرجعت الألمان أمثل انسانية. بعضهم اكتشف أنه من الصواب أن يستمر هذا الجو المسالم. إلا أن القليل من بعض الصحفيين مثل وليم شيرر الذين استوعبوا أن برلين لم تكن سوى واجهة تخفى ورائها نظاما عنصريا وقمعيا وعنيفا.

وعندما وقع وضع هذه التقارير جانبا سارع هتلر بمخططاته التوسعية لألمانيا. استأنفت اعدام اليهود وبعد يومين من نهاية الالعاب الأولمبية انتحر القائد ولفجنج فورستنر رئيس القرية الأولمبية عندما وقعت تنحيته من الخدمة العسكرية بسبب اجداده اليهود.

احتلت ألمانيا بولندا فى ١ سبتمبر ١٩٣٩. وخلال ٣ سنوات من الدورة الأولمبية اشعل الممول للالعاب ـ "المضياف والمسالم" ـ الحرب العالمية الثانية. وهو صراع أدى إلى خراب هائل. عند اختتام الالعاب تنامت سياسات ألمانيا التوسعية واعدام اليهود واعداء الدولة التى ادت إلى المحرقة.

العلـــوم

النازية كانت "علم احياء تطبيقى"، كما صرح بذلك مساعد هتلر؛ رودولف هس. خلال الرايخ الثالث، حدد تنوع حاد سياسيا ومعادى

للسامية فى علم تحسين النسل مسار سياسة الدولة. وصف نظام الحكم لهتلر "السلالة الشمالية" بأنها نموذج تحسين النسل لها وحاول تفريغ ألمانيا فى قالب مجتمع قومى متماسك يستبعد أى شخص يعتبر بشكل موروث "ذو قيمة اقل" أو "اجنبى من الناحية العرقية". كانت مقاييس الصحة العامة للسيطرة على التناسل والزواج تهدف إلى تقوية "الكتلة الوطنية" من خلال التخلص من الجينات ذات التهديد البيولوجى من السكان. وقد احتضن العديد من الاطباء والعلماء الألمان الذين ساندوا افكار علم الصحة العنصرى قبل عام ١٩٣٣ تأكيد النظام الجديد على علم الاحياء والوراثة، وفرص العمل الجديدة، والتمويل الاضافى للابحاث.

وقامت ديكتاتورية هتلر، مدعومة بسلطات الشرطة الجارفة، بإسكات النقاد لعلوم تحسين النسل النازية ويؤيد الحقوق الفردية. وذلك بعد خضوع كافة المؤسسات التعليمية والثقافية والإعلامية للسيطرة النازية وعلوم تحسين النسل العنصرية التى تخللت المجتمع الألمانى ومؤسساته. وقد تم تطهير الجامعات ومؤسسات البحث العلمى والمستشفيات والرعاية الصحية العامة من اليهود الذين تم اعتبارهم "غرباء". وقد لقى الاشخاص فى المناصب العليا الذين كان يتم اظهارهم بأنهم "غير جديرين بالاعتماد عليهم" سياسيا مصيرا مشابها.

المعركة من أجل المولد

وبترديد المخاوف المتواصلة لتحسين النسل، اشاع النازيون تحذيرات خبراء السكان من "الموت القومى" وسعوا إلى عكس الاتجاه إلى تخفيض معدل المواليد. حيث حظر قانون الصحة الزوجية الصادر فى اكتوبر من عام ١٩٣٥ الزواج بين الاشخاص "المتمتعين بالصحة" والاشخاص الذين

يعتبرون غير لائقين من الناحية الوراثية. واصبح الزواج وانجاب الاطفال واجبا قوميا "للائقين عنصريا". وصرح هتلر فى خطاب له فى ٨ سبتمبر من عام ١٩٣٤ قائلاً: "فى دولتى، الأم هى المواطن ذو الاهمية البالغة".

وبالعمل وفقا للمخاوف الأولية لتحسين النسل حول آثار الكحول والتبغ ومرض الزهرى، قام النظام النازى بالاشراف على الأبحاث، ومباشرة حملات تعليم عام، وسن القوانين التى هدفت جميعا إلى التخلص من "السموم الجينية" المرتبطة بعيوب الولادة والاضرار الجينية للاجيال التالية. وفى عام ١٩٣٦ ?تم انشاء المكتب المركزى الألمانى لمكافحة اللواط والاجهاض لزيادة الجهود لمنع الافعال التى تعوق التكاثر. وفى خطاب فى عام ١٩٣٧ ربط فيه رئيس الشرطة الألمانية هنريتش هيملر بين اللواط وانخفاض معدل المواليد قائلاً: "ان شعباً ذا عنصر نبيل له عدد قليل من الاطفال لديه تذكرة ذهاب إلى المقابر".

برنامج التعقيم الجماعى

وفى ١٤ يوليو من عام ١٩٣٣ حققت الديكتاتورية النازية الأحلام التى طالما تعلق بها مؤيدى تحسين النسل من خلال سن قانون لمنع النسل المريض وراثيا، على اساس قانون تعقيم تطوعى صاغه مسؤولوا الصحة البروسيين فى عام ,١٩٣٢وقد شارك فى وضع القانون النازى الجديد فالك راتك، محامى، وآرثر جوت، طبيب ومدير شؤون الصحة العامة، وإرنست رودين، طبيب نفسى وزعيم سابق فى حركة علم الصحة العنصرية الألمانية. وكان الافراد الذين خضعوا لهذا القانون من الرجال والنساء الذين "يعانون" من أى من الشروط التسعة المفترض كونهم وراثية: البلادة والفصام والاضطراب الهوسى الاكتئابى، والصرع الوراثى،

وتشنجات هانتنجتون (ضرب مميت من الجنون) والعمى الوراثى، والصمم الوراثى، والتشوهات الشديدة، وادمان الكحول المزمن.

وقد اضفت محاكم الصحة الوراثية الخاصة جوا على العملية المناسبة لقياس التعقيم، ولكن كان القرار بالتعقيم روتينيا بشكل عام. وقد عمل تقريبا جميع علماء الجينات والاطباء النفسيون وعلماء الأنثربولوجيا المشهورون فى هذه المحاكم فى وقت من الاوقات، وقاموا بالتفويض بعمليات التعقيم لما يقدر بـ ٤٠٠,٠٠٠ مارك ألمانى. وكانت قطع القناة الدافقة هى الطريقة المعتادة فى تعقيم الرجال، اما النساء فكانت ربط الابواق، وهو اجراء عدوانى يؤدى إلى وفاة المئات من النساء.

نظرة من الخارج

اختلف رد الفعل الدولى تجاه قانون التعقيم النازى. ففى الولايات المتحدة، لاحظ بعض محررى الصحف النطاق الواسع للسياسة وشعروا بالخوف من أن "مؤيدى هتلر" قد يقوموا بتطبيق القانون على اليهود وكذلك المعأرضين السياسيين. وفى المقابل، عرض علماء تحسين النسل الأمريكيين القانون على أنه تطور منطقى للتفكير الأولى من "افضل المتخصصين" فى ألمانيا وليس على أنه "ارتجال أهوج لنظام هتلر".

وفى الثلاثينيات، انتقد علماء وراثة أمريكيين وبريطانيين بارزين مؤسسات تحسين النسل التى تم إنشاؤها لخلط الاضرار دون قيد مع فهم قديم ومبسط للوراثة البشرية. وفى نفس الوقت، اكتسب التعقيم دعما أكثر وراء دوائر تحسين النسل كوسيلة لتقليل النفقات للرعاية المؤسسية واغاثة الفقراء. وارتفعت معدلات التعقيم فى بعض الدول الأمريكية خلال فترة الكساد الكبير، وتم تمرير قوانين جديدة فى فنلندا

والنرويج والسويد خلال نفس الفترة. وفى بريطانيا، اعاقت المعأرضة الكاثوليكية القانون المقترح. ولم يقترب عدد الاشخاص الذين تم تعقيمهم من النطاق الواسع للبرنامج النازى.

فصل اليهود

لم يتم تفويض التعقيم للاقليات العرقية المعروف بـ "الغريب عنصريا" بموجب قانون عام ١٩٣٣. ولكن بدلا من ذلك، جرم "قانون حماية الدم" الذى تم الاعلان عنه فى مدينة نورمبرج فى الخامس عشر من سبتمبر من عام ١٩٣٥ علاقات الزواج أو العلاقات الجنسية بين الألمان اليهود وغير اليهود. وبعد ذلك مباشرة، قام الزعماء النازيون باتخاذ خطوة أكثر للفصل البيولوجى، وذلك بمناقشة "التهجير الكامل" لليهود سرا كهدف من اهدافهم.

وبعد دمج النمسا فى مارس من عام ١٩٣٨ (الضم) قام ضابط الشرطة السرية أدولف إريشمان بتنسيق الهجرة الاجبارية لعشرات الآلاف من اليهود النمساويين. واقنعت الهجمات التى نظمها النازيون على اليهود الألمان والنمساويين وعلى املاك اليهود فى ٩ و١٠ نوفمبر من عام ١٩٣٨ ـ Kristallnacht ـ العديد من اليهود الباقين فى ألمانيا بأن الرحيل كان هو الخيار الوحيد للنجاة.

استنساخ الفوهرر

فى عام ١٩٤٠ وعندما اشتعلت أوروبا كلها بالحرب العالمية الثانية، وعشق الشعب الألمانى "أدولف هتلر"، ورفعه إلى مصاف الآلهة، وضع عالم ألمانى مغمور نظرية علمية طبية جديدة، اطلق عليها اسم (الاستنساخ).

كان هدفه الأول، من نظريته تلك، هو البحث عن وسيلة لتخليد الزعيم، أو الفوهرر العظيم، كما كانوا يطلقون على "هتلر" آنذاك، عن طريق صنع عشرات، أو حتى مئات النسخ، من شخصيته المسيطرة.. ولقد بدت تلك النظرية منطقية ايامها..

ولكنها غير قابلة للتنفيذ..

كان ما سيفعله ذلك العالم، وفقا لنظريته، هو أن يأخذ خلية منوية، من الفوهرر، ويقوم بزرعها فى بويضة بشرية، ثم قتل صفاتها الوراثية، بتعريضها إلى الأشعة فوق البنفسجية..

وداخل البويضة، سيسعى الحيوان المنوى للانقسام، بعد أن يفشل فى ايجاد سمات جينية يتزاوج معها..

وهكذا سينمو جنين جديد، بصفات وراثية منفردة..

صفات الأب وحده..

والأب هنا هو الفوهرر..

"أدولف هتلر.. "

وكان من الطبيعى أن تروق الفكرة للزعيم النازى..

فكرة انتاج جيش كامل، يدين له بولاء لا ينفصم..

ولاء المثل..

ومن المؤكد أنه قد حلم بألمانيا كلها "هتلر.. "

نفس الشكل..

والهيئة..

والسمات الجسدية..

والعقلية..

بل ونفس الطموح..

ومع نرجسيته، التى تخلفها الزعامة فى المعتاد، اصدر "هتلر" اوامره بتحويل النظرية إلى حقيقة..

وانطلق الكل لتنفيذ اوامر "هتلر.. "

العلماء درسوا الفكرة..

وحسبوها..

وحللوها..

وأثبتوا أنها ممكنة جدا..

ليس عبر خلية منوية، وانما من خلال اية خلية من خلايا الجسم البشرى، باستثناء كرات الدم الحمراء..

وسعد "هتلر" جدا بنتائج دراساتهم..

ثم كانت الصدمة..

فالنظرية صحيحة تماما، وممكنة نظريا..

وليس علميا..

التكنولوجيا المتوافرة، لا تكفى لصنع هذا..

ولا حتى لبلوغ بداياته..

وغضب الفوهرر..

وانعكس غضبه على كل من حوله..

وحتى على قراراته العسكرية..

لذا، كان من الضرورى إرضاؤه، بأى ثمن كان..

وراح العلماء يعيدون دراسة الموقف مرة ثانية..

وثالثة..

ورابعة..

وعلى الرغم من أن استحالة تنفيذ الفكرة لم تتغير، إلا أن العلماء اخبروا الفوهرر أنهم قد وجدوا الحل..

وعادت السعادة إلى الفوهرر، واصدر اوامره مرة اخرى بالتنفيذ..

بل ومنح المشروع رعايته، ومبلغا ضخما كتمويل مستمر..

ولعام كامل، تابع "هتلر" الأبحاث، والعلماء يخدعونه..

ويخدعونه..

ويخدعونه..

ولكن تمويله، وابحاثهم، وضعا معا اللبنة الأولى لاخطر علم، فى العصر الحديث..

علم الاستنساخ..

واحتدم وطيس المعركة..

ونسى "هتلر" امر الاستنساخ..

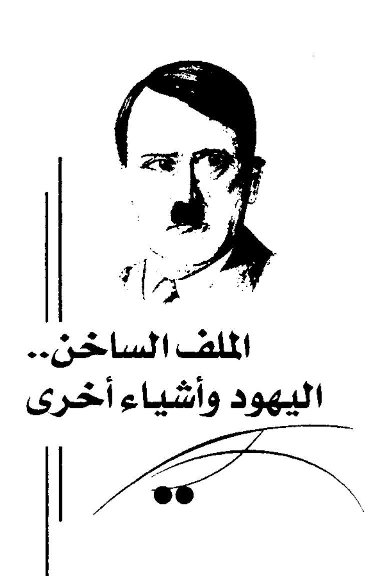
وسقط الرايخ الثالث..

وانهارت (ألمانيا)

وانتحر "هتلر" وقادته..

وبقى الاستنساخ

■ ■ ■



الملف الساخن..
اليهود وأشياء أخرى



هتلر وحدسه الذى لا يخونه

لقد كان فى بدايات شبابه شغوفا بالسياسة وكان متابع للصحف والتاريخ بشكل كبير جدا وكان همه الأول هو ايجاد حل لمسألة البؤساء والعمال المضطهدين من قبل اصحاب المصانع والاعمال لم يكن ابدا يمقت اليهود بل كان يدافع عنهم ويوبخ من يعاديهم وكان يعتبر هذا الشعب وديانة اليهودية كيان لا يتجزأ عن الأمة الألمانية يقول هتلر فى كتابه "كفاحى" فى حداثتى كنت أعتبر يهود بلادى مواطنين ولا اقيم وزنا لاختلاف الدين والعادات... " كانت هذه نظرة هتلر لليهود عندما كان فى قريته لكنه عندما انتقل إلى فيينا عاصمة النمسا واختلاطه بالحياة المدنية والتى كانت تعانى من تصارع فى الطبقات لاحظ هتلر استغلال الأحزاب السياسية البؤس والشقاء فى التحريض والانتقام وهنا عزم هتلر على معرفة كل التفاصيل عن الأحزاب والبرلمانيين وهنا بدأ يتابع الصحف ذات التوجه العالمى وتفضيله لها كان على اساس أن هذه الصحف محايدة وواقعية وفى هذه الصحف برزت لهتلر مسألة اليهود. يقول هتلر "تبينت هذه المسألة من خلال حملات الصحف المعادية للسامية ولكنى رددت هذه الحملات إلى التعصب الاعمى ولاحظت أن

الصحف التى تهاجم اليهود ضعيفة الرواج، وإن الصحف الكبرى ترد على هذه الحملات باسلوب رصين واحيانا تتجاهل حملاتها وقد كان لهذه الرصانة وقعها فى نفسى... لكن سرعان ما امضتنى منها تزلفها إلى السلطة وحملاتها العنيفة على الامبراطور وكذلك عطفها على فرنسا واعجابها بها ونعتها اياها (بالأمة المتمدنة) وقد تساءلت وانا ألمس هذه الاتجاهات غير الألمانية لمصلحة من تعمل هذه الصحف... ؟" يمكنك ايها القارئ العزيز أن تربط بين واقع ألمانيا فى بدايات القرن العشرين وواقع العالم اليوم وتضع نظارة فاحصة لتكتشف من الذين يملكون الإعلام العالمى؟ الجواب فيما سيقوله هتلر: "فى ذلك الوقت بدت لى اليهودية على حقيقتها كنت أعتبر اليهود مواطنين لهم ما لنا وعليهم ما علينا ولكن اختلاطى باعداء السامية من مفكرين وساسة جعلنى اشد تحفظا فى الحكم على اليهود... ولقد لمست بنفسى تكتل اليهود وتجمعهم فى حى واحد من احياء فيينا ومحافظتهم الشديدة على تقاليدهم وعاداتهم وطقوسهم وقد زاد فى اهتمامى مسألة ظهور الحركة الصهيونية وانقسام يهود فيينا إلى فئتين فئة تحبذ الحركة الجديدة وتدعو لها وفئة تشجبها مما حملنى على الاعتقاد أن انقسامهم مصطنع وانهم يلعبون لعبتهم لا فى النمسا فحسب بل فى العالم كله، وهى لعبة سداها ولحمتها الكذب والربا... ".

إنصاف هتلر لم يكن مبالغا فيه حين كان محايدا فى الحكم على اليهود لكن الحقيقة تغير من رأى الشخص لأن الحقائق دائماً هى تفرض نفسها على الواقع واما الكذب والخداع فهو محتوم بالزوال يقول هتلر عن اخلاق اليهود وصفاتهم: "لكن قذارتهم المادية ليست شيئا مذكورا بالنسبة إلى قذارة نفوسهم، فقد اكتشفت مع الايام أن ما من فعل مغاير

للاخلاق، وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود فيها يد، واستطعت أن اقيس مدى تأثير "الشعب المختار" فى تسميم افكار الشعب وتخديره وشل حيويته... فقد امتد الإخطبوط اليهودى إلى جميع ميادين الفن والادب والتمثيل، وهذا التغلغل فى كل ميدان من ميادين النشاط التوجيهى يشكل طاعونا خلقيا ادهى من الطاعون الاسود واشد فتكا، ذلك أن تسعة اعشار المؤلفات والنشرات والمسرحيات واللوحات الفنية التى تروج للإباحية المطلقة وللماركسية هى من صنع اليهود. بهذه الطريقة استطاع اليهود أن يسيطروا على العالم، فتغلغل اليهود فى هذه المجالات مكن اليهود من تشكيل الرأى العام العالمى بحسب المخطط الذى رسمه وبالكيفية التى يريدونها فأشهر الصحف العالمية واكبر دور النشر العالمية وكبريات القنوات الفضائية واكبر شركات الصناعة السينمائية ومنتجات الترفيه هى بيد اليهود يقول هتلر "اما معظم الصحف فإن محرريها وموجهيها هم من ابناء الشعب المختار وبعدما اكتشفت هذه الحقيقة ادركت مدى تأثير اليهودى فى توجيه الرأى العام الوجهة التى تتلاءم ومصالحهم كشعب له مميزاته وكطائفة دينية ذات أهداف بعيدة، فهم من خلال الصحف والنقد الادبى والمسرحى يرفعون شأن ابناء جنسهم من محترفى التمثيل والمؤلفين المسرحيين ويحط من قيمة زملائهم "الألمان"، وأضيف إلى ما قاله هتلر أن من شوه صورة هتلر فى العالم هم من كشف حقيقتهم وإن من اغتال الانبياء والزعماء هم من تكلم عنهم هتلر فهل يعتبر هتلر مجرم حرب كما يصفونه الصهاينة ام أن المذابح الصهيونية فى فلسطين هى الجريمة الكبرى؟!

أعتقد أن التاريخ له حكمه فى هذا.. يقول هتلر "وعجل فى بلورة موقفى من اليهود تكالبهم على جمع المال وسلوك معظمهم السبل الملتوية

لبلوغ هذه الغاية، وقد طالعنى الشارع بحقائق لم تخطر على بالى، منها الدور الذى يمثله "الشعب المختار" فى ترويج سوق الدعارة وفى الاتجار بالرقيق الابيض. وقد سرت القشعريرة فى جسدى عندما اكتشفت أن اليهودى، هذا المخلوق الوديع، هو الذى يستثمر البغاء السرى والعلنى ويجعل منها تجارة رابحة". لقد كان الناس فى القديم وخصوصا فى اوائل القرن العشرين يتسمون بالعفاف والطهر والحشمة لكن بعدما سيطر اليهود على العالم واستطاعوا أن يضعوا ايديهم فى الإعلام والمال والسلطة غيروا من المسار الاخلاقى للامة الأوروبية والغربية وحولوها إلى بلدة لتجارة الدعارة والفحش والرذيلة دونما يشعر بهم من طرق عديدة جدا كانت اهمها عن طريق الجماعات الفكرية والسياسية وعن طريق الكتب والانتاج الفكرى مثل نظريات فرويد وغيرها وعن طريق السينما والمسرح والغناء وتم كل ذلك دون أن يشعر بهم احد واستغلال جميع المعانى النبيلة فى تضليل الشعوب باسم الديمقراطية والحرية وحقوق الانسان والتى تطبق جميعها على الآخرين بينما الجرائم التى يرتكبونها لا يعاقبون عليها لأن من صنع الشىء يعرف "لماذا وكيف ومتى" فهو ملم بجوانب الضعف فيستغلها وتكون حجة له لا عليه، طبعا أنه مكر وذكاء بارع ولك أن تعرف أن اغلب التنظيمات السرية العالمية واغلب الأحزاب العالمية الموجودة فى أمريكا وأوروبا هى بايدى اليهود وهذا ما اكتشفه هتلر فهو يقول "لقد تبين لى أن اليهود من يتزعمون الحركة الاشتراكية الديمقراطية، ويسيطرون على صحفها، ويوجهون النقابات جميعهم يهود ومنهم كذلك قادة التظاهرات ومدبروا أعمال الشغب، وبذلك تكون البلاد ألعوبة بين يدى شعب اجنبى، لأن اليهودى، وهو من لا يمكن أن يكون ألمانيا بحال من الاحوال وهكذا اكتشفت أخيراً الروح الشرير الذى يقعد بشعبنا عن مسايرة ركب التقدم.

وهكذا يمكننا أن نقيس حكم هتلر على باقى ارجاء العالم الإسلامى والعربى ودول العالم الثالث فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية يقول هتلر: "حقا أن اليهود اسياد الكلام واسياد الكذب" لكن هتلر تجاهل أن اليهود هم اصحاب ذكاء ومكر وعمل قبل أن يكونوا اسياد الكلام واسياد الكذب. لقد كان هتلر واعيا بما فعله اليهود حين قتلهم وشردهم لقد عرف تماما أن اليهودية هى تعنى استعباد الشعوب الأخرى من اجلها وانا من خلال قراءتى للكتاب علمت أن لهتلر الف سبب ليفعل ذلك مع اليهود ولكن انقلب السحر على الساحر واصبح من اراد أن يحذر العالم من خطر اليهودية اصبح اليهود هم من يحذرون العالم من الاخطار نازية، "الاسلام، الارهاب، الشيوعية،.... " واصبح هتلر رجل عظيم استطاع أن يسيطر على اجزاء كبيرة من أوروبا إلى رجل ملعون تلاحقه لعنات اليهود أينما ذكر اسمه لكن ليعلم اليهود أن التاريخ لا يظلم احدا فهتلر رجل كافح من أجل البؤساء ومن أجل العمال المضطهدين ومن أجل وطنه وشعبه.

وما المجازر والجرائم التى يتهم بها هتلر إلا رماد منثور لتغطية الجانب الحقيقى لهذا الشخص الذى عرف حقيقة اليهود فعرف اليهود خطره فاستغله دونما يشعر وساعدهم على أن يكونوا اسياد العالم دونما يشعر وهربت جميع رؤوس الأموال أوروبا إلى أمريكا واستطاع الأمريكان واليهود من خلفهم أن يقيموا مشروع مارشال لإعمار أوروبا ويسيطروا عليها ويستغلونها احسن استغلال لو كان هتلر يستحق الرحمة لترحمن عليه لكن قدره أنه مات دون أن يرى النور.

وتروى قصة مهمة فى هذا الشأن:

فقد كان أدولف آيخمان أيام هتلر خبيرا فى الشئون الصهيونية قبل أن يصبح رئيسا لقسم (اليهود) فى جهاز امن ألمانيا والرئيس الأول عن

معسكر أوشفيتز اكبر معسكر لاعتقال اليهود. آيخمان كان له دور فى تهريب بعض آلاف من اليهود عن محارق النازية (الهولوكست) وحين تشكلت محاكمة نورمبرج لمحاكمة مجرمى الحرب من الألمان فر آيخمان من براثنها بمساعدة المليونير اليهودى (كاستنر) وفى عملية تعتبر من ابرع عمليات الموساد تم إحضار آيخمان من الأرجنتين التى كان قد استقر فيها وغير معالمه وشخصيته وتكمن براعة العملية بأن الأرجنتين لم تعلم بها حتى أعلنت (إسرائيل) أن آيخمان تم القبض عليه.

بدأت محاكمة آيخمان وتعذر هو بأنه كان ينفذ اوامر هتلر وبأنه ساعد اليهود وهربهم ووقف بجانبه (كاستنر) اليهودى، لكن طلبه رفض وأيقن أنه سيلاقى مصيره فقرر قرارا استغربه اليهود طلب من اليهود أن يعتنق اليهودية وإن يسجل فى الاوراق الرسمية كيهودى!!!!

ولما سأله اليهود عن السبب الذى دفعه لاعتناق اليهودية اجابهم بأنه سيصرح بالسبب أمام وسائل الإعلام ووكالات الانباء ففرح اليهود وجمعوا له وكالات الانباء وانتصب آيخمان فى وقفة عسكرية وقال أمام عدسات الكاميرات:

"أردت اعتناق اليهودية ليس حبا فيها.. ولا حبا فى إسرائيل.. انما اردت بذلك أن اهتف لنفسى أن كلبا يهوديا قد أعدم ليدرك من سبقوه من الكلاب.. وأنه لكم يسعدنى قبل أن اموت.. أن اوجه رسالة اعتذار إلى الإسرائيليين.. تحمل كل ندمى وحرقتى.. وانا أقول لهم أن اشد ما يحز فى نفسى اننى ساعدتكم على النجاة من افران هتلر.. لقد كنت أكثر انسانية معكم.. بينما كنت أكثر خبثا وقذارة ايها الكلاب.. أن أرض فلسطين ليست إرثكم ولا أرضكم.. فما انتم إلا عصابة من الارهابيين

والقتلة ومصاصى دماء الشعوب.. ما كان لكم إلا الحرق فى افران هتلر لتنجو الأرض من خبثكم وفسقكم ويهنأ الكون بعيدا عن رذائلكم.. فذات يوم سيأتيكم هتلر عربى يجتث وجودكم اجتثاثا.. ويحرق عقولكم وأبدانكم بأفران النفط.. ايها الكلاب.. يؤلمنى أن اشبهكم بالكلاب.. فالكلاب تعرف الوفاء الذى لا تعرفونه.. لكن نجاسة الكلاب وحيوانيتها من ذات سلوككم.. اهنأوا ما شئتم باجرامكم فى فلسطين.. حتى تجىء اللحظة التى تولون فيها الادبار.. وتعلو صرخاتكم تشق العنان.. فتذوقوا مذلة النهاية التى لا تتصوروا أنها بانتظاركم وعندها ستكون الكلاب الضالة افضل مصيرا منكم".

بعد هذه الكلمة الصدمة على حقد اليهود فى قلوبهم السوداء فشنقوه ثم حرقوه فى فرن صنع خصيصا له ومن ثم طحنت عظامه ووضعت داخل علبة حديدية ورميت فى البحر على طريقة موسى حين رمى العجل المحروق.

آيخمان مثلنا جميعا كان يعلم أن نهاية اليهود على يد عربى وبالاخص هتلر عربى يجمع بين الكراهية المستحقة لليهود التى طالما برع فيها هتلر.

هتلر الذى يقول: "اليهود اسياد الكلام واسياد الكذب.. أن اليهود.. ذلك الجنس الحقير ليسوا سوى اعداء للجنس البشرى.. وهم سبب كل ما ألم بنا من بلاء ومعاناة.. لو تمكن اليهود من حكم العالم سينتج من ذلك خراب الدنيا.. لذلك أخذت عهداً من الله العلى أن أهب نفسى جهاداً ضدهم.. وقتالاً من أجل الله ضدهم".

عنى شخصيا لا اخالف هتلر فى أى عمل أو فكرة اتخذها ضد اليهود.. ورغم ما فيه من عنصرية وتطرف تعدت اليهود إلا أنها مع

اليهود اعتبرها قمة النجاح فكراهية اليهود امر لا يستغربه حتى اقرب الاقربين لهم.

فحين وُضع الدستور الأمريكى قال الرئيس الأمريكى (بنيامين فرانكلين) فى خطابه المشهور:

"إنهم طفيليات قذرة يعيش بعضهم على بعض.. (يقصد عمليات النصب والربا والسرقة) ولابد لهم من العيش بين المسيحيين وغيرهم ممن لا ينتمون إلى عرقهم، فإذا لم يُبعد اليهود عن الولايات المتحدة بنص الدستور فانهم سيتدفقون إلى الولايات المتحدة فى غضون مائة سنة وسيحكمون شعبنا ويدمروه".

ورغم مرور فترة من الزمن على ظهور كتاب "صناعة الهولوكست" للكاتب نورمان فنكلشتاين، فإن الضجة التى صاحبت ظهور هذا الكتاب لم تهدأ بعد. وبينما بدأت فى أوروبا الاحتفالات لاحياء ذكرى محرقة النازى، بدا وكأن الحديث الاهم المصاحب لتلك الاحتفالات هو الجدل الشديد الذى أثاره ومازال يثيره كتاب فنكلشتاين: فهو يفضح ممارسات المنظمات اليهودية والتى ـ على حد قوله ـ تاجرت بالآلام ومعاناة اليهود ـ بما فيهم ابويه ـ لتحقيق واشباع النهم المادى لديها.

"إسلام أون لاين" التقت بالمفكر الأمريكى وحاورته حول اسطورة الهولوكست والعلاقة "المقدسة" بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، وخدمة نفوذ اللوبى الصهيونى داخل الادارة الأمريكية.

ما هو الدافع الرئيسى وراء تأليف كتاب "صناعة الهولوكست"؟

الدافع بالاساس سياسى، فقد اردت القيام بقوة ضد المقدسات القائمة، ولأن القائمين على صناعة الهولوكست استغلوا معاناة الشعب

اليهودى؛ ليبرروا الاعتداءات الخطيرة على حقوق الانسان والتى تمارسها إسرائيل ضد الفلسطينيين. رأيت أن واجبى أن ارفض هذا الاستغلال السياسى لمعاناة اليهود بالمنطقة وتبرير افعالهم ضد الاخرين.

واردت كذلك تصحيح السجل الاكاديمى على محرقة النازى، الذى تم تزييفه بشكل كبير بواسطة القائمين على صناعة الهولوكست؛ وذلك لاشباع اطماعهم فى اموال التعويضات.

تبدو النقطة الاساسية التى يدور حولها الكتاب هى أن الهولوكست ما هى إلا بناء أيديولوجياً، هل لك أن توضح؟

فى نظرى تعود عملية بناء الهولوكست إلى اواخر التسعينيات، حيث تم وضع الهولوكست النازية فى اطار أيديولوجى لخدمة مصالح النخبة اليهودية الأمريكية، حيث سعت من خلال ذلك لتحصين اسرائيل ضد النقد. وقد تم تصوير وبناء الهولوكست أيديولوجيا من خلال عمليتين رئيسيتين: أولاهما، أن المحرقة النازية عمل متفرد بذاته فى التاريخ؛ والامر الثانى، هو أن المحرقة النازية تمثل خليطا من كراهية الاغيار والمسيحيين على وجه الخصوص لليهود، غير أن هذين الامرين لا يتمتعان بأى قيمة تاريخية على الاطلاق، وتكمن قيمتهما فى الناحية الأيديولوجية فقط.

وبالتالى، فنحن حينما نزعم بأن المحرقة النازية كانت امرا متفردا بذاته يمكن أن نستنتج إذن، أن الضحايا لابد من معاملتهم بشكل متميز، وبالتالى يمكن لهم الزعم بأن إسرائيل لا يجب أن يتم مساءلتها وفقا للقوانين والمعايير الدولية المتفق عليها، فإسرائيل لا يجب أن تخضع لقواعد الامم المتحدة؛ لأن العالم كله ـ وفق ما تمليه علينا اساطير

الهولوكست ـ ضد السامية، والعالم كله يريد قتال اليهود، وبالتالى لا يمكن استخدام تلك المنظمة الدولية ضدهم. مثل هذه النظريات استخدمت وتستخدم لحماية إسرائيل.

ولكن بعد أن شهد العالم عبر وسائل الإعلام المختلفة الأعمال الوحشية التى ترتكبها إسرائيل وآلة الحرب ـ الصهيونية ضد الابرياء من المدنيين فى الأراضى المحتلة هل ـ من وجهة نظرك ـ مازالت اسرائيل قادرة على تقديم نفسها فى صورة الضحية للارهاب العربى؟

بداية، أود أن اقول: أن ما تشاهدونه عبر الإعلام فى العالم العربى أو حتى فى أوروبا يختلف تمام الاختلاف عما نراه ونشاهده فى الولايات المتحدة الأمريكية. فمازال الإعلام هناك يجأر بالشكوى من أن إسرائيل تحت الحصار؛ فهى مازالت اسيرة اساطير المحرقة النازية التى تقول بأن العالم يتكاتف لقتل اليهود. ومهما اختلفت الصورة، فلن يفيد ذلك طالما ظل الاطار الاصلى الذى تتعامل من خلاله إسرائيل قائماً. حتى حينما تقوم إسرائيل، فالرد الوحيد فى الميديا الأمريكية سيكون بالطبع: "أنهم ضد السامية". إذن لا يوجد رد منطقى.

إذن برأيك هل هو اللوبى اليهودى الذى يروج للمصالح الإسرائيلية داخل الادارة الأمريكية، أم هى الولايات المتحدة التى تحاول حماية مصالحها فى المنطقة وتتخذ إسرائيل أداة لتحقيق ذلك؟

باعتقادى أن كلا العنصرين متواجدان فى هذه المعادلة، غير أنه فى الصورة الاكبر تظل هى الولايات المتحدة الأمريكية التى تسعى لحماية مصالحها من خلال إسرائيل. فإسرائيل قبل العام ١٩٦٧ لم تكن موضوعا ذا شأن بالنسبة للنخبة اليهودية الأمريكية؛ ولكنها

اصبحت كذلك حينما تحولت إلى حليف استراتيجى للولايات المتحدة.

ولكن كيف لك أن تفهم العلاقة بين النخبة اليهودية الأمريكية وإسرائيل؟

أستطيع القول بأن الولاء الذى تكنه هذه النخبة لإسرائيل هو ولاء براجماتى ونفعى؛ بمعنى آخر لو أن الولايات المتحدة الأمريكية قررت غدا قطع كل علاقاتها مع إسرائيل - وهذا فرض تخيلى طبعا - وإذا ارتأت أن إسرائيل لم تعُد الحليف الاستراتيجى الهام، فإن النخبة الأمريكية اليهودية ستفعل الشىء نفسه. وعلى سبيل المثال، هذه النخبة لم تُر أى جدل حول عملية اطلاق سراح الجاسوس "جوناتان بولارد"؛ لأنها تعلم تماما أنها لو فعلت ذلك لأدى الأمر إلى العديد من المشاكل، حيث أن العناصر الأمريكية فى النخبة الحاكمة ترى أن بولارد يستحق عقوبة السجن. ومن ثم، نرى النخبة اليهودية الأمريكية تبعد كلية عما يثير الجدل، وتحاول الدوران فى فلك المصالح الأمريكية. وهذا يوضح طبيعة العلاقة النفعية بين الطرفين، فهى ليست فقط الولايات المتحدة الأمريكية التى لديها علاقة نفعية بإسرائيل، بل أن اليهود الأمريكيين أيضاً لديهم علاقة نفعية مع إسرائيل.

ذكرت فى كتابك عملية المحرقة النازية التى قد تم تزييفها بشكل كبير؛ هل يمكن أن تفسر ذلك؟

لقد اخذت عملية التزييف اشكالا متعددة؛ أولها موضوع الارقام، حيث أنه لا يوجد خلاف كبير بين الأكاديميين حول العدد الذى راح ضحية المحرقة. فهو يتراوح ما بين خمسة إلى ستة ملايين، غير أن الوجه الآخر للعملة يتمثل فى عدد الناجين من محرقة النازية. فالقائمون

على صناعة الهولوكست ارادوا الحصول على تعويضات هائلة من أوروبا؛ وقد دفعهم هذا الجشع المادى إلى زيادة عدد الناجين. ولكن ارى هنا اننا إذا بدأنا فى زيادة عدد الناجين، فإننا بالتالى نقلل من عدد الضحايا - وبالتالى اصبح القائمون على صناعة الهولوكست هم انفسهم الناكرين للمحرقة، بما أنهم يقللون عدد الضحايا لزيادة عدد الناجين والحصول على الاموال. ثانياً: أن صناعة الهولكست تنفى ناحية مهمة من نواحى المحرقة النازية، حينما تزعم بأن الكثير من اليهود هم من الناجين؛ ومن ثم تنفى أن يكون قتل اليهود تم بشكل منتظم. ثالثاً: القول بأن المحرقة النازية توجهت بشكل اساسى ضد اليهود هو قول خاطئ؛ لأنه ينفى أن فئاتا اخرى تعرضت لنفس المصير مثل الغجر وهو زعم ينطوى على عنصرية شديدة.

هل هناك إذن طريقة لخرق الاجماع حول إسرائيل فى الولايات المتحدة؟

اعتقد أنه غير صحيح بأن الاجماع فى الرأى يتعلق فقط بإسرائيل، حيث يبدو لى أن هناك تقريبا اجماع على العديد من الموضوعات فى الحياة الأمريكية السياسية. فهناك موضوعات بعينها لا تخضع للنقاش. واما عن كيفية خرق الاجماع الحاصل حول إسرائيل فى السياسات الأمريكية، فرأيى أن هناك احتمالين لتحقيق ذلك؛ أولهما من القمة للقاع. وذلك إذا توصلت النخبة الأمريكية الحاكمة إلى قناعة ما بأن اسرائيل تشكل تهديدا أو خطرا لها، وهو امر مستبعد فى الوقت الراهن. ولكن لو افترضنا ذلك، فإن موقف الميديا سيتغير بسرعة، غير أن هذا الأمر كما ذكرت غير وارد الاحتمال.

ولكن الاحتمال الآخر يبدأ من القاع وينتهى بالقمة، حيث يتم تنظيم الناس مثلما فعل السيد "رالف نادر" والذى عمل على تعبئة الجماهير من خلال اجندة مختلفة تماما لتلك السائدة، والتى لا تخدم مصالح من هم فى السلطة ـ كما هو السائد الآن ـ وانما مصالح من ليسوا فى السلطة. هذا الأمر قد يبدو مثل "الكليشيهات"، غير أنه ليس كذلك. والآن لدينا طرق ووسائل مختلفة مثل الإنترنت، وهى لم تكن متوافرة من قبل. الطريق الوحيد لتغيير الاشياء هو فرض اجندة تؤدى إلى تغيير معادلة القوة حاليا. فحتى هذه اللحظة، تمارس الولايات المتحدة سياستها فى الشرق الاوسط بدون عناء أو تكلفة. ولكن حينما يتم فرض اجندة جديدة سيتعين بمقتضاها أن تدفع الادارة الأمريكية ثمن سياساتها فى منطقة الشرق الاوسط.

حاليا لا توجد معارضة من أى نوع للسياسات الأمريكية داخل اوساط النخبة الأمريكية ذاتها. اما إذا تكونت معارضة بشكل ما فإن التأييد السافر لإسرائيل سوف يتقلص؛ لأننى لا اعتقد أن داخل الاوساط الأمريكية الصرفة يوجد تأييد قوى وحازم لإسرائيل.

غير أن العرب لم يحاولوا على الاطلاق فرض اجندة مختلفة على المجتمع الأمريكى. وأنا ارى أنه بالإمكان فعل ذلك، العرب فقط لم يحاولوا على الاطلاق. والحديث عن اللوبى الصهيونى ذى النفوذ الشديد هو فى رأيى مجرد عذر اقبح من ذنب لتبرير الفشل العربى. هم دائماً يقولون اللوبى الصهيونى، ولم يحاولوا قط التعامل مع الشعب وليس الادارة الأمريكية. وفى اعتقادى أن بناء اجماع مضاد للاجماع السائد حول إسرائيل كان بإمكانه أن يحدث.

عموماً "اذا كانت الدعاية العربية المعادية لاسرائيل والمعادية لليهود اليوم تُشبه وبقوة دعاية الرايخ الثالث، فهناك سبب جيد وراء ذلك". هذا ما يقوله جويل فيشمان من مركز القدس للشؤون العامة فى بحث تاريخى نافذ البصيرة بعنوان "الأكذوبة الكبيرة والحرب الإعلامية ضد إسرائيل".

يبدأ فيشمان بملاحظة الوضع المقلوب للموقف، حيث يُنظر إلى إسرائيل بوصفها وحش مفترس خطير بينما هى تدافع عن مواطنيها ضد مخاطر الارهاب والحروب التقليدية، واسلحة الدمار الشامل. وجد مسح للرأى عام ٢٠٠٣ ?على سبيل المثال، أن الأوروبيين يرون أن إسرائيل تمثل "التهديد الاكبر" على السلام العالمى. كيف كان هذا القلب المجنون للحقيقة ـ الدولة الديمقراطية والحرة الوحيدة فى الشرق الاوسط يُنظر اليها على أنها تمثل الخطر الاكبر على السلام العالمى؟

جواب فيشمان يعود، ولا غرابة فى هذا، إلى الحرب العالمية الأولى، حيث يتزايد ادراك المختصين بمرحلة ما بعد الحرب الباردة لحقيقة أن أوروبا مازالت تعيش تحت ظل تلك الكارثة (الحرب العالمية الأولى)، سواء فى سياسة الاسترضاء والتنازل التى عادت من جديد أو فى مواقفها من ثقافتها وحضارتها. لقد كانت الحكومة البريطانية أول من استغل التقدم فى وسائل الإعلام الجماهير والاعلان لاستهداف كلا من حكومة العدو وسكانه المدنيين، على امل إعادة تشكيل وصياغة تفكيرهم.

كانت شعوب القوى المركزية (وهى دول ألمانيا والنمسا ـ والمجر والإمبراطورية العثمانية وبلغاريا التى كانت تحارب الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى ـ تستمع لرسائل صُممت بهدف تقويض واسقاط

حكوماتهم، بينما شعوب دول الحلفاء كان يتم تغذيتها بتقارير اخبارية حول الأعمال الوحشية للعدو، والتى كان بعضها محض افتراء وكذب. بشكل خاص، ادعت السلطات البريطانية بأن ألمانيا الامبريالية كانت تمتلك "مصنعا لتحويل الجثث البشرية" يستخدم جثث الموتى من جنود اعدائها لانتاج الصابون والمنتجات الاخرى. بعد انتهاء الحرب، وعندما عرف البريطانيون الحقيقة، تركت هذه الاكاذيب بقايا لما يُطلق عليه فيشمان "التشكك والريبة والخداع والمزاج العدمى الخاص بمرحلة ما بعد الحرب".

كان لحملة التشويه البريطانية هذه نتيجتان فادحتان كان لهما تأثير كبير على الحرب العالمية الثانية. أولاً، دفعت شعوب دول الحلفاء إلى التشكك فى وقوع الجرائم الوحشية التى ارتكبها الألمان فى حق اليهود، والتى كانت تشبه كثيرا الفظائع المختلقة التى نشرها البريطانيون، ولذلك كان يتم بانتظام تكذيب التقارير القادمة من المناطق التى كانت تحتلها القوات النازية. (يوضح هذا لماذا رتب دوايت دى إيزنهاور لزيارة معسكرات الاعتقال فور تحريرها، لشهادة وتوثيق حقيقتها. الثانية، لاحظ هتلر وباعجاب ما فعله البريطانيون وذكر ذلك فى كتابه "كفاحى" (١٩٢٥): "فى بادئ الأمر كانت ادعاءات الدعاية (البريطانية) صفيقة جدا لدرجة أن الناس نعتتها بالجنون؛ لاحقا، اصبحت مزعجة، وفى النهاية، صدقها الناس". بعد عقد من الزمان، تحول هذا الاعجاب إلى "الأكذوبة النازية الكبيرة" التى قلبت الحقيقة والواقع رأسا على عقب، تجعل اليهود هم المضُطهدون والألمان هم الضحايا. ثم قامت ماكينة دعاية ضخمة بغرس هذه الاكاذيب فى نفس وروح المتكلمين بالألمانية، وبنجاح عظيم.

كشفت هزيمة ألمانيا بشكل مؤقت كذب وافتراء مثل هذه الحيل التى قلبت الحقيقة. لأن بعض النازيين الهاربين حملوا افكارهم وانفعالاتهم القديمة المعادية للسامية إلى البلدان التى هى الآن فى حالة حرب مع إسرائيل وتحاول قتل سكانها اليهود. وجد آلاف النازيون مأوى فى مصر، وذهبت اعداد اقل إلى بلدان عربية اخرى، ابرزها سوريا.

يفحص فيشمان على وجه الخصوص حالة يوهان فون ليرز (١٩٠٢-١٩٦٥) عضو قديم بالحزب النازى، وصنيعة جوبلز، ورفيق عمر هيملير، ومدافع علنى عن سياسة ابادة اليهود. فى مقالة له عام ١٩٤٢ بعنوان "تناقض اليهودية والإسلام" يمتدح المسلمين لقيامهم "بخدمة ابدية تتلخص فى ابقاء اليهود "فى حالة من الخضوع والقهر والقلق والخوف". هرب فون ليرز هذا من ألمانيا بعد عام ١٩٤٥ وبعد عقد من الزمان ظهر فى مصر، حيث تحول إلى الإسلام واصبح مستشارا سياسيا فى وزارة الإعلام أو فى مكتب المعلومات والإعلام الخاص بناصر. هناك، يخبرنا فيشمان، "تبنى نشر طبعة عربية لبروتوكولات حكماء صهيون، واعاد إلى الاذهان مرة اخرى اتهام اليهود بالقيام بطقوس دينية يتم فيها ذبح الاطفال والتضحية بهم، وقام باعداد وتنظيم مواد اذاعية معادية للسامية وفى لغات عديدة، وزرع نازيين جدد فى كافة أنحاء العالم، وظل يراسل ويشجع الجيل الأول من ناكرى وقوع محرقة اليهود على ايدى النازيين.

أثبت مثل هذا العمل والتدبير قيمته بعد نصر إسرائيل التاريخى فى حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ والهزيمة المذلة لكل من الاتحاد السوفيتى وحلفائه العرب. أنكرت الحملة الدعائية السوفيتية العربية اللاحقة على إسرائيل حقها فى الدفاع عن نفسها وقلبت الحقيقة بالاستمرار فى اتهام اسرائيل بالعدوان. وبالضبط مثل تحليل هتلر فى كتابه "كفاحى"، إذا

كانت هذه الادعاءات الصفيقة فى بادئ الأمر يتم نعتها بالجنون، فى النهاية صدقها الناس.

بعبارة اخرى، ما نراه اليوم من جنون وتخبط سياسى يرتبط مباشرة بالامس. هل يمكن أن يكون بعض المعادين للصهيونية اليوم يشعرون بالخجل من إدراك أن افكارهم هى محصلة مكر وخداع هتلر وجوبلز وهيملير فى نفى وقوع المذابح العرقية والسلالية؟ هل يمكن لهم أن ينبذوا وجهات النظر هذه؟

■■■





أصدقـــاء هتلــر..
ومعاونـــو



جوبلــــز

قليلون هم الاشخاص الذين يرتدون عباءة الشر أو يسكنون معسكر الاعداء بالنسبة لك، ومع ذلك تجد نفسك مطالبا بأن ترفع لهم قبعة العبقرية احتراما، أنها الطبيعة الانسانية التى تجبرك على احترام وتقدير مكانة عدو أو لنقل شخصية اصابت العالم بالكثير من الشرور، بالضبط كما تحب محمود المليجى وتقدره رغم ادواره التى دائماً ما تفرض أن تخرج من دائرة الشر.

الاشرار المحبوبون فى العالم قلة وكلهم متشابهون، وقد يكون هذا الحب أو التقدير نوعا من الشفقة والعطف على ذلك الاخلاص وتلك العبقرية التى راحت فى غير فائدة، أو هى تلك الرغبة المكبوتة فى داخلك، والتى تقول "يا ليته كان معنا ده خسارة فيهم". نفس العبارة السابقة تنطبق بحذافيرها على "جوزيف جوبلز" مهندس الدعاية الألمانية والمسئول الأول عن (غسل هتلر بالشامبو والصابون)، وتحسين صورته وصورة ألمانيا النازية فى وقت الحروب هو واحد من هذه الشخصيات التى ترفع قبعتك لعبقريته وادائه فى العمل الدعائى.

الدكتور بول جوزيف غوبلز ٢٩ اكتوبر ١٨٩٧ - ١ مايو ١٩٤٥ - وزير الدعاية السياسية فى عهد أدولف هتلر وألمانيا النازية، وأحد ابرز افراد حكومة هتلر لقدراته الخطابية.

أبوه فريدريك جوبلز، المحاسب ذو الدخل المتوسط ووالدته ماريان جوبلز، وعندما تطوع فى الجيش الألمانى فى الحرب العالمية الأولى، تم رفضه لتسطح أخمص قدميه. وفى عام ١٩٢٢ انضم غوبلز للحزب النادى. والطريف أنه كان من المعارضين على عضوية هتلر فى الحزب عندما تقدم الاخير بطلب للعضوية إلا أنه غير وجهة نظره تجاه هتلر فيما بعد واصبح من انصاره بل وأحد موظفيه.

لعب جوبلز دورا مهما فى ترويج الفكر النازى لدى الشعب الألمانى بطريقة ذكية. وقبيل اقدامه إلى الانتحار وفى الفصل الاخير من الحرب العالمية الثانية عينه هتلر ليكون مستشار ألمانيا كما اتضح فى وصية هتلر الخطية إلا أن الحلفاء لم يعترفوا بوصيته بعد سقوط الرايخ الثالث. وفى ١ مايو ١٩٤٥ اقدم غوبلز على الانتحار مع زوجته واطفاله الستة، وتراوحت اعمار اطفاله بين ٤ و١١ سنة.

جوبلز الذى عاش على الأرض فى فترة السنوات التى تبدأ من ١٨٩٧ وتنتهى فى ١٩٤٥ واحد من الذين دخلوا إلى عالم الارهاب الفكرى بمقولته الشهيرة "كلما سمعت كلمة مثقف تحسست مسدسى".

عاد جوبلز إلى الحياة مرة اخرى من خلال يومياته التى أثارت العالم عندما كتبها واكتشفت بعد رحيله، واصبحت من اهم المناهج التى تدرس فى مجال الدعاية والاقناع فى العالم، عاد هذه المرة فى كتاب يحوى يومياته جمعها مجموعة من المؤلفين وطبعتها دار نشر فرنسية "تالابادية" لتتعرف على جوبلز واكاذيبه الدعائية، تعالوا نتصفح يومياته.

فى هذه اليوميات تتضح رؤية جوبلز لكل شىء، رؤيته لنفسه ولهتلر ولحلفائه واعدائه ولمستقبله وأحلامه، فقد كان واحدًا من الذين قالوا "لا" لهتلر فى البداية، ثم تحول ليصبح احد عبيده المخلصين؛ فجوبلز هو افضل من يقوم بهذا الدور، فقد قاد الهجوم النازى على العالم بمفرده.

شخص متميز ومعتز بموهبته بغض النظر عن اراء الاخرين، فحينما نشرت الصحف الانجليزية تصفه بأنه الرجل الاخطر فى العصابة النازية كتب فى يومياته يقول بأنه "فخور بمثل هذا المديح".

فالغرور صفة ملازمة لجوبلز، تظهرها يومياته بلا خجل، فهو يبدى سعادته بأنه الخبير الأول فى التضليل الإعلامى ويتفاخر بأنه قادر على تعبئة الجمهور وتعزيز معنويات جيشه ويتشهد فى قدرته على ذلك برأى هتلر فيه، فقد كتب فى احدى يومياته "كان الفوهرر هتلر يقبل بكل ما كنت اقترح عليه دون أى صعوبة".

ويكمل فى يومية اخرى، فيقول: "أنا سعيد جدا بثقة هتلر الكاملة بى، وإننى اتمنى أن اساعده فى جميع همومه الكبرى"، ويتفاخر فى يومية اخرى بأن هتلر كان دائماً ما يبدى سعادته واطمئنانه بوجود جوبلز بجواره.

هذا الرجل الذى كان يؤكد أنه كلما كبرت الكذبة كان سهل تصديقها، كان يعشق هتلر بجنون لدرجة أنه كتب فى أحد يومياته تعليقا على المحاولة الفاشلة لاغتيال هتلر يقول: "لقد انتابنى احساس اننى أمام رجل يعمل تحت حماية الآلهة".

وفى يومية اخرى، كان يقول: "خوفى الوحيد من هذه الحرب هو أن يحصل أى مكروه للفوهرر"، هكذا كان جوبلز يرى هتلر لدرجة أن يده لم

ترتعش وهو يقدم حبوب السيانيد السامة لاطفاله وزوجته؛ لأن هتلر اخبره بأن الانتحار افضل من أن يعتقله الروس.

جوبلز اظهر فى يومياته رؤيته لليهود، حينما كتب فى ١٤ مارس عام ١٩٤٥ يقول: "هؤلاء اليهود ينبغى ابادتهم مثل الفئران عندما يمكن عمل ذلك"، واضاف: "فى ألمانيا، تخلصنا منهم وللإله الشكر".

جوبلز أيضاً يرى الإيطاليين جبناء رغم أنهم حلفاؤه، فهم فى نظره "عصابة قليلة الشجاعة"، اما سياسة الإنجليز، من وجهة نظر اخلاقية تحتوى على قدر كبير من الخساسة".

لعب جوبلز دورا كبيرا للتخفيف عن هتلر، حينما حاول بصعوبة أن يزرع الامل فى قلب هتلر وفى قلب جيشه حينما كان يهاجم ستالينجراد، وأعلن مبادرته لاعادة تنظيم الوطن، ووضع مبدأ يعرف بـ (قيادة الحرب الشاملة)، الذى قام على اساسه بتوجيه كل جهود ألمانيا المدنية نحو الحرب.

وبالطبع لم ينس جوبلز أن يؤكد فى مذكراته أنه تواجد بجانب هتلر فى الوقت الذى كان كل من حوله شخصيات ضعيفة لا يمكن الاعتماد عليها فى الاوقات الصعبة.

ولهذا كان من الطبيعى أن يصف نفسه قائلاً: "لقد دقت ساعة الرجال ذوى التصميم الكامل والافعال التى لا نقص فيها، فمهما يكن الوضع صعبا يمكن الوصول إليه إذا جرت تعبئة القوى كلها".

هكذا كان يفكر جوبلز، وهكذا كان يدير ألمانيا وحملتها النازية، ولذا لا يستطيع التاريخ أن يسقطه من حساباته أبداً؛ فالتاريخ لا ينسى أبداً

رجل ضحك على العالم كله، واجبره على تصديقه وحرك الدنيا وفقاً لرؤيته هو..

قناة المجد الوثائقية اعدت محاكمة متخيلة تعتمد على حقائق تاريخية حول ما يتعلق بالزعيم الألمانى الراحل خاصة فيما يتعلق بجوبلز وزير اعلامه. هذه المحاكمة تضع الكثير من الحقائق والتفاصيل حول حياة الفوهرر. فلنترك الآن نص الوثيقة يحكى لنا ماذا جرى لمؤسس النازية ورائدها الاكبر.

المعلـــــــق:

هذا المعلق الاذاعى تابع مخلص من أتباع الفوهرر.

المعلق الاذاعى:

يتقدم وحيدا وبخطوات مدروسة لتحية الجماهير العريضة، أنه الفوهرر والقائد أدولف هتلر.

المعلـــــــق:

ابتدع المعلق اسطورة وصدقها بنفسه، عندما وجد الدكتور جوبلز العاطل عن العمل مثاله فى شخص هتلر، شعر بأنها دعوة لخلاص ألمانيا على يدى ذلك الرجل.

جوبلـز:

ورد فى مذكراته ما يلى:

السادس من نوفمبر تشرين الثانى عام ١٩٢٥ عيناه الزرقاوتين الكبيرتين، كأنهما نجمتان ساطعتان، إنه مسرور برؤية وسعادة تغمرنى، تقدم نحوى وصافحنى ثم تكلم نصف ساعة بكلام مفعم بالدهاء

والسخرية والفكاهة والرصانة والنار والشغب، يملك هذا الرجل صفات الملوك، إنه قائد المستقبل!

المعلـــــق:

إنه توق كبير إلى رجل قوى.. أنه الشوق إلى كلمات تنم عن القوة.

مـــــؤرخ:

كلماته ورغباته اوامر بالنسبة الينا نحن الألمان.. ينظر أتباع الفوهرر إليه كمصدر طاقة وقوة وثقة.. إنه رجل عظيم وجبار.

المعلـــــق:

رجل من هذا المستوى يحتاج إلى من يصنع له نجومية ذائعة ويتبعه من دون تردد أو تساؤل.

مـــــؤرخ:

اعتقد أن هتلر كان يقدر جوبلز تقديرا كبيرا بصفته واحداً من اخلص اتباعه واشتراكيا قوميا متفانيا، كما أنه كان وزير إعلام ناجح جدا لكننى لم أر قط مظاهر الصداقة أو التودد فى علاقتهما.

المعلـــــق:

كانا معا بمثابة القائد وتابعه، المعلم وتلميذه، عندما كان الدكتور جوبلز الصغير يخشى منافسة غرمائه له فى محبة الفوهرر، كانت بعض كلمات التشجيع

والمديح أو بعض التربيت على الكتف كافيا لادخال البهجة إلى قلبه.

هتلـــــر:

أود اليوم أن اتقدم بالشكر إلى الدكتور جوبلز، فمنذ عشر سنوات سلمتك علما، فرحت ونصبته فى عاصمة الرايخ وجعلته راية الأمة فى برلين.

المعلـــــق:

فى تشرين الثانى نوفمبر من عام ١٩٢٦ كان هتلر قد ارسل جوبلز إلى عرين الاسد إلى برلين الحمراء، حيث كان الحزب الاشتراكى يتضاعف عدده شيئا فشيئا وأوكلت إلى جوبلز مهمة الاستيلاء على السلطة، رأى جوبلز القادم من منطقة راين لاند تلك المهمة فرصة العمر فشرع فى العمل بطموح وليونة ومن دون أى تحفظ، فجل ما اراده من عمله هو لفت الانظار.

مـــــؤرخ:

كان يتصرف وكأنه بطل الشعب، كان هزيلا وقصير القامة وكان رأسه كبيرا وغير متناسق مع بقية جسده، اما فمه فكان غريبا وكأنه يشطر وجهه إلى شطرين ولاحظت أنه كان يمشى كالدمى المتحركة آنذاك.

المعلـــــق:

أكب جوبلز بسرعة فى العمل على الحملة لكنه كان متصلبا بعض الشىء وهو يلقى خطبه.

جوبلـــــز:

لقد غرقت الأمة بأسرها فى اليأس، وما كانت ألمانيا لتستمر حتى اليوم لولا جهودنا الحثيثة.

المعلـــــق:

أصر على شن حملته من خلال صحيفته المسماة "دير أنجرف".

مـــــؤرخ:

كانت صحيفة دير أنجريف مروعة ومخيفة، فقد كانت تنشر الاكاذيب على انواعها، لكن بعض الناس صدقوا ما ورد فيها وكانت تلك طريقة جوبلز فى اجتذاب جزء كبير من الطبقة الوسطى وبعض مما يسمى البروليتاريا أو الطبقة العاملة، علم جوبلز أن عليه اللجوء إلى الارهاب لكى يسيطر على الشارع كليا.

المعلـــــق:

عناوين الصحف، عصابات المجرمين، التهديد والترهيب، العنف وإثارة الرأى العام، كان جوبلز يرحب باخبار الخسائر البشرية واخبار الموت، استعمل الموت كسلاح اعلانى.

مـــــؤرخ:

نحن الألمان قد لا نفهم الحياة جيدا، حضرت عددا من تلك الجنازات بما فيها جنازة "هورست فيسل"، كانت وفاته مثالا واضحا على ما يستطيع فعله مروجوا الدعايات، صور هورس فيسل بصور ابن رجل

دين وطالب خلوق وصاحب مثل عليا، حارب في سبيل النازية وألف نشيدا وطلب من قومه انشاده، لقد نسج أسطورة هورست فيسل بنفسه ودامت حتى تاريخ الانهيار.

المعلـــق:

على وقع الاناشيد الحماسية سارت الجمهورية كلها نحو دمارها.

مـــؤرخ:

بعد عام ١٩٣٣ تحول هذا النشيد إلى اهم الأناشيد الألمانية، كان على الناس إنشاده بكل احترام وتقدير، والذى لا يلقى التحية يتعرض للإساءة، وإن ألقيت التحية وعرفوا أنك غير آرى تعرضت للإساءة، كان الوضع صعبا ازاء العلم والنشيد.

المعلـــق:

سكب المحرضون على الثورة والشغب الزيت على النار التى أضرمها مجهولون من ذوى القمصان البنية فى ارجاء ألمانيا.

صحفيـة:

كنا قد قرأنا فى كتب التاريخ عن أعمال مثل هذه جرت فى القرون الوسطى ولكن لم نتخيل حدوثها فى زماننا هذا، ظل وجه جوبلز يتغير على ضوء هذه النيران لكن ليس إلى الافضل، كان يبدو قاسى القسمات معظم الاحيان، رحت أتساءل عن هوية

جوبلز الفعلية، هل كان صحفيا لم يعثر يوما على وظيفة مناسبة؟ أم كان كاتبا لقيت كتبه الرفض؟ وتساءلت بصفتى صحفية، أن كان قد ولد يوماً صحفياً فاشلاً أو كاتبًا فاشلاً فوقف وأضرم النار فى كتب منافسيه، كان ذلك نصرا للدكتور الصغير، اراد أن يثير كراهية الناس واعتقد أنه كان مؤمناً بقوة الكراهية حتى فى حياته الشخصية، لم يحب جوبلز الناس كثيرا.

المعلــــــق:

كان يحذر اليهود حذرا شديدا وما أن امتلك السلطة حتى سعى لوضع حد لتحركاتهم المضرة بألمانيا.

جوبلـــــز:

بدأ الحظر فى تمام الساعة العاشرة ويتم تطبيقه بالقوة المركزة وبانضباط كبير.

المعلــــــق:

جابه جوبلز اليهود واظهر فسادهم فى البلاد وكان هذا بعض ما اوضحه لابعاد خطرهم المحدق بالرايخ، رأى الألمان النظام الجديد بألوان زاهية وقام جوبلز بإعادة تمثيل عملية الاستيلاء على السلطة فى دور السينما، كانت تلك واجهة ليس إلا..

أنشأ وزارة الإعلام الجديدة، كان هذا المقر الرئيس لعمليات غسل الأدمغة والتعبئة الجماعية، من هنا

اطلق حملة دعائية لا مثيل لها اكتسحت البلاد كلها، كانت التقنية المستعملة جديدة، اما الرسالة فقد كانت وحشية، كانت تلك السيطرة المدروسة.

مـــــــؤرخ:

هذا سر الدعايات، إنها تتوخى ملء عقول مجموعة من الناس بافكار اعلامية من دون أن ينتبهوا لذلك، بالطبع لكل دعاية هدف ولكن يجب أن يكون الهدف ذكيا ومخفيا بشكل لامع بحيث لا يلاحظها الناس الذين سيتأثرون بها.

المعلــــــــق:

هنا جند حاكم الصحافة عملاءه وأطاعوه طاعة عمياء.

صحفــــــى:

فى الواقع كنت اشعر بحرية نسبية لكن المستغرب فى الأمر هو اننى عندما أقرأ اليوم المقالات التى كتبتها آنذاك أفاجأ بالاسلوب المنضبط الذى اتبعته فى كتابتها وكأن عقلى كان فى حالة تأهب بانتظار تلبية الاوامر.

جوبلـــــز:

بتبصر وحكمة تمكنا من تهذيب عقول الصحفيين الألمان، فحينما تجىء المواقف الحرجة لا نضطر إلى اصدار الاوامر فكانت إشارة بسيطة منا تنبىء الصحافة بأنه لا مجال للنقاش.

المعلـــــق:

نتيجة لذلك اصبح الصحفيون معلنين مخلصين للدكتاتورية وكانوا يتوقعون خطوات الحزب بكل انصياع.

مــــــؤرخ:

ترى لماذا يجرى استفتاء جديد للرأى؟ فالجميع يعرف أن الشعب الألمانى يؤيد الحكومة الاشتراكية.

المعلـــــق:

كانت الصور أكثر الادوات التى استعملها فعالية، نرى هنا أشرطة بطول كيلومترات وهذه هى تركة جوبلز الحقيقية، الصور التى اراد اعماء بصيرة الناس بها.

صفوف من الناس، صور عن تعاضد الألمان، إنه القانون والنظام فى عالم غارق فى الفوضى، وهذه كانت الوعود التى اوحت بها هذه الصور، صور الرايخ الثالث وكأنه اجازة وطنية دائمة.

ركز على المشاهد الاستعراضية والمواقع المميزة، وها هو مدير التشريفات بين أتباعه، كان صانع الاراء يراقب تقلب مزاج الشعب، وكانت تلك فكرته حول استفتاء الرأى العام، كان العمل مقترنا باعمال العنف.

لم يخجل الوزير من عدد أسرته الكبير، فقد استوفى العدد المطلوب منه، كانت أسرته مثالية كما تظهر فى الإعلام.

اجتاز هذا الدكتور المتواضع شوطا كبيرا، واراد أن يعرف الجميع ذلك، كانت أسرته أسرة نموذجية فى

الرايخ الثالث، كانت زوجته "ماجدة" ابنة عائلة مرموقة، كانت زوجة ممتازة، وعضوا مخلصا فى الحزب، كان الزوجان يروقان هتلر كثيرا، يا له من زوج مثالى، كان يلعب دور الرجل المثقف وزوجته إلى جانبه، واستمتع بكل ما تمنحه إياه السلطة، فكان يحيط نفسه برموز الرقى والثراء فى الثلاثينيات، ومن بينها مركب كبير، حتى أنه قال بنفسه أنه باهظ الثمن.

كان الدكتور المحب للترف يهوى السفر إلى إيطاليا ومثل دولة هتلر فى بلاد الدوتشى واعتبره مثاله الاعلى، كان لا يود أن يعين وزيرا للخارجية، لدى عودته إلى الوطن قدمت اليه مدينة برلين قصرا ريفيا تكفلت استوديوهات يونيفرسال باعمال الترميم، ولم يكن فى الأمر أى فساد فقد اعتبر القصر عربون احترام وتقدير له، اصبح هذا منزل العائلة، منزلا بلا رب منزل، فقد كان يضع واجباته تجاه الأمة فى المرتبة الأولى، لكنه كان يظهر أمام المجتمع بصورة رب عائلة سعيدة.

مـــــؤرخ:

كان يعشق أولاده وهم يبادلونه العشق، وكان يلعب معهم بشغف، مما أثار إعجابى ودهشتى، فى رأيى كانت حياتهم العائلية مثالية.

المعلـــــــق:

ولكن غـالبـا مـا كـان الزوج المثـالى مـتـغـيـبـا عن المنزل ويلاحق النسـاء الاخـريات، وكـان من عـادة جـوبلز أن يطلق على تصرفات اسماء وعناوين رنانة.

جوبلــــــز:

لسنا زائفين بل نحن شعب النهضة ونريد أن نفسح للنهضة التعبير عن نفسها.

المعلـــــــق:

كان يقضى على كل من يقف فى وجهه، كان قد اصيب بمرض عظمى فى طفولته أدى إلى شلل ساقه اليمنى واستثنى بالتالى من صفوف الجنود الاقوياء البنية، لكنه كان يكره النقصان ويطلب الامتياز فى كل شىء.

مـــــــؤرخ:

فى الحقيقة لقد ادت معاناته فى طفولته بسبب العجز الجسدى، إلى ايجاد عجز فى شخصيته، فقد كان يسعى دائماً للثأر، وللرد على خصومه لا يسامح ابدا، بل يضمر الحقد على اعدائه مدة طويلة.
بالمختصر كانت لديه مواصفات سلبية كثيرة، أعزوها إلى تجارب طفولته الصعبة، وكانت علاقاته بالنساء متأثرة تأثراً بالغاً بتجارب طفولته، اصابه الأمر بالإحباط فلم يعد يتلقى دعوات إلى المستشارية، وراح الفوهرر يتجاهل وجوده، وفى الحقيقة لقد رأيت آنذاك كيف كان رهن إشارة أو اتصال من هتلر وكأنه

أدمن الانصياع له وتلقى أوامره، كان يتوق إلى تجديد طاقته، واستمدادها من الفوهرر.

المعلـــــق:

حانت فرصته بشكل غير منتظر فى تشرين الثانى نوفمبر من عام ١٩٣٨ فقد كان المقاتلون القدامى متجمهرين فى شوارع ميونخ احتفالا بذكرى فشل تمرد هتلر، وورد عندئذ خبر اغتيال دبلوماسى على يد يهودى متعصب.

جوبلـــــز:

وجد جوبلز فرصة لكى يلفت الانظار اليه، ولكى يثير اعجاب الفوهرر أعلم جنوده فى برلين وهم أدرى بوسائله، فقد تعاون معهم للسيطرة على برلين، أمرهم بالنزول إلى الشوارع أراد أن يبرهن أنه مثابر وملتزم كليا، وراح يدفعهم لاستنكار ما حدث فى برلين.
فى العاشر من نوفمبر تشرين الثانى عام ١٩٣٨ حضرت احتفال الحزب فى دار البلدية كان اجتماعا هائلا عرضت فيه الوضع على الفوهرر، قرر أن يدع التظاهرات مستمرة وأن يسحب الشرطة من بين المتظاهرين، كان قراره حكيما.
وجهت الاوامر تلك إلى الشرطة والحزب ثم تحدثت باقتضاب إلى قادة الحزب، كان التصفيق مدويا سارع الحضور إلى الهواتف، سيبدأ الناس الآن بالتصرف، كنت اهم بالعودة إلى الفندق عندما رأيت أن لون

السماء يميل إلى الأحمر، كانت الإطارات تشتعل فى الشوارع، أطفأنا النار حيث كانت تهدد المبانى وتركناها مستعرة فى الاماكن الآمنة، كنت اقود سيارتى عائدا إلى الفندق وسمعت حثيث الحرائق.

المعلـــق:

كان بارعا فى إثارة غضب الجماهير والشعب، وصنف نفسه كأكثر من يتحكم بعاطفة الجماهير.

مـــؤرخ:

أيقن هتلر وجوبلز أن هناك مؤامرة يهودية تحاك فى ارجاء العالم، كان اليهود جزءاً من المحرضين ضد ألمانيا، كان ذلك واضحا منذ البداية، قال أنه يسعى لتحييد اليهود ومن الخطأ ألا يأخذوا اعلانه على محمل الجد، وفى احد خطابات جوبلز قال: "الإعلام اليهودى - وكان هو رئيس الدعاية - يجعلنا محط سخرية وأعدكم بأن الوقت سيحين وسوف نوقف أعمال اليهود المحرضة والمستغلة".
هل كان ذلك إعدادا لمشروع مخطط له؟ لست أعلم، عليهم أن يتوخوا الحذر سنقفل أفواه اليهود الكاذبين والمدعين.

المعلـــق:

كان هذا المحرض ضروريا جدا لقائد الدولة، كما أن هتلر كان يحتاج إلى إسكاتهم لخوض الحرب، إلا أن هتلر لم يطلعه على خطط الغزو التى يضعها، شهدت مدينة

برلين اكبر استعراض عسكرى على الاطلاق، وسافر الوزير إلى الخارج ليؤدى دور الساعى إلى السلام.

جوبلـــــز:

أنا مقتنع تماما بوجوب الحفاظ على السلام فى أوروبا، كما أننى مقتنع أيضاً بأن الحرب ستنزل بالحرب خرابا كبيرا، ومهما كانت نتيجتها النهائية فلن يجنى منها المنتصر والمغلوب إلا الدمار والمصاعب.

المعلـــــق:

أصعب ما تعرض له عند بداية الحرب هو تراجعه إلى المركز الثالث، اجتاح جيش هتلر بولندا ورافق جوبلز الاجتياح بالأناشيد الثورية والعبارات النارية.

جوبلـــــز:

هذا ما يحصل عندما تبدأ القوات الجوية الألمانية هجومها، وهى لن تتوانى عن ضرب كل المدنيين.

المعلـــــق:

كان الأبرياء أول من تلقى الضربات، وأعجب المحارب المقعد جوبلز بأنهم يعالجون الوضع مباشرة وفورا من دون الاهتمام بالسمعة أو بالرأى العام الدولى، وخلال احدى رحلاته إلى بولندا راح يبحث عن تأكيد ومصداقية على حقده العنصرى.

جوبلـــــز:

فى الثانى من نوفمبر تشرين الثانى عام ١٩٣٩ قمت بجولة فى الأحياء اليهودية خرجنا وتفحصنا كل شىء

عن كثب لفتتنى شدة عنصريتهم مهمتى هذه ليست إنسانية بل استطلاعية يجدر بنا أن نجد حلاً يبعد تسلط اليهود.

مــــــؤرخ:

عرضت فى نشرات الاخبار صور لبولنديين يهودى القسمات فى نهاية عام ١٩٣٩ أو فى مطلع عام ١٩٤٠ عندما انطفأت الأنوار بعد احد تلك الافلام قال أنه لا يعرف ما قد يفعله فى حال عاد هؤلاء اليهود وفى حال خسرنا الحرب، لم يجرؤ على التفكير فى ذلك، كنت افكر فى الأمر مع زوجتى أحيانا، وقلنا أننا قد ننتحر فى حال حصول ذلك، كان شديد الحذر منهم، ويقول: "أنظروا اليهم وجوههم وجوه مجرمين" وكان يقول ذلك بحماسة غريبة.

المعلـــــق:

كانت افلام جوبلز تظهر حقد هؤلاء اليهود، كانت تلك صور العدو، وهؤلاء هم الإبطال العم روميل واسرته كان جنرالا عصريا يسعى لتحقيق نجاح مهنى تماما كجوبلز، كان جوبلز أول من اعتبر روميل مثالا اعلى، فالنصر افضل وسيلة ترويج وإعلام، تلاشت شكوك جوبلز بشأن الحرب على جبهتين، فقد بدد إيمانه العميق بعبقرية هتلر كل الشكوك.

لعب هذا المدنى الذى لم يخدم قط فى الجيش دور القائد، اراد أن يكون أكثر تطوعا وشجاعة من الجنود

انفسهم، وحاول فى الحرب العالمية الثانية أن يعوض ما فاته فى الحرب الأولى، وحانت اللحظة المطلوبة فى حزيران يونيو من عام ١٩٤١ فقد تم تبليغه بخبر الهجوم هذه المرة، كان قد اعد نشيده هذه المرة، وسُمح له باعلان الحرب وغزو الاتحاد السوفيتى، زعم هتلر أن موسكو تتآمر مع بريطانيا على ألمانيا، وشن بذلك حرب ابادة مقنعة على أنها حرب فى سبيل الحرية. كان جوبلز فى احسن احواله راح يبيع صحيفة أنجريف كتدبير احترازى، ولم يسمح للحقيقة أن تشوه قصة جيدة من قصصه الزائفة، حملة الحقد الواسعة التى شنها الدكتور جوبلز اظهرت وجهه الحقيقى وشخصيته المعقدة والمخيفة.

جوبلــــــز:

سوف توجد الاشتراكية القومية اطارا جديدا وحديثا للحضارات فى أوروبا، اما البلشفية فهى ليست سوى اعلان حرب يقوم به قوم سفلة بقيادة اليهود ضد الحضارات نفسها.

المعلـــــق:

كان ذلك الرجل يقتل بالكلمات، قام بزيارة تفقدية إلى معسكر للاجئين، ما كان ليعرف التغاضى والتساهل، وظل على الرغم من اندلاع الحرب يحاول ابعاد خطر اليهود المستحكم.

مــــــــؤرخ:

كنت اسير فى الشوارع مزهوة، ولم اشعر اننى مهددة كونى يهودية، كان الأمر صعبا لاسيما أن بعض الناس كانوا حذرين منى، وكان هناك من ينظر إلى بعطف، وكان بعض الناس فى القطارات المزدحمة يعطونى اشياء لا يسمح لليهود بشرائها، كانت تلك شارة مميزة، مر اليهود فى مثل هذا الأمر فى القرون الوسطى، اعتقد أن اوامره تعود بجزء كبير إلى تطلعاته الخاصة، كما أنها تلفت الانظار اليه، ما كان ليلفت اليهود بما كان يعده قبل أن يبلغ السلطة التى يريد.

مــــــــؤرخ:

كان جوبلز يعلم جيدا اين ستنتهى رحلات اليهود، كان قد اطلع على خطط هتلر ووافق عليها.

السابع والعشرون من مارس آزار عام ١٩٤٢ يتم ترحيل اليهود إلى الشرق من مناطقنا فى بولندا، لن اضف هنا الوسائل التى نلجأ اليها، لكن يمكننى القول أنه لا يتبقى من اليهود إلا القليل فى النهاية، يمكن القول أن علينا أن نتعامل مع اليهود بحزم وشدة كونهم يتعاملون بعدائية مع النظام، وهذا عقاب يتلقاه اليهود قد يكون قاسيا لكنهم يستحقونه.

مــــــــؤرخ:

لا أعتقد أنه كان ينوى جعل اليهود مواطنين من الدرجة الثانية، بل اراد أن يردعهم بالكلمات.

المعلـــــق:

مع تحـول مـسار الحـرب أخـذ الألمان يسـتبـدلون قـوة السلاح بقوة الكلمة، وبعد معركة ستالينجراد اصبحت العبارة الاكثر ترديدا فى افواه القادة الألمان الاستعداد للتضحية، وكانت الرسالة شاملة من جميع النواحى.

جوبلـــــز:

ان اليـهـودية لهى مـرض فـتـاك ومـعـدٍ وألمانيـا غـيـر مستعدة للانصياع للتهديدات اليهودية، لا بل تتخذ التدابير والخطوات اللازمة لابعاد خطر اليهود.

المعلـــــق:

اعـتـرف جـوبلـز بوجـود خـطـر يشكله اليـهـود، كـان ذلك خطاب جـوبلز فـى قـصـر الريـاضـة، اراد نيل تـأييـد الشـعب للحـرب الشـاملة على الجبـهـة المحلية ايضـا، وكان يتمرن على خطاباته بدقة وطوال ساعات عدة، لكى يجن جنون الجماهير ويثور غضبهم.

جوبلـــــز:

يقـول البـريطانيـون أن الألمان يعـأرضـون الخطـة التى وضعتها الحكومة لشن حرب شاملة، يقولون: إنكم لا تريدون الحرب الشاملة بل الاستسلام.

مـــــؤرخ:

كان قـد حـرك مشـاعـر جـمهوره بروايات حـول الاذى الذى يتـعـرض له النسـاء والاطفال الألمان والمؤسسات الألمانيـة، ووصف القنابل التى تتسـاقط على الأرض

الألمانية، وكان من شأن ذلك أن يثير سخط الجمهور، فأخذ يطرح أسئلته ويجيبه الجميع، وهنا افلت الوضع عن زمام السيطرة.

جوبلـــــز:

هل تريدون حربا شاملة؟

مـــــؤرخ:

كنا مذعورين تماما، فقد جن جنون قصر الرياضة، حماسة ردا على سؤال هل تريدون حربا شاملة؟ كانت تلك تجربة مروعة، ووقفنا هناك مصدومين من شدة الذعر، وقال لى احدهم، عليك أن تصفقى، عليك أن تصفقى.

جوبلـــــز:

هل تريدونها أكثر شمولية، واوسع نطاقا مما هى عليه اليوم؟

مـــــؤرخ:

لم أستطع أن افهم، كيف يعقل أن تكون الحرب أكثر شمولية مما كانت عليه، أيعنى ذلك اننا لن ننام ولن نأكل أبداً؟ هل كان يجب أن يُقتل الجنود والمدنيون كلهم؟

جوبلـــــز:

انهض أيها الشعب وهب كالعاصفة.

المعلـــــق:

قال جوبلز تلك الليلة لو أمرتهم بالقفز عن سطح مبنى شاهق لما ترددوا أبداً، وسرعان ما اكتشف الناس معنى الحرب الشاملة.

لم يكن فى وسع احد التهرب من الانخراط فى الحرب، كانت العاصفة النازية قد أرجعت إلى مصدرها الاساسى منذ فترة طويلة.

كانت المدن الألمانية مدمرة، وكان هو يزداد تألقا،فهو يسطع خلال الأزمات، وكان يجيد تحريك العقول وتجنيد القوات، لم يستطع أن يعد بالانتصارات، ولكنه كان يحث الجنود والشعب على الصبر والثبات. تجرأ أخيراً على الظهور فى الشارع خلافا لهتلر، وراح جوبلز يزرع فى القلوب أملاً بحصول معجزة، كان يشك بإمكان الفوز بالحرب فهى لم تكن شاملة كفاية فى نظره، وكان القائد الاعلى يغفل الخطط التى يقدمها اليه مخططه الاستراتيجى الهاوى.

مـــــــؤرخ:

كان تأثير جوبلز ضئيلا كان يذهب إلى مقر الفوهرر حاملا خططا كبرى، ولكن سرعان ما يلبث أن يعود بها جارا خلفه اذيال الخيبة.

لكنه كان يتشوق دائماً إلى معاودة نشاطه واسترجاع حماسته والحق أن دورن كان اقل شأنا مما ظن كثيرون، تغير دوره بسرعة بعد محاولة اغتيال هتلر.

طمس جوبلز الانقلاب بقسوة بالغة فى برلين، واستعاد بذلك محبة هتلر وتودده، وبصفته المسؤول العام عن التعبئة للحرب الشاملة امر جوبلز رجاله بتمشيط ألمانيا بحثا عن مزيد من الرجال وارسالهم

إلى الجبهة، وتمكن من تحقيق ذلك قبيل النهاية، كانت تلك آخر محاولاته لانقاذ الرايخ المحتضر.
كبار السن، والفتيان، أخيراً بات فى وسعه أن يكون جنديا ايضا، لكن الترسانة كانت فارغة، وحلت الاكاذيب محل الاسلحة المدمرة.

جوبلـــــز:

ان الكتائب التى قامت بالهجمات البسيطة حتى الآن ستتهيأ بالقيام بهجمات كبرى فى الاسابيع المقبلة، وستخوض المعركة كما لو أنها تقوم بواجب الصلاة، وستعلو من حناجر جنودنا صرخة انتقام ستهد جبروت العدو وتضعفه.

شاهد عيان:

كنت اعود بعد سماع الخطابات مقتنعا بأننا سنفوز بالحرب، كنت اشعر بثقة زائدة، كان يكرر الاقوال التى سمعناها من قبل فى شبيبة هتلر أو خلال الاجتماعات، كان يؤكد كل شىء، وكنت اصدق اقواله، لأنها صادرة عنه، كنا جميعا سذجا فى هذه الناحية.

المعلـــــق:

ظل يكرر كلمات التشجيع حتى النهاية، وقام بزيارة إلى الجبهة فى لوبانيا.

مـــــؤرخ:

كنا نتوقع اداء مميزا من جوبلز، والمهم فى الأمر هو أن هذا الرجل كان ذكيا جدا، ولم يستعمل كلمة النصر النهائى قط.

المعلـــــق:

كانت الكذبة مبطنة بالحقيقة لكى تبدو معقولة.

مـــــــؤرخ:

كان يكرر دائماً أن علينا تقديم التضحيات، والقتال حتى النهاية، وهو لا يستطيع أن يعدنا بشىء، أو أن يضمن لنا الفوز، أهو هذا الجنون أولئك الذين لم يعرفوا شيئا آخر فى حياتهم، لقد استغل ثقتهم اشد استغلال.

جوبلـــــز:

لا يمكن تدمير ألمانيا ولا سحقها، فرجالها ونسائها واطفالها كلهم ابطال.

مـــــــؤرخ:

كان يشجع الأولاد فى النهاية على التضحية كان رجلا قاسيا وعديم الرحمة، ويقع جزء كبير من الذنب عليه، فلو لم يكن مروجا بارعا للدعاية والاخبار، ولو لم يغسل ادمغة الناس بافكاره لكان بعضهم أكثر انتقادا له.

صور صورة مخيفة للحياة فى حال خسارة الحرب، واقنع الناس بأنهم سيصبحون عبيدا تحت سيطرة الروس والأمريكيين والبريطانيين، وقال: "إننا لم ننال حقنا فى الوجود والعيش لذا كان علينا أن ندافع عن انفسنا"، كانت تلك طريقته فى تغذية صفوف الجنود بالرجال والفتيان.

المعلـــــــق:

الدمار الشامل، وأطاله أيضاً بالكلمات.

جوبلـــــــز:

نفضل العمل حتى ترشح الدماء من ايدينا، وإن نقاتل حتى آخر نفس على أن نسمح للعدو باحتلال الأراضى الألمانية وفرض ارادته علينا، برلين الآن فى الجبهة الأمامية إذ يحيط المغول بجدران مدينتنا وعلينا ردعهم بالقوة، علينا وقف الاجانب أو اعدامهم، سوف اقبع فى برلين مع موظفى، زوجتى واولادى هنا ايضا، وسيبقون هنا.

مـــــــؤرخ:

كان قد بدأ خطابه منذ خمس دقائق، عندما سقطت قنبلة فى الحديقة، كان الانفجار مدويا وعنيفا، فتحطم الزجاج فى غرفتى وتناثر على المكتب، كما تصدعت الجدران لقد رأيته يحمل اوراقه بيده اليسرى ويتابع خطابه، فيما راح يزيل الشظايا والزجاج عنها بيده اليمنى، لم يتزحزح تركيزه ولو قليلا.

المعلـــــــق:

دخل جنود ستالين قلب برلين، وفى قبو هتلر كان جوبلز اقرب ما يكون إلى معلمه، كان يصر على اللحاق به إلى قبره.

السيدة جوبلز:

دخل جوبلز فجأة وأذهلنى مظهره، فقد كان شاحبا وعيناه تترقرقان بالدمع، اقترب منى فلم يكن هناك

احد غيره وقال لى "طلب منى الفوهرر أن أتركه، يريد منى أن امكث فى برلين لأتولى منصبا فى الحكومة الجديدة، لا يمكنى أن افعل ذلك".
كان فى حالة يأس كامل، لأنه اعتبر نفسه اصدق اتباع هتلر، وما من شىء يعبر عن صدقه واخلاصه لقائده إلا الموت معه.

المعلـــــق:

ادى ذلك إلى جريمة قتل شنعاء، فقد طلب جوبلز احضار اولاده من المنزل إلى القبو.

مـــــؤرخ:

لا يمكننى أن أنسى ما حدث، سار سخطنا جميعا عندما علمنا أنه ينوى ابقاء اولاده فى برلين، راحت النساء والموظفون يرجون السيدة جوبلز أن تنقذ الأولاد، ثم حان الوقت المحدد وهيأت السيدة جوبلز اولادها للموت، لا اعرف إن كان عملها شجاعة ام جنوناً!!!..

رودولف هيس

رودولف هيس هو القائد النازى الوحيد من قادة الرايخ الثالث الذى لم يعلن تنصله من فترة الرايخ الثالث والنازية، ولم يعلن مهاجمته للفوهرر هتلر اطلاقا - باستثناء القائد جوبلز طبعا الذى ظل على وفاته حتى آخر لحظة فى حياته أيضاً للفوهرر - بل أنه حتى عند صدور الحكم عليه من محاكمة نورمبرج الشهيرة بسجنه مدى الحياة عام ١٩٤٦

بتهم الاشتراك فى الاعداد للحرب العالمية قد وقف بالثبات النازى المعروف والقدير وقال كلماته الشهيرة:

"إننى سعيد لكونى اعرف الآن أنى قد أديت واجبى تجاه شعبى وواجبى كألمانى مخلص وكوطنى اشتراكى مطيع لقائدى العظيم، وإننى لست نادما على أى شىء فعلته وإذا ما عادت الساعات للوراء فسوف اتصرف تماما كما تصرفت حتى وأنا اعلم أن نهايتى هى الاكتواء بالنيران حتى الموت".

ورغما عن السنوات الطويلة التى قضاها هيس فى السجن - سجن شباندوا - إلا أنه لم ينطق بكلمة واحدة تنتقص هتلر فقد كان شديد الاخلاص للفوهرر بصمته هذا ولم يحدث مطلقا منه أن قام بافشاء سر من الاسرار التى ائتمنه عليها هتلر فى حياته واثناء كفاحهما معاً.

حياة هس ومشوار كفاحه الذى بدأه من الإسكندرية بمصر

قال هيس عن حياته:

لقد بدأت حياتى فى حى الإبراهيمية بالإسكندرية فى مصر فى ٢٦ ابريل عام ١٨٩٤, وكان أبى "فريدريك هيس" قد هاجر من بافاريا بالجنوب الألمانى وجاء إلى مصر ليعمل بتجارة الجملة. وكانت بصحبته فى ذلك الوقت عروسه الجميلة "كلارا مونش" ابنة احد رجال الصناعة المشهورين فى بافاريا وهى أمى. جاءا إلى الإسكندرية حيث استأجرا فيلا فى الإبراهيمية ذات حديقة واسعة. وفى هذه الفيلا ولدت انا وبعدى بثلاثة اعوام جاء شقيقى "ألفريد" الذى عمل مع والدى فى التجارة. ثم مضت ١٥ سنة لترزق الأسرة بشقيقتى "مارجريت" التى ولدت عام ١٩٠٨.

وقد كان بيتنا فى الإسكندرية اشبه بالمعسكر الذى تحكمه قواعد الضبط والربط الصارمة. فالوجبات كانت تقدم فى مواعيد ثابتة. ونأكل من اصناف الطعام التى يحبها أبونا، ولا نتكلم إلا إذا سمح لنا الكبار بذلك، اما مواعيد النوم فكانت أكثر دقة من مواعيد الطائرات، وكنا ننام على صوت البحر الذى كان اشبه بالأغنية التى ترددها الأم لطفلها فى السرير حتى ينام.

كنت قد التحقت بالمدرسة الألمانية فى الإسكندرية، وفى عام ١٩٠٨ قررت الأسرة أن اواصل تعليمى بالمدرسة الإيفانجيلية فى بادجزسبيرج احدى ضواحى بون، وعندما كنا على الباخرة نتطلع إلى الإسكندرية والشاطئ يختفى تدريجيا، أذكر أن والدى اتجه نحوى يومها وهو يقول:

"انظر جيدا إلى هذا البلد يا بنى، ربما تمر سنوات طويلة قبل أن تراه مرة اخرى".

وبعد ذلك التحقت بالمدرسة التجارية فى نيوشاتل بسويسرا حيث كان أبى يعدنى لكى اعمل معه فى التجارة.

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى تجمع شمل الأسرة فى بيتنا فى بافاريا ثم تطوعت فى الحرب حيث التحقت بكتيبة المشاة البافارية الأولى وفى عام ١٩١٦ أصبت فى الحرب، وبعدها التحقت بكتيبة "شهداء المعركة" تخليدا لأولئك المثقفين الذين قتلوا فى الحرب، وهى الكتيبة التى كان يعمل بها هتلر كجندى عامل، بينما أنا كنت برتبة ملازم أول متطوع إلا أننى لم اتحدث مع الفوهرر وقتها مطلقا ولم يحدث بيننا أى لقاء أو تعارف على الاطلاق.

وفى سنة ١٩١٨ التحقت بقوات الطيران الملكية وأنهيت تدريبى لأصبح ضابطا طيارا، واشتركت فى الحرب كطيار لمدة عشرة أيام فقط،

لأن الحرب انتهت وتم تسريحى من الجيش فى ١٣ سبتمبر ١٩١٨ وكنت قد بلغت الثالثة والعشرين من عمرى فاتجهت للعمل فى مجال الديكور إلى جانب قراءتى العميقة فى كتب التاريخ.

وعندما تحرك هتلر من خلال حزب العمال الوطنى الاشتراكى بدأ ينضم اليه اعضاء من مختلف الطبقات وانضممت أنا أيضاً وكان رقم عضويتى "١٦" ومن منفاه الاختيارى فى السويد جاء جورينج فانضم للحزب فى خريف عام ١٩٢٢ وكان رقم عضويته "٢٩" اما هيلمر فلم ينضم للحزب إلا فى اغسطس عام ١٩٢٣.

وكانت كلمات هتلر تلمس كل قطرة دم فى عروقنا، كان يتحدث فى يوم الاثنين من كل اسبوع ولم يكن يستمع اليه احد إلا وينبهر بحديثه.

كنت من القيادات النشطة لقوات العاصفة التى كان يرمز لها بحرفى "SS".

وكانت تعتبر الذراع القوى للحزب وكنت أرى أنها ضرورة تحتمها ظروف السياسة فى ذلك الوقت، وحصلت قوات العاصفة المدربة على اعلى المستويات على الاسلوب الفنى للقتال داخل الجدران وهو ما جعل هتلر يفكر باستخدامها للقيام بانقلاب يستولى فيه على السلطة فى ميونخ.

وقد اشتركت مع الفوهرر وجورينج فى محاولة الانقلاب التى جرت عام ١٩٢٣ ضد الحكومة البافارية فى ميونخ. ولما فشل الانقلاب الذى خططنا له كثيرا، قررت اختراق الجبال وعبور الحدود إلى النمسا، وجورينج فعل ذلك أيضاً فقد هربت به زوجته إلى الحدود. لقد حوكم الفوهرر والجنرال لودندورف وإرنست رويم وسبعة رفاق اخرون فى ٢٦ فبراير عام ١٩٢٤. أما أنا وجورينج فقد كنا بالطبع خارج ألمانيا فى

منفانا الاختيارى، وكانت محاكمة الفوهرر ورفاقه سرية تجرى وراء جدران سميكة من التكتم لعدم المساس بهيبة رئيس الحكومة المحلية فى ميونخ "جوستاف ريتار فون كار".

انتهت محاكمة الفوهرر ورفاقه بتهمة الخيانة العظمى وكان رئيس المحكمة "جو فارنز جورتنار" الذى اصبح فيما بعد وزيرا للعدل فى حكومة الفوهرر. وفى أول ابريل عام ١٩٢٤ صدرت الاحكام ببراءة لودندورف والسجن خمس سنوات للفوهرر ويخفف إلى ستة اشهر فى حالة حسن السير والسلوك. ومن منفاى الاختيارى بالنمسا علمت بالاحكام فقررت العودة فى المكان المناسب إلى جانب الزعيم العظيم. فقدمت نفسى للسلطات الحكومية البافارية ومعى ٤٠ من الرفاق وحوكمت وصدر ضدى حكم مخفف بالسجن ١٨ شهرا.

أصبحت الآن مع زعيمى فى سجن واحد فى "لاندزبيرج" وقد اتاحت لى فترة السجن التحدث للفوهرر باستفاضة ولما خرجنا من السجن كانت علاقتنا قد توطدت أكثر واكثر فعينت سكرتيرا له مقابل ٣٠ مارك شهريا إلا أننى وقفت فى هذه الفترة على أدق المناورات السياسية التى قام بها الحزب حتى وصلنا للسلطة عام ١٩٣٣.

كان الفوهرر اكبر منى بسبع سنوات إلا اننى لم اخاطبه على الاطلاق بصيغة انت بل كنت اقول له دائماً سيادتكم وكنت على أى حال اقرب الرفاق إلى قلبه واكثرهم فهما له.

وعندما كان يعد إحدى خطبه كان يسند إلى الجزء الاكبر منها وكان يقف أمام المرآة ويقرأها بصوت مرتفع ويتأمل ملامحه وهو يتكلم بل ويتأمل حركة يديه وجسمه.

وفى سنة ١٩٢٧ تزوجت "إيلزا برول" الفتاة الجميلة التى انتظرتنى على باب السجن فى لاندزبيرج وكان شاهدا عقد الزواج هما الفوهرر والبروفيسور "هاوسهوفر" ذلك العلامة الذى عرفته بالفوهرر وزاره مرارا فى السجن ولما كان واسع الاطلاع وله نظرياته فى السياسة والفلك والتاريخ وقراءة المستقبل، تأثر به الفوهرر وكنا نجلس معا نحن الثلاثة فى السجن نتحدث عن مستقبل ألمانيا.

وقد كانت احاديث العلامة هاوسهوفر هى المحاضرات السياسية التى تأثر بها الفوهرر أيما تأثير، والتى دفعته لوضع الخطوط الأولى لكتابه "كفاحى" الذى كانت معظم افكاره فى الحقيقة هى افكار استاذنا البروفيسور هاوسهوفر.

كانت إيلزا قد جاءت إلى ميونخ لتؤدى امتحان الثانوية العامة ولكنها فى الوقت نفسه كانت عضوة فى الحزب النازى ومن اوائل الفتيات اللاتى انضممن الينا برغم أنها كانت ابنة رجل صناعة ثرى فى برلين لكنها كانت تهوى السياسة وعلى وعى كبير بالتاريخ.

إعتقال هيس من قبل بريطانيا

واعتبار الفوهرر له رسميا أنه مجنون

فى عام ١٩٤١ عندما كان نائبا للفوهرر طار هيس إلى اسكتلندا يحمل عرضا للصلح والسلام مع انجلترا لتجنيب بلاده ويلات الحرب التى كانت على وشك التهام العالم لكنهم اعتقلوه هناك. وقد كان بالفعل ذاهب اليهم ومعه عرضا بالسلام وهذا ما تم الكشف عنه فى محاكمات نورمبيرج لكن الانجليز اعتبروا ذلك مجرد خداع وتخطيط من ألمانيا من

أجل مباغتتهم وخداعهم ليفاجئوهم إلا أن حتى يومنا هذا لم يعرف العالم إجابة لسؤال واحد سوف يظل محيرا حتى يوم القيامة وهو: هل هيس قام بمغامرة سفره تلك وحده ومن تلقاء نفسه ام بتفويض من الفوهرر؟ ذلك لأن هتلر أعلن رسميا عام ١٩٤١ أن نائبه هيس مختل عقليا ومجنون وقد تمسك اغلب المؤرخين بهذه الشهادة حتى اليوم مرددين أنه قام بمغامرته وحده ودون علم هتلر.

وبالتأكيد لن يعرف احد ليوم الدين الحقيقة حيث أن هيس نفسه لم يتحدث عن هذا الأمر وها هو قد مات من فترة طويلة وبموته ودفنه دفن السر معه ومن قبله رحل هتلر عن الدنيا بسنوات طويلة وذهب سرهما معهما ليوم الدين.

وقد حصل هيس فى محاكمة نورمبيرج على حكم بالسجن مدى الحياة والقت فرنسا القبض على زوجته "إيلزا" فى "هندلانج" وكان ابنهما الوحيد "فولف" فى الثامنة من عمره.

وقالت إيلزا عن ذلك:

"عملت خادمة فى استراحة تملكها سيدة ألمانية وتستخدمها كاستراحة للضباط الفرنسيين وزوجاتهم، وكنت أخفف من همى بالمزيد من الاندماج فى العمل، لدرجة أن جنود الحراسة الفرنسيين كانوا يعطفون على عندما يرون زوجة احد زعماء النازى العظام تعمل خادمة، وقد افرج عنى الفرنسيون عام ١٩٤٧ فاعتقلنى الأمريكيون بعد شهر واحد من الافراج الفرنسى عنى وسجنت فى معسكر بالقرب من "أوجسبورج" التى غادرها زوجى بطائرته عام ١٩٤١ إلى اسكتلندا".

التاريخ: ١٠ مايو من العام ١٩٤١.. تقطع الاذاعة البريطانية برامجها فجأة لتذيع خبرا عاجلا..

"من القيادة العامة إلى جميع وحدات الدفاع الجوى: اخترقت طائرة معادية المجال الجوى متجهة نحو (جلاسجو)، ولم تتحدد هويتها حتى الان، ولكن يجب اعتبارها على اية حال طائرة معادية. الطائرة تواجه بعض المتاعب، وعلى جميع رجال البوليس الانتباه والابلاغ فور هبوطها مباشرة. انتهى".

بالفعل حطت الطائرة المذكورة فى الريف الاسكتلندى وخرج منها الطيار سليما ليجد وجها متحفزا لفلاح بريطانى..

نعم. أنا الكابتن ألفريد هورن. معى رسالة عاجلة للورد هاميلتون. كان لذكر اللورد هاميلتون - أحد اهم ساسة بريطانية - مفعول السحر. فبمجرد أن اشرقت شمس اليوم التالى تم اللقاء بين الرجلين.

سياسى بريطانى وطيار ألمانى فى زمن الحرب العالمية الثانية.

اللقاء الذى حمل إلى اللورد هاميلتون احدى اغرب مفاجآت الحرب على الاطلاق. بدأ الطيار الألمانى الحديث بتعريف نفسه، وهو اغرب ما فى الموضوع..

"سيدى اللورد أنا رودلف هيس".

لندرك حجم المفاجأة التى تعرض لها اللورد، يكفى أن نعلم أن هيس كان النائب الأول لهتلر والرجل الثالث فى الرايخ (الدولة الألمانية) بعد هتلر وجورنج. وكان المسؤول الأول عن وضع السياسة العامة للحزب

النازى كما كان مسؤولا عن معسكرات التعذيب التابعة للجيش الألمانى.
اما عن صلته الشخصية بهتلر.. فكان هيس اقرب الاصدقاء إلى هتلر، ورفيق سجنه، وهو من ساهم فى وضع الخطوط العامة لكتاب هتلر الشهير (كفاحى). بل أن هتلر نفسه كان شاهدا على عقد زواج هيس كأحد اصدقائه.

ولم ينتظر هيس أن يفيق اللورد من المفاجأة فتبعها بالمفاجأة الاهم..

"سيدى انا رسول سلام من الفوهرر - يقصد هتلر - إنه يريد وقف الحرب".

آفاق اللورد من ذهوله.. فأمر..

"لابد من استدعاء مترجم فورا. لو صح ما فهمته فالامر بالغ الخطورة.
أعطى اللورد اوامره بتشديد الحراسة على (هيس) واتجه لمقابلة اهم شخصية فى بريطانيا فى زمن الحرب.. (ونستون تشرشل) نفسه.

لم يصدق (تشرشل) فى البداية ما جاء به اللورد هاميلتون. ثم تمالك اعصابه. اسئلة عديدة كانت تدور فى ذهنه..

"فلنفترض أنه (هيس) حقا.. ماذا يريد؟ ولماذا جاء بهذه الطريقة؟ ولماذا لم تذع ألمانيا بيانا رسميا عن رحلته؟؟"

حمل اللورد تساؤلات (تشرشل) إلى (هيس) فى محبسه..

بدأ هيس عرض قضيته..

"لقد جئت شخصيا كى اقنع (تشرشل) أنه لا امل أن تفوز بريطانيا بالحرب وأنه من الحكمة البدء بمفاوضات السلام. الجيش البريطانى طرد من أوروبا كلها منذ عام كامل، وليست لديه القدرة على العودة. الغارات الألمانية على بريطانيا سوف تشتد. ستموتون جوعاً".

عاد اللورد إلى (تشرشل) يحمل مطالب (هيس) فى نقاط محددة..

أولاً: تسيطر ألمانيا على أوروبا كلها ومستعمراتها فى افريقيا، وفى نفس الوقت تسيطر بريطانيا على مستعمراتها وراء البحار.

ثانياً: استقالة (تشرشل) وتعيين رئيس وزراء جديد يثق به هتلر ويستطيع التفاهم معه.

كانت مطالب (هيس) صعبة تكاد تدخل فى نطاق المستحيل ولكن بالرجوع إلى تاريخ الأحداث نجد أن بريطانيا فى مايو من العام ١٩٤١ كانت فى موقف حرج. فقد سيطر هتلر على أوروبا تقريبا. بل أن الطائرات الألمانية دكت أراضى بريطانيا باكثر من ٩٠٠ الف طن من القنابل ليلة القبض على (هيس). وبتحالف (هتلر) مع (موسولينى) فى إيطاليا تعاظمت قوة هتلر وتضاعف الخطر النازى. لقد كان (هيس) يتحدث من موقع القوة وكان عرضه - رغم خطورته - يعرض فرصة لا تعوض لوقف نزيف الدماء فى حرب كادت أن تدمر العالم المتحضر... فرصة تحتاج من (تشرشل) أن يتخلى عن عدائه السياسى لألمانيا وعدائه الشخصى لهتلر ويفكر فى مستقبل وطنه.. بريطانيا.

وبينما يصارع تشرشل افكاره كان هيس يخفى مفاجأة اخرى اتضحت بعد الزيارة بايام ثلاثة. مفاجأة قلبت الأحداث مرة اخرى. تتضح المفاجأة فى مذكرات (هيس) الشخصية التى نشرت بعد ذلك..

"كانت مبادرة فردية منى دون علم الفوهرر. كنت مقتنعا اننا سنهزم حتما لو لم نتحالف مع بريطانيا فى مواجهة الاتحاد السوفيتى، ولكن لم يكن مفيدا لهتلر أن يعلم بنيتى حفظا لماء وجه ألمانيا، فلو نجحت فى

مهمتى فأنا موفد من هتلر لانهاء ويلات الحرب بين ألمانيا وبريطانيا، وإن فشلت أتحمل انا الفشل وحدى".

(ترجم بتصرف عن الألمانية)

وعلى الجانب الألمانى كان الموقف أيضاً غامضا. لقد وصل خبر اقلاع (هيس) بالطائرة وحيدا إلى (هتلر) بعد اقلاعها بـ ٤ ساعات. كانت مفاجأة لهتلر ولكن كان عليه انتظار موقف بريطانيا من الزيارة ليتخذ قراره. مضت الايام الثلاثة الأولى دون اخبار. وهو ما ضاعف من قلقه. فكر...

"هل سقط (هيس) فى البحر؟ هل اسقطته مدفعية بريطانيا المضادة للطائرات؟ هل يحاول البريطانيون الآن الحصول على معلومات سرية منه؟".

وكان الاحتمال الاكثر خطورة أن يصل الخبر إلى حليفه (موسولينى) فى ايطاليا، فيتصور محاولة ألمانيا عقد صلح منفرد مع بريطانيا من وراء ظهره. الاحتمالات متعددة، والاجواء مشحونة، ولا اخبار فى الافق. صحيح أن (هيس) رجله وصديقه ولكن ألمانيا فوق الجميع، وبعد تفكير اصدر هتلر بيانا رسميا..

"يعلن الحزب الوطنى الاشتراكى (الحزب النازى) رسميا أن عضو الحزب (رودلف هيس) كان يعانى المرض النفسى لسنوات طويلة.. الأمر الذى أدى إلى منعه من الطيران. ولكنه استطاع ـ مخالفا للتعليمات ـ حيازة طائرة والاقلاع بها إلى جهة مجهولة. ونخشى أن يكون قد وقع فريسة للهلوسة".

بالبيان السابق تخلى (هتلر) عن نائبه المغامر، وكتب نفس البيان الصفحة الاخيرة فى حياة (هيس) كرجل حر. البريطانيون لن يتفاوضوا

مع رجل أعلن رئيسه اختلاله عقليا. وبالتأكيد لن يسمحوا بعودة النائب الأول لهتلر إلى ألمانيا فى زمن الحرب. لقد اصبح (هيس) اسير حرب فى يد اعدائه. وفى مقابل البيان الألمانى.. صدر قرار (تشرشل):

- يعامل السيد (هيس) معاملة اسرى الحرب على أن يتبع وزارة الحربية لا وزارة الداخلية.

- يجب أن يعزل فى مكان مناسب ,وتبذل الجهود لدراسة حالته العقلية وامكانية الحصول منه على أى معلومات تفيد الإمبراطورية فى حربها ضد ألمانيا.

- توفير الرعاية الصحية والكتب والغذاء وادوات الكتابة ويحظر تماما اتصاله بالعالم الخارجى أو استقبال الضيوف إلا بتعليمات من وزارة الخارجية، وتعيين حراسة خاصة به، كما يمنع من قراءة الصحف أو متابعة الإذاعات، ويعامل معاملة كريمة كجنرال كبير فى الاسر.

لقد كان للحرب العالمية نتائجها التى ادت فى النهاية إلى إقصاء بريطانيا عن موقع القيادة للعالم الحر تاركة مركزها للقوتين المتنافستين: أمريكا والاتحاد السوفيتى. وما تبع ذلك من سلسلة احداث شكلت فى النهاية عالمنا المعاصر.. وبالتأكيد كان (هيس) نازيا متعصبا باعترافه شخصيا، ولكنه لايام ثلاثة كان على وشك تغيير العالم كما نعرفه ولكن الحلم فى زمن الحرب وفى مهنة السياسة له عواقبه، والاخلاص للحلم له ثمن دفعه (هيس) غاليا.

فى ١٠ اكتوبر عام ١٩٤٥ تم اصطحاب هيس من اسكتلندا إلى نورمبرج لمحاكمته وفى ٢٠ نوفمبر اقتيد هيس لقاعة المحكمة وجلس بين روبنتروب وزير خارجية النازى وجورينج، وفى ٣١ اغسطس ١٩٤٦ عقدت

آخر جلسة لمحاكمة هيس وبعدها بايام صدرت الاحكام المختلفة على قادة النازية وحكم على هيس بالسجن مدى الحياة.

وقد جاء بحيثيات الحكم:

ان المتهم رودلف هيس كان من المؤيدين النشيطين للاستعدادات للحرب وهو الذى وقع قانون الخدمة العسكرية الإلزامية وأيد سياسة هتلر الرامية للتسلح المفزع وعلى الرغم من أنه ابدى رغبته متأخرا فى السلام والدعوة للتعاون الدولى إلا أنه كان الوحيد بين جميع المتهمين الذى كان يعلم نوايا هتلر وخططه النازية المدمرة وهو الوحيد أيضاً الذى كان يدرك مدى تعصب هتلر وعنفه، لقد طار المتهم هيس إلى انجلترا يحمل بعض مقترحات السلام، زاعما أن هتلر على استعداد لقبولها ولكن هناك ملاحظة تنطوى على دلائل كبيرة وهى أن هيس طار إلى انجلترا قبل عشرة أيام فقط من الموعد الذى حدده هتلر للهجوم على روسيا وهو ٢٢ يونيو , ١٩٤١ أى أنه كان على علم بكل تفاصيل الخطة، وإن المتهم تصرف أثناء المحاكمة بطريقة عادية وزعم أنه يعانى من فقدان الذاكرة وربما يكون ذلك صحيحا. ولكن لم تكن هناك اية دلائل على أنه مجنون جنونا مطلقا، أو أنه لا يعى ما حوله أو أنه لا يستطيع الدفاع عن نفسه، ولذلك فقد رأت المحكمة أن المتهم برىء من تهمتى جرائم الحرب وجرائم ضد الإنسانية، ومذنب فى تهمتى التآمر وارتكاب جرائم ضد السلام، واصدرت الحكم الآتى: "السجن مدى الحياة".

انتهت بذلك المسرحية الهزلية التى مثلها الحلفاء وسموها تحت عنوان محاكمات نورمبرج، وهذا بشهادة التاريخ الذى لا يكذب ابدا فإن محكمة التاريخ هى الاصدق وهى التى تسجل الحقائق تاريخيا بشكل لا يمحها قط. وليس أكثر من شهادة قادة الحلفاء الانجليز والتى عرفت

فيما بعد أنه فى احد اجتماعاته مع القادة الحلفاء قد عأرض تماما قيام الحلفاء بعمل محاكمات هزلية كتلك التى اقاموها فى نورمبرج حيث قال أن الجميع يعلم اننا سنعدمهم فإن كنا سنفعل ذلك بهم فدعونا نخبر العالم اجمع بما سوف نفعله بهم لا أن نخدع الجميع بأن نقول أنهم سيحاكمون محاكمة عادلة إذا لم يكن ذلك سوف يحدث.

والحقيقة التى لا تقبل مجالا للنقاش هى أن هيس كان يعلم ذلك علم اليقين وكان يعلم أنهم معدموه لا محالة وإن تلك المحاكمة ما هى إلا مجرد تمثيليات هزلية أو مسرحية لعرائس الماريونت عرائسها هم المسئولون فيها والمحركون لهم هم اليهود القذرة الاوغاد من خلف الكواليس ولذلك ورغما عن أنه فى كل جلسات المحاكمة السابقة على جلسة الحكم عليه كان يظل صامتا للنهاية ولا يتحدث لا بالدفاع عن نفسه ولا باتهام هتلر كما فعل جميع قادة النازى الذين حوكموا حيث اتفقوا جميعهم على خيانة الرايخ الثالث بعد موته ودأبوا على إلصاق التهم فيه وأنه كان متعصبا وديكتاتوراً وانهم بريئون وانهم ما فعلوا ما فعلوه إلا لأنهم خافوا بطشه. وعلى العكس منهم فعل هيس ففى آخر جلسة لمحاكمته وقف وانتصب بوقفة عسكرية نازية مهيبة تليق بأى قائد عسكرى عظيم وقال أنه يعلم تمام العلم أنهم قاتلوه لأن اليهود القذرين هم المحركين لكل الأحداث وأنه يعلم بذلك وأنه لفخر له الآن أن يقف ليعلن على مرأى ومسمع الجميع أنه لم ولن يخن الفوهرر العظيم فى يوم ما حتى وفاته وأنه لكان من دواعى سروره وفخره وشرف له أنه خدم إلى جوار سيده العظيم وقائده الفوهرر وأنه لمن العار والمحزن ما رآه من رفاقه وكبار قادة النازى الآن وطول فترة المحاكمة من تزلل وإذلال هاماتهم وتحقيرهم للفوهرر والرايخ الثالث اعتقادا منهم أنهم بذلك سوف ينجون بحياتهم، وأنه يعلنها على الملأ بأنه نعم قد خدم قائده

وزعيمه الفوهرر العظيم وبكل اخلاص وأنه لن يتنصل من ذلك أبداً حتى وهو يعلم أنه مقتول لا محالة حيث أنهم قاتلوه فى كل الاحوال ولن يتذلل أو يركع أو يحنى هامته وفى آخر كلماته أعلن أنه مخلص للابد للرايخ الثالث وليفعلوا به ما يفعلوه". وقد ظل هيس مؤمنا حتى آخر لحظة فى حياته بالفوهرر ومخلصا للمبادئ النازية وللوطن الألمانى العظيم وأعلن مراراً من سجنه لعشاق النازية والمتحسرين على زوال أيام الرايخ الثالث العظيمة أنه سوف يخرج وسوف يؤسس ويتزعم بعد خروجه الرايخ الرابع وسوف يعيد مجد ألمانيا والألمان، إلا أنه لم يقدر له أن يبصر النور قط مرة اخرى حيث توفى فى محبسه ولم يخرج منه كما كان يأمل إلا ليدفن ليلحق بزعيمه وقائده العظيم "أدولف هتلر" بعد أن ظل على وفائه وعهده له كما وعده فى يوم من الايام عندما اقسم على احترام الدستور الألمانى والدفاع بحياته عن الفوهرر، على العكس من رفاقه القدامى الذين أعلنوا كلهم أن هتلر كان هو السبب فى كل شىء وانهم ما كانوا يوافقوه إلا لخوفهم من بطشه فما كان جزائهم إلا أن اعدمتهم محاكمات نورمبرج وابقت على حياة المخلص الوحيد بينهم. فذهبوا بذلك إلى مزبلة التاريخ فما ماتوا على شرف الطاعة والولاء الذى اقسموا عليه يوما لقائدهم وما حفظ لهم اعدائهم الحلفاء حياتهم بعد أن أحنوا هاماتهم لهم وتذللوا امامهم وركعوا، وهو الشىء الذى لا يليق ابدا بأى قائد عسكرى حتى ولو كان قذرا فأشرف له تقبل مصيره وهو مصمم على رأيه وفكره لا أن يساير الموجة التى يعيش معها.

فيجلايـــن

كان أحد كبار القادة العسكريين للزعيم النازى هتلر وأحد المقربين من قيادة الرايخ الثالث وكان برتبة جنرال ولكنه كان يتمتع بمزايا تفوق رتبته

كثيرا حيث كان برتبة جنرال شىء واحد حمل له النهاية مبكرا هو حبه لامرأة الزعيم هتلر....

قبل أيام من وصول الحلفاء إلى أراضى برلين تزوج الزعيم النازى الراحل هتلر من عشيقته إيفا براون التى كانت معروفة للعالم كله لينتحرا معاً فى خندق واحد عام ١٩٤٥.

ولم يكن انتحار العاشقين أو الزوجين فى حد ذاته جريمة عاطفية وانما كان عملية اضطرارية لدوافع سياسية تتعلق بمصير آخر إذا بقيا على قيد الحياة قد يكون أسوأ بكثير من الموت نفسه ويكفى ما شهده رفاق هتلر الاحياء من محاكمات وعمليات انتقامية ومطاردات دامية لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا.

الحقيقة أن هتلر فى علاقته العاطفية بإيفا براون لم يكن وحده وانما شاركه جنرال من كبار مساعديه.

حيث حاولا العاشقان خيانة هتلر بالهروب فى أى مكان بالعالم ولكن هذه العملية عمل لها هتلر الف حساب حيث القى القبض على الضابط العاشق عن طريق فرقة الجوستابو السرية واعدم بطريقة دراماتيكية وبدون محاكمة عسكرية والتهمة حب امرأة الزعيم هتلر.

كيف اكتشف هتلر خيانة إيفا براون؟

هذا اللغز حير بعض الكتاب ولم يجدوا له حلاً إلى يومنا هذا ويقول بعض الكتاب بأن هتلر عندما اكتشف خيانة إيفا براون له كتم السر طويلاً.

هتلر تزوج من إيفا براون قبل ساعات من دخول قوات الحلفاء لبرلين ثم قاما بإشعال النار فى الخندق لينتحرا معاً كعاشقين أمام العالم.

كريستا شرودر هى السكرتيرة المفضلة لهتلر حيث كانت تعرف الكثير من اسرار هتلر وعلاقة إيفا براون بالجنرال فيجلاين إلا أنها كتمت تلك الاسرار مدة طويلة حتى بداية الثمانينيات حيث قامت بكتابة مذكراتها وسلمتها للكاتب الألمانى أنطون يواخيم شتالر وقد توفت كريستا عام ١٩٨٤ ومن بين الاسرار التى كانت تخفيها السكرتيرة اوراق خطاب من ماريان شونمان اقرب صديقات إيفا براون حيث كتبت لها خطاب بعد ١٨ عام من اعدام فيجلاين تحت الشجرة وتقول فى خطابها لم اكن اتصور بأنهم سوف يحبان بعضهما وتقصد هتلر والجنرال وقد حدث هذا التعارف الدامى فى بيرجهوف باقليم بافاريا وتم تعيين فيجلاين ضابط اتصال بين القوات العاصفة وهتلر حيث التقى الجنرال بإيفا براون فى بيرجهوف بصحبة الجميلة ماريان شونمان.

وهكذا عاشت إيفا براون وماتت مع هتلر بخندق واحد... عاشت جميلة وماتت مشوهة..

ويسعى كتاب أنجيلا لامبرت "الحياة المفقودة لإيفا براون" الصادر عن دار سنشرى فى ٤٩٥ صفحة. إلى التركيز على علاقة إيفا بهتلر وهو الهدف التى سعت المؤلفة فى هذا الكتاب لتحقيقه بكل السبل.

فإيفا براون هى محبوبة هتلر التى أثير بشأنها الكثير من التساؤلات فالكتاب يعرض لشهرة هتلر ونجاحه عندما التقى بإيفا عام ١٩٢٩. ذاكرة أن إيفا براون كانت فتاة كاثوليكية جميلة لم تنتسب ابدا إلى الحزب النازى الألمانى موضحا أن الشىء الوحيد الذى اعطى المعنى لحياة إيفا كان هتلر، وهى افضل من يعرف ما الذى اعطى المعنى لحياة هتلر، لقد امتلكت إيفا براون هتلر لنفسها فقط عند الموت، ولكن ذلك يبدو الامتلاك الوحيد الذى كان يكفيها.

جدير بالذكر أن إيفا براون ولدت فى مدينة ميونخ الألمانية وتلقت تعليمها فى أحد الاديرة. والتقت بالزعيم النازى أدولف هتلر عندما كانت تعمل مساعدة لاحد موظفى هتلر فى عام ١٩٢٩.

يروى الكتاب أنها كانت تسخر من شارب هتلر عند اصدقائها وكان المؤرخون يصفونها أنها امرأة "ذات ذكاء محدود، وتفان واخلاص لحبيبها هتلر". وقد اقدمت إيفا على الانتحار كما يشير الكتاب عن طريق اطلاق النار على رقبتها ويذكر الكتاب هذه الواقعة بالتفصيل.

وبعد معافاتها اشترى هتلر لها منزلاً فى ميونخ وسيارة مرسيدس وعين لها سائقاً خاصاً. وفى عام ١٩٣٦ دخلت إيفا براون بيت الفوهرر واقامت فيه بصورة رسمية كمضيفة للبيت، وكل من كان ينتقد السياسة العامة لحكومة هتلر أو التذمر من الهزائم التى ألمت بالرايخ الثالث إبان الحرب العالمية الثانية لم يكن مرحباً فيه فى بيت هتلر وحرصت على أن لا تراهم فى بيت هتلر مرة اخرى، وعندما ضيق الجيش الاحمر الخناق على العاصمة برلين، رفضت مغادرة مركز القيادة الألمانية هى وهتلر وفى ٢٩ ابريل ١٩٤٥ تزوج الفوهرر وإيفا براون بصورة رسمية وأقدم كلاهما على الانتحار فى اليوم الذى يليه عن طريق احتساء السم.

النازيــــة الجديــدة

تم تكوين بعض الأحزاب النازية الصغيرة فى ألمانيا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. وعملت هذه الأحزاب على إعادة نشر مبادئ النازية.

واستعادة الأراضى التى فقدتها ألمانيا خلال الحرب، وتوحيد الألمانيتين الشرقية والغربية. وقد وجدت هذه الأحزاب تأييداً واسعاً من

النازيين القدامى والشباب العاطلين عن العمل. وبعد توحيد الألمانيتين بدأ النازيون الجدد فى مهاجمة الاجانب الذين يعيشون فى ألمانيا.

انتقلت النازية الجديدة إلى دول اخرى منذ عام ١٩٨٠ وقد وجدت النازية الجديدة فى الولايات المتحدة دعماً من جماعات الكوكلوكس كلان، وهى جماعات عنصرية تستخدم العنف ضد الاقليات.

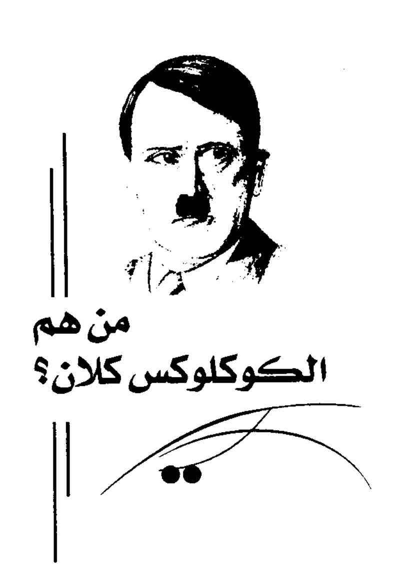
اصبح النازيون الجدد أو اليمين المتطرف يشكل قوة سياسية وحركة اجتماعية بألمانيا.

وقد سجل الفاتح من مايو المنصرم، دخول النازيين الجدد مرحلة جديدة. إذ قاموا بارتداء احذية رياضية ونظارات سوداء وحملوا شعارات يسارية تطالب بتدمير الرأسمالية، مما جعل العديد من المهتمين والصحفيين يعتبرون أن هذا الأمر مؤشراً على تشكل قومية جديدة تريد منافسة اليسار الألمانى.

وقد شكل فوز حزب اليمين المتطرف ودخوله إلى برلمان ثالث ولاية ألمانية هزة فى الاوساط السياسية الألمانية، كما شكل تهديدا واضحا للدولة الألمانية التى تحاول المصالحة مع ذاتها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

وبعد حصوله على نسبة متقدمة هذه المرة بالمقارنة مع الانتخابات السابقة، استطاع الحزب المتطرف احتلال موقع سياسى مهم بولاية ماكلنبورغ الواقعة جغرافياً بألمانيا الشرقية. وسمح للصوت النازى بدخول ثالث برلمان ألمانى وفق القوانين الألمانية التى تقر بضرورة الحصول على نسبة ٥ فى المائة على الاقل من اصوات الناخبين لولوج مبنى البرلمان.

■ ■ ■



من هم الكوكلوكس كلان؟



الكوكلوكس كلان هو اسم لمنظمات سرية ارهابية عُرفت بتأييدها لمفهوم سيادة الجنس الابيض ظهرت فى الولايات المتحدة الأمريكية منذ العام ١٨٦٥ الميلادى إلى هذا اليوم.

الكلان الأول: ١٨٦٠-١٨٧٠، وكان عدد اعضائه: ٥٥٠٠٠٠ فرداً.

الكلان الثانى: ١٩١٥-١٩٤٥، وكان عدد اعضائه ٤٠٠٠٠٠٠ فرداً.

الكلان الثالث: منذ ١٩٤٦ إلى يومنا هذا، واخر احصائية له تصل إلى ٦٠٠٠ فرد. إلا أن هذا العدد فى الواقع اقل بكثير من العدد الحقيقى وذلك لوجود عدد كبير من الاعضاء السريين المنتمين لهذه المنظمة بسبب محاربة القانون الأمريكى لهذه المنظمة وبالتالى استحالة التوصل إلى احصائية تعكس التعداد الصحيح للاعضاء الحاليين.

صنفت الدولة الأمريكية هذه التنظيمات "كمجموعات كراهية" نازية، فللكوكلوكس كلان تاريخ حافل بالارهاب والعنف والقتل والترويع لاضطهاد الأمريكيين ذوى الاصل الأفريقى واليهود واقليات اخرى بما فيها المهاجرين الجدد، وشعارها هو الصليب المحروق، وهو شعار يجلب للاذهان صورة الصليب المعقوف رمز نازية هتلر.

وصفت المؤرخة إيلاين بارسونس تركيبة هذه الجماعة كالتالى:

"أظهرت ازاحة اللثام عن وجه الكوكلس كلان عدد فوضوى من الحرس المضاد للسود. والمزارعين الفقراء البيض الساخطين. فرق فدائية تنتمى لفترة الحروب. سياسيين مزاحين من الحزب الديمقراطى. مصلحين قسريين. ساديين. مغتصبين. رجال أعمال بيض يخشون منافسة السود لهم. ارباب أعمال يرغبون فى فرض انضباط العمال. لصوص. جيران يحملون ضغائن متوارثة عبر الاجيال، وحتى بعض المعتقين وبعض الجمهوريين البيض المنشقين ومتحالفين مع الديمقراطيين البيض أو يملكون جدول أعمال اجرامى يخصهم". كان فى هذا الوصف ملخصا سريعا لهيكل الكوكلوكس كلان.

واضاف المؤرخ إريك فونر أن هدف هذه المنظمة هو سياسى بحت هدفه التأثير فى العلاقات بين مراكز القوى والعمل على وضع قيود على حق الاقليات بالاخص السود، فى التعليم والتقدم الاقتصادى والانتخاب والحق فى امتلاك السلاح. بدأ نشاط هذه الجماعات فى الولايات الجنوبية ثم انتشر فى جميع الولايات الأمريكية، وبالتالى نشأت بداية عهد إرهابى ضد السود وكل من يساند الاقليات السوداء من الجمهوريين البيض على حد سواء.

نشاطات الجماعة

احيانا، يكتفى العضو بغطاء على الرأس بينما تقوم اغلبية مجموعات الكوكلوكس كلان بهجماتها ضد اهدافها مرتدية جلابيب بيضاء وقبعات مخروطية الشكل تغطى الرأس كله ولا تظهر منه سوى العينين لاخفاء هويتهم مع اضافة عامل الترويع خلال هجماتهم الليلية على اهدافهم

والتى غالبا ما تكون قرى صغيرة يسهل على السكان فيها التعرف على بعضهم البعض. وهنا يجب ذكر أن عمليات التصفية التى قامت تجاه رؤساء الأحزاب السود لم تقتصر عليهم وحدهم بل شملت اسرهم بالإضافة إلى رؤساء الكنائس والجاليات. لتعدد انشطة الضحايا. كان المقنعين يقومون باطلاق الاعيرة النارية تجاه بيوت ضحاياهم واحراقها. احيانا بمن فيها. استطاعوا زحزحة المزارعين الناجحين من مزارعهم.

فى عام ١٨٧٠ بينما استمرت الجماعة فى القضاء على ضحاياها تحت غطاء مدنى، ومتخفية بدون أن تعلن انتماءها للكوكلوكس كلان، استمرت الدولة فى التغاضى عن ممارساتهم ولم يتم تجريم عضو واحد بخلفية انتماءه للتنظيم، بل لم يكن بإمكان الأمريكان الافارقة حتى التوجه للمحاكم للشكوى. اما فى الحالات النادرة التى وصلت إلى القضاء، كان من الصعب نطق الحكم بتجريم الفاعل لخوف المحكمة من انتقام الكلان.

المقاومة

كردة فعل لهذه الاساليب القمعية، تمكن السود من التسلح والمناوبة فى الشوارع لردع أى هجوم قد يشنه الكلان عليهم، بالإضافة إلى اعلان تهديداتهم للكلان بالانتقام ما لم يوقفوا العنف.

كانت هذه بداية لسلسلة من الأحداث ادت إلى صدور قانون يجرم الكلان ويصنفه تحت بند الارهاب. خلال هذه الفترة تم عقاب الكثيرين من الكلان إما بالسجن أو بدفع غرامة مالية. عموما، بالرغم من الدمار الذى اصاب هذا التنظيم من جراء هذه الأحداث إلا أن الكلان تمكن من تحقيق احد اهدافه، إلا وهو زرع الشقاق بين صفوف السود والفقراء

البيض كذلك. فالتنظيم لم يمت نهائيا بل استمر العنف تجاه الأمريكان الافارقة ضمن صراع البيض نحو السلطة.

التاريخ الحديث للكلان منذ عام ١٩٧٠

اعضاء الكلان الحاليين لم يعودوا تنظيما كما كانوا فى سابق عهدهم، بل هم الآن مكونين من جماعات صغيرة مستقلة وموزعة فى جميع ارجاء الولايات المتحدة الأمريكية. الأمر الذى جعل التغلغل فيها أو معرفة عدد اعضائها الفعلى بالغ الصعوبة. أن عدد اعضاء المجموعة فى الحقبة الاخيرة فى ازدياد مضطرد.

تحالف اعضاء كثيرون من الكلان فى الاونة الاخيرة مع الحركات النازية المعاصرة، ومازال نشاطهم يهدد الاقليات فى أمريكا.

ألمانيا تقع تحت تهديد النازية الجديدة

حسب استطلاع تم لحساب مجلة "ديرشبيغل" المعروفة، تأكد أن ٦٣ فى المائة من الألمان يؤيدون حظر نشاطات الحزب القومى الألمانى اليمينى المتطرف لكن كيف يتم هذا الأمر والحكومة الألمانية سبق وإن فشلت فى الحصول على قرار يحظر نشاطات هذا الحزب المتطرف من قبل المحكمة العليا. حتى أن المستشار السابق شرودر طلب من مساعديه إعادة النظر بالسبل القانونية للتقدم بدعوى جديدة لمنع نشاطات الحزب القومى نهائيا.

ومن المعروف أن شرودر كان يفكر فى النتائج الوخيمة التى تحصدها ألمانيا والسمعة السيئة فى العالم خصوصا فى الولايات المتحدة وإسرائيل، حين يتظاهر النازيون الجدد أمام النصب التذكارى لضحايا الهولوكست.

وينظر العديد من جيران ألمانيا بنوع من الريبة والقلق إلى تنامى انتشار النازيين الجدد داخل المجتمع الألمانى، وهم يسعون إلى الزحف من برلمان داخل الولايات نحو بلوغ البرلمان الاتحادى فى برلين، وهذا امر مستبعد لكنه يمكن أن يتحقق فى أى وقت من الاوقات.

ويذكر أن وجود اليمين المتطرف لا يقتصر على الأحزاب والتيارات المعروفة، بل يتعداه إلى اشكال وحركات عديدة مثل حليقى الرؤوس التى لا تتوانى عن اظهار ولائها المطلق للأيدلوجية النازية اضافة إلى الخلايا والتنظيمات السرية التى يصعب الوصول إلى معرفتها.

وتقول التقارير الصحفية، بان هناك ظاهرة نازية جديدة تنتشر داخل المجتمع الألمانى وتعرف باسم "فصيل الجيش البنى"، وهو اسم مستعار مأخوذ من اسم "فصيل الجيش الاحمر" اليسارى المنحل.

هذا إلى جانب حزب اتحاد الشعب الألمانى، الذى يجمع ما بين النزعتين الانتقامية والانضمامية مع بعض الميل إلى إعادة الاعتبار إلى المرحلة النازية، ويستقطب فى المناطق الشرقية من ألمانيا، قسما من الشباب المهمشين، ومن الطبقة العاملة الذين غالبا ما يحنون إلى عملية الدمج الاجتماعية والاقتصادية فى جمهورية ألمانيا الديمقراطية.

وتستمر عقدة الماضى فى الحاضر الألمانى... !

وبعد مرور أكثر من ستين عاماً على الحرب، مازالت ألمانيا تحاول المصالحة مع التاريخ وتنظر إلى نفسها على أنها عاجزة عن محو أيديولوجية أدولف هتلر والتى أعلن عنها فى اطروحته المعروفة يوم الرابع والعشرين من عام ١٩٢٠ بمدينة ميونخ.

هذا الوضع المتوتر دفع بحكومة برلين إلى المزيد من المراقبة والضغط على المنظمات المتطرفة حتى اصبح التلفظ بكلمات مثل امة أو اظهار الشعور بالانتماء إلى الوطن عيبا اجتماعيا بعد أن كان فى خانة المحرمات السياسية سابقا لأن ذلك يتم ربطه دائماً بالتراث النازى.

وتعبر عن هذا الغبن الألمانى كلمات احد مغنيى الروك الألمان، ويدعى تيس أولمان الذى قال مرة أن الانتماء إلى ألمانيا لا يمثل افتخارا. ولعل الضجة التى أثارتها اعترافات الكاتب الألمانى الشهير غونتر غراس بعضويته السابقة فى فرق الوحدات النازية الخاصة. لدليل على عودة شبح النازية الذى يقض مضاجع الألمان ويجعلهم يعيشون ماضيهم باستمرار فى حاضرهم!

الديكتاتورية

شكل من اشكال الحكومات يمسك بزمام السلطة، بشكل مطلق، فيه فرد أو هيئة أو جماعة. ويعود اصل ديكتاتور (حاكم مطلق) إلى روما القديمة. حيث كان مجلس الشيوخ الرومانى يعين افرادا لفترة مؤقتة يكون باستطاعتهم تسيير الحالات الوطنية الطارئة دون موافقة الشعب أو مجلس الشيوخ. ومهما يكن فإن الديكتاتور الرومانى لم تكن لديه السلطة المطلقة التى يتمتع بها الديكتاتور فى الوقت الحاضر. وفى الوقت الراهن، تتولى الانظمة الديكتاتورية والاستبدادية الحكم فى دول كثيرة.

والديكتاتورية نظام حكومى لا تحد سلطة الحكام فيه قيود تشريعية. وقد خضعت أكثر الشعوب عبر التاريخ لنظام الديكتاتوريات بوصفها شكلا من اشكال الحكومات.

قامت معظم الديكتاتوريات عن طريق العنف والقوة، وأحيانا من خلال الحيل السياسية. استخدم جوزيف ستالين هذه الطرق عندما كان يعمل سكرتيرا عاما للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى (سابقا)، واصبح ديكتاتور البلاد عام ,١٩٢٩ ويرى الديكتاتوريين ضرورة الاستمرار فى استخدام القوة للمحافظة على سلطتهم، ومعظم الديكتاتوريون يحظرون أو يحدون من حرية الكلام، والتجمع، والصحافة كما يمنع معظمهم اجراء الانتخابات كلياً، ويزور بعضهم نتائج الانتخابات أو يجبرون الناس على التصويت لصالح مشرحهم.

تنشأ بعض الديكتاتوريات فى بلد ما بعد أن تقهرها قوة اجنبية، فالاتحاد السوفيتى (سابقا) سيطر على اكثرية دول أوروبا الشرقية بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م). ورسخ ستالين الديكتاتورية الشيوعية فى بولندا وتشيكوسلوفاكيا السابقة. وفى دول اخرى فى تلك المنطقة. ومن ناحية اخرى يمكن السيطرة على بلد ديمقراطى أثناء فترة ازمات تمر بها تلك الامة، ويمكن لازمة ما أن تقسم الحكومة وتحد من قدرتها على الحفاظ على النظام الداخلى والامن والازدهار. كان من بين الديكتاتوريين الذين وصلوا إلى السلطة تحت ظروف كهذه بنيتو موسولينى الإيطالى عام ١٩٢٢ وأدولف هتلر الألمانى عام ١٩٣٣ وفرانسيسكو فرانكو الأسبانى عام ١٩٣٩وديكتاتور تشيلى أغوستو بينيوتشيه عام ١٩٧٣.

جناح اليمين واليسار

جناح اليمين

تعبير يشير إلى جماعة تقليدية أو حزب سياسى محافظ. وفى بعض الهيئات التشريعية يجلس المحافظون إلى يمين المتحدث. وتشكل

الجماعات المتطرفة (الراديكالية) والتحررية والمنتمية إلى الجناح اليسارى مع الجماعات التى تتوسط الطريق جماعة الوسط وقد نشأ هذا التقليد مع الجمعية الوطنية الفرنسية التى تكونت عام ١٧٨٩م. ففى هذه الجمعية، كان النبلاء يحتلون مقاعد الشرف على يمين الملك.

جناح اليسار

يعنى حزبا متطرفا راديكاليا، أو فرعا متطرفا من مجموعة سياسية.

وقد نشأ المصطلح فى أول هيئة تشريعية فرنسية بعد الثورة الفرنسية. فقد كان النواب المحافظون يجلسون على يمين المتحدث، والنواب الاكثر تطرفا يجلسون على يساره. وفيما بعد، اصبح الناس فى جميع أنحاء العالم يستخدمون مصطلحى يسار ويمين للإشارة إلى معتقدين سياسيين متعارضين هما: المساواتية المتطرفة، والمحافظة. وعموما، فقد اعطى اليسار للمساواة قيمة اعلى، بينما اعطى اليمين الحرية قيمة اعلى، واليوم، فإن الجناح اليسارى كثيرا ما يتطابق مع الاشتراكية أو الشيوعية.

اليسار الجديد

حركة سياسية واجتماعية متطرفة راديكالية ظهرت فى الستينيات واوائل السبعينيات من القرن العشرين فى الولايات المتحدة. وقد ضم العديد من طلبة الكليات وغيرهم من الشباب وسميت الحركة بهذا الاسم للتفرقة بينها وبين اليسار القديم الذى ظهر فى الثلاثينيات من القرن العشرين. وكانت تقود اليسار القديم بصورة عامة الافكار الماركسية.

طالب اعضاءه باجراء تغييرات جارفة وجذرية فى المجتمع الأمريكى، وهاجم الاعضاء معظم المؤسسات الرئيسية نتيجة اعلانها تأييد المبادئ

الديمقراطية مع فشلها فى انهاء مظالم مثل الفقر، والتفرقة العنصرية، والفوارق بين الطبقات. وعأرض الكثير من اليساريين الجدد الرأسمالية واعتقدوا أن الرغبة فى تحقيق الارباح تؤدى إلى الإمبريالية وهى سياسة تفضل مد النفوذ ليتعدى إلى دولة اخرى.

عن الصهيونية والنازية

ان هناك كلاماً قيل فى الآونة الاخيرة بما معناه أن إسرائيل تتصرف كما كان النازيون الألمان يتصرفون تحت زعامة هتلر، فهم يقتلون ويرتكبون المذابح فى كل مكان ضد العرب، واليهود يضطهدون العرب بنفس الاسلوب الذى كانوا يضطهدون به السيد المسيح عليه السلام منذ ألفى عام. واليهود قوم ظالمون وخارجون على القانون والاخلاق إلى ما هنالك من هذا الكلام. بمناسبة الذكرى الثالثة والخمسين لاغتصاب فلسطين. والنكبة، الآن هناك كلام كثير عن مقارنة الصهيونية بالنازية والبعض يعتقد بأن هذه الحركة اصبحت ابشع بكثير من النازية برأيهم، هل هناك فرق بين هاتين الحركتين؟ هل هناك إجحاف؟

عندما نتحدث عن التعاون الصهيونى النازى فانما نعود إلى الثلاثينيات والأربعينيات، أى إلى مرحلة اغتصاب فلسطين، وهنا لابد من الحديث على مستويين: مستوى منطقى ومستوى توثيقى.

على المستوى المنطقى نطرح السؤال: ما هى الصهيونية؟ وما هى النازية؟ أو بالاحرى ما الذى ندينه نحن فى النازية؟ هل ما ندينه هو نظام اقتصادى، أو نظام سياسى، أو ما ندينه نحن بالدرجة الأولى الصهيونية هو نقطتين أساسيتين: الأولى: العرقية أو العنصرية، الايمان بتفوق العرق الآرى على سائر الاعراق فى العالم.

الثانية: نتيجة لهذا الاعتقاد اعطاء الذات القومية الحق فى التوسع العسكرى على حساب الآخرين باسم التفوق. هاتان هما النقطتان الأساسيتان اللتان تشكلان موضع الادانة فى النازية. إلا توجد هاتين النقطتين بالضبط فى العقلية الصهيونية فى العقيدة الصهيونية؟ أو بالاحرى ألم توجد لأن "لم" تعود إلى الماضى فى العقلية الصهيونية وفى العقلية اليهودية منذ أسفار التوراة.. توراة اليهود؟ عقيدة الاختيار هى اساس من اسس قيام المشروع الصهيونى، وحق التوسع لسنا بحاجة لأن نناقشه لاننا نعيشه، وطرد الجويين من أرض إسرائيل موضوع معاش سمعناه ونعيشه باستمرار هذا على مستوى التحليل التبسيطى المنطقى، على مستوى النصوص اعود إلى عدد من مفكرى اليهود والألمان انفسهم بدءاً بـ (ناحوم جولد مان) الشخصية الاشهر يقول: "ان هناك هوية اساسية لدى الألمان النازيين وبين اليهود هى: حس الانتقائية ومواجهة المصير المشترك كمهمة إلهية". هذا كلام (جولد مان). الكاتب (ميشيل راشلن) يقارن بين مقتطفات من "كفاحى" ومقتطفات من بعض اسفار التوراة اليهودية ليصل إلى نتيجة قالها (ستراشر) فى محاكمة (نورمبرج) عندما سئل: أين تكمن الجذور العقدية للنازية؟ قال: "فى سفر يشوع". هذا فى نص محاكمة نومبرج، ولكن (راشلن) بالمقارنة يصل إلى ذلك. كاتب آخر هو (بيير جيرى بارى) له كتاب اسمه: "Le soir du mission" كاتب يهودى - يقول بالحرف: "شئنا أم أبينا فقانوننا قانون عرقى، بل أنه القانون الكلاسيكى النموذجى للعرقية، لأنه النص الاقدم والاكثر عنفا الذى يبشر بعرقية أيديولوجية حتى اقصى حدودها، صحيح أن البشر لم ينتظروا التوراة ليقتتلوا، ولكن ما من نص جعل المذابح فرضا دينيا بسبب عدم نقاء عرق الآخر... عرق الطرف المواجه قبل التوراة". فى ١٩٣٥

صدرت مجلة "لى كو" فى فرنسا وفيها حوار مع (روزن برج) منظر النازية، ويقول فيه أنه يؤيد الصهيونية ومعجب بها لتماثلها مع النازية.

صحيفة النازيين.. صحيفة الاجهزة السرية النازية "Das schwars skorps" الألمانية تقول أيضاً فى عام ١٩٣٥: "تجد الحكومة نفسها على اتفاق تام مع الصهيونية لرفضها الاندماج، ولذلك ستتخذ التدابير التى تؤدى إلى حل المسألة اليهودية".

كاتب آخر يهودى أيضاً (سولفريد) يقول: "لقد قدمت النازية فرصة تاريخية لتأكيد الهوية اليهودية واستعادة الاحترام الذى فقدناه بالاندماج. اننا مدينون لهتلر وللنازية".

الحاخام (برينر) نائب رئيس المنظمة الصهيونية العالمية. هذا أيضاً شخصية رسمية، يقول فى عام ١٩٣٤: "نحن نريد استبدال الاندماج بقانون جديد، الاعتراف بالانتماء إلى العرق اليهودى والامة اليهودية لأن امة مبنية إلى نقاء العرق الألمانى لا يمكن إلا وأن تكون محترمة ومؤيدة من قبل اليهود الذين يعلنون أنهم كذلك، ولا يمكنهم بالتالى أن يدينوا بالولاء والانتماء لأية امة اخرى.

فالتعاون الصهيونى النازى وصل سنة ١٩٣٥ عند اعلان قوانين نورمبرج التى نلاحظ فيها مطالبة يهودية بقوانين تفصل، وفعلا أيد اليهود على لسان حاخاماتهم وعلى لسان مسؤول اتحاد صهاينة ألمانيا، وعلى لسان نائب رئيس الاتحاد الصهيونى الدولى، المنظمة اليهودية الصهيونية الدولية، ايدوا قوانين نورمبرج لانها تسهل عملية الترانسفير، وهنا لابد من أن نصل إلى قضية خطيرة ومهمة جدا جدا جدا هى قضية "الهافارا". هذه القضية التى يعتم عليها الإعلام والباحثون، والتى يخاف منها اليهود أكثر من موضوع: الهولوكست.

الهافارا: هى الاتفاق الاقتصادى الذى عقد عام ١٩٣٣ واستمر حتى عام ١٩٤٢ تنفيذه لتهجير يهود ألمانيا إلى فلسطين، وفعلاً فى البداية كان اقتراح من مدير شركة الاستيطان بأن يفك الحصار عن ألمانيا ـ بعد أن كانت الدول الأوروبية فأرضة حصارا ـ بالطريقة التالية: أن يودع اليهودى الذى يريد الهجرة إلى فلسطين اموالة فى بنك فى ألمانيا، هذا البنك يشترى بها آلات زراعية وآلات عسكرية ومعدات ويرسلها إلى فلسطين، وهنا يأتى المزارع فيستعيد ثمنها من بنك فى فلسطين، والهافارا معناها "الترانسفير" Transferعندما وصلوا إلى هذا الاتفاق احتجت المنظمة الصهيونية لأن هذا الاتفاق حصل مع شركة خاصة. فعاد (هيدرج) الألمانى ودعا مسؤول المنظمة الصهيونية العالمية مع رئيس الشركة الخاصة التى كانت عرضت مع (حاييم أورلوزوروف) الذى ارسله (بن جوريون) خصيصا لهذه الغاية، اربعة مسؤولين صهاينة مع اثنين ألمان وعقد الاتفاق. ووقع فى برلين، وبمقتضى هذا الاتفاق حصلت عملية الهجرة ونقل "الرساميل" من ألمانيا إلى فلسطين.

قضية ترحيل اليهود إلى مدغشقر

فى استعراض سريع جدا: ٣٠ يناير ١٩٣٣ وصل هتلر إلى السلطة، ٥ آذار اخذ اكثرية "بالبونستاج"، ١٣ آذار أعلنت المقاطعة.. المجلس اليهودى الأمريكى أعلن مقاطعة ألمانيا، الأول من نيسان: اتخذه هتلر يوما رمزيا لمقاطعة اليهود، بنيسان نفسه حصلت حادثة مهمة جدا هى رحلة قام بها ضابط نازى مع زوجته مع شخص يهودى مع زوجته إلى فلسطين مشهورة برحلة (تاتش لار-منجلستان) جاؤوا إلى فلسطين لدراسة كيفية تهجير اليهود إلى فلسطين، وتمت هذه الرحلة فى ٢١ حزيران وجه الصهاينة Memorandumاول لهتلر، ١٤ تموز صدر قانون الجنسية. ٧ أب وقعت

"الهافارا" التى تحدثنا عنها. ٣٠ أب اعترضت الجمعية المركزية للصهاينة. فى اكتوبر فتح خط مباشر بين "هامبورج" و"حيفا" بغرض التهجير وباشراف حاخامية هامبورج. وفى سنة ١٩٣٥ صدرت صحيفة "الاجهزة السرية" الألمانية تقول فى افتتاحيتها: لم يعد بعيدا الوقت الذى تصبح فيه فلسطين قادرة على استقبال ابنائها الذين فصلوا عنها منذ أكثر من الف عام ترافقهم تمنياتهم الطيبة.

إنه لم يكن مقصود التهجير إلى مدغشقر، لأن شرط "الهافارا" هو ألا تمنح تأشيرات السفر إلا إلى فلسطين، بمعنى أن هناك اتفاق ليس بالصدفة، بمعنى بحثنا عن مدغشقر فوجدنا الطريق مقفلة فرحنا إلى فلسطين، لا... القضية كانت مبرمجة ومتفق عليها، لذلك ظل خط هامبورج ـ حيفا يعمل حتى سنة ١٩٤٢ وأنشئ مكتب خاص للهجرة فى (الجاستابو) نفسها.

بعد بداية الانتفاضة بثلاثة اسابيع فقط كتب شيمون بريز فى صحيفة "معاريف" يقول: "للمرة الأولى نخسر المعركة لاننا خسرنا الإعلام". وقد استعارت مجلة "لبوان" الفرنسية مقولة بيريز هذه لتبنى عليها موضوعا طويلا على امتداد ثلاث صفحات عن تحول الإعلام الغربى تجاه ما يحصل فى فلسطين. لا نقول أن هذا التحول هو تحول كامل، هناك اللوبيات اليهودية المسيطرة والتحول لا يكون بيوم وليلة.

المحور الثانى: أسطورة المحرقة وحقيقتها

قول الدكتور إبراهيم علوش: أن أسطورة المحرقة لها ثلاثة جوانب:

اولا: ادعاء سياسة الابادة الجماعية النازية ضد اليهود.

ثانيا: ادعاء مقتل ستة ملايين يهودى فى الحرب العالمية الثانية.

ثالثا: ادعاء غرف الغاز.

اهم جانب فى أسطورة المحرقة هو خرافة غرف الغاز، لأن غرف الغاز هى المكان الذى يفترض أن اليهود أبيدوا فيه، فإذا أثبتنا عدم وجود غرف غاز - وهذا هو ما فعله المؤرخون المراجعون بالعلم والحجة - تنهار أسطورة المحرقة بكاملها. نعم قضية المحرقة ليست مجرد قضية تاريخية، بل قضية سياسية واعلامية راهنة. اهمية الأساطير التى تدور حولها المحرقة بالنسبة للفلسطينيين والعرب والمسلمين أنها:

أولاً: المحرقة تبرر الحاجة لوجود دولة الاحتلال الصهيونى بحجة أن اليهود بحاجة إلى دولة خاصة بهم تعطيهم ملجأ آمنا.

ثانياً: أنها تبرر عدم التزام الحركة الصهيونية بقوانين الامم المتحدة والشرائع الدينية والدنيوية بحجة أن ما مر به اليهود فى المحرقة المزعومة يعطيهم الحق نوعا ما ببعض التساهل فى تطبيق القانون.

ثالثاً: أنها وسيلة لابتزاز الدعم المالى والسياسى من الرأى العام تحت تأثير عقدة الذنب الجماعية التى يجب أن يعيشها هذا الغرب بسبب المحرقة المزعومة.

كشخص عاش فى الولايات المتحدة أكثر من ثلاثة عشر عاما اعرف أن الغربيين يعرفون الكثير من الحالات عن انتهاكات دولة العدو لحقوق الإنسان العربى والأرض العربية، ولكنهم يتساهلون إزاءها بسبب المحرقة المزعومة، تتحدث لهم عن شىء يقولون لك دائماً المحرقة.

ومن هنا تنبع الاهمية الإعلامية والسياسية للمراجعين الذين يكشفون زيف أساطير المحرقة، هؤلاء ليسوا بنازيين، هؤلاء ينزعون السلاح الإعلامى الأقوى فى الترسانة الصهيونية من الغرب وهذا يساعدنا.

بالنسبة للمثقفين العرب الذين طالبوا الحكومة اللبنانية بمنع مؤتمر "المراجعة والصهيونية" فى بيروت هؤلاء خانوا دورهم كمثقفين، لأنهم طالبوا حكومة عربية بمنع نشاط ثقافى، وثانياً: خانوا دورهم كمثقفين عرب سياسيا. لأنهم عوضا عن مواجهة الصهيونية اصطفوا إلى جانبها وتبنوا خطابها، كما يفعل الاستاذ عفيف الان، الذى يبرر وجود دولة العدو والسياسة الصهيونية عموما.

فقبول المحرقة هو جوهر التطبيع الثقافى مع العدو الصهيونى، وهذا عندما يتحدثون عن حوار الآخر وفهم الآخر هذا فى جوهره محاولة لتوصيل أساطير المحرقة للعرب كما حصل فى الغرب. وطبعا هنا تجب الاجابة عن سر التقاطع هذا بين المؤسسات الصهيونية وبين موقف المثقفين الـ ١٤ (يقصد بالمثقفين الـ ١٤ ?المجموعة التى وقعت على عريضة مطالب تطلب من الحكومة اللبنانية الغاء مؤتمر المراجعة التاريخية للصهيونية، ومنهم: محمود درويش، أدونيس...).

حرية البحث الذى صادرها قانون (فابيوس جايسو) الذى يمنع حرية البحث، تقول المادة (٢٤) بالحرف من حرية الصحافة: يعاقب بالعقوبات المنصوص عليها فى قانون حرية الصحافة بالسجن والغرامة كل من راجع جريمة بحق الإنسانية كما نصت عليها نتائج محكمة (نورمبرج). فمحكمة نورمبرج نصت على أن مذبحة (كاتين) فى (بولونيا) ارتكبها النازيون عام ١٩٩٠ بعد سقوط الجدار، هكذا اكتشفت الحقيقة أن مذبحة كاتين ارتكبها (بيرا) قائد (ستالين). إذا كيف لا نراجع نتائج محاكمة "نورمبرج" والوثيقة التاريخية بينت أنها كذب؟ إن بعض الجرائم ألصقت زورا وبهتانا بهتلر والنازية، لأن التاريخ يكتبه المنتصرون ويكتبه الاقوياء دائما.

نقطة اخرى مهمة جدا، يقول أن هؤلاء المؤرخين الجدد هم الذين برهنوا للعالم أنه أرض بلا شعب.. شعب بلا أرض، الانتفاضة الأولى ـ وهذا قرأناه مئات المرات فى الإعلام الغربى ـ والانتفاضة الثانية، الفلسطينيون بصدورهم العارية، بأذرعهم الفارغة إلا من الحجارة هم الذين برهنوا أن أرض فلسطين لها شعبها وليست أرضا بلا شعب.

المؤرخون الجدد مع احترامى للبعض منهم هذا الموقف الانهزامى الضعيف نحن الذين برهنا أن هذه البلاد بلادنا وليس مؤرخ ومؤرخان. يقول المؤرخ والمراجع الفرنسى الشهير روبرت فوريسون، ردا على سؤال بان هناك من يقول بان عمليات المراجعة لتاريخ الصهيونية والحرب العالمية الثانية والمحرقة (الهولوكست) يضر بالقضايا العربية إلى ابعد الحدود وليس من مصلحتنا؟

يقول روبرت فوريسون: العالم العربى والعالم الإسلامى وفلسطين تناضل ضد الصهيونية، ما هو الأخطر بالنسبة للصهيونية وهو مراجعة التاريخ وهو ما اسميه "السلاح الذرى للفقراء"، أى مراجعة التاريخ والذى يثبت فيما يتعلق بالحرب العالمية الثانية بأن حقائق صعبة ومريرة بالنسبة للصهيونية. لقد أثبتنا ونحن نثبت دائماً بأنه لم يكن هناك مذبحة أو محرقة لليهود، ولم يكن هناك غرفا للغاز لليهود، ومن أن الرقم الستة ملايين ضحية هو عبارة عن مبالغة.

اضاف روبرت فوريسون: إذا اراد العرب أن يتقوا شر اليهود والصهاينة بالطبع فإن من مصلحتهم هو إلا يتحدثوا عن مراجعة التاريخ، هذا شىء واضح، ولكنى اقول شيئًا يمكن أن تتحققوا منه، وهو إذا اردتم أن تدافعوا عن فلسطين فإن ذلك لن يتم بالبنادق وبالمدافع ستستطيعوا

أن تفعلوا ذلك، وانما عن طريق قول الحقيقة حول اكبر كذبة فى القرن العشرين والقرن الحادى والعشرين وهى كذبة المحرقة. سأعطيكم مثالاً: فى القدس يوجد هناك نصب "ياد فاشيم" نصب المحرقة وهو نصب من أجل ضحايا المحرقة اليهود والصهاينة يتحدثون دائماً عن المحرقة. وباسم المحرقة حصلوا على سلطة كبيرة للغاية ويحصلون على اموال كبيرة ـ مقابل ذلك ـ من كثير من الدول وفى مقدمتها ألمانيا والولايات المتحدة، إذا حافظتم على هذه الكذبة فإنكم لن تقوموا بخدمة الفلسطينيين، يجب عليكم أن تقاتلوا بشكل جيد فى هذا المضمار".

ان المراجعين ـ أو المدققين هم من اليمين واقصى اليمين على سبيل المثال: (ميشال دوبوار)، (رسيبه)، (سارجتيون)، (بيير جليوم). اقصى اليسار (ميشال دى برا)، (هنرى روكيه) يمين.. اقصى اليمين (دانيال كول)، (لوجو فيتش)، (جون ساك) يهود.

المراجعة التاريخية ليست ايديولوجيا، هى منهج بحث علمى، ولذلك هى تضم فى صفوفها: يسار ويمين واقصى اليمين واقصى اليسار ويهود وأوروبيين وأمريكيين، فيها من كل الاطراف، ولكن الصاق تهمة اقصى اليمين بالمراجعة لاستثارة مشاعر العرب ـ أولاً ـ تجاه اقصى اليمين ومشاعر اليسار الدولى، ولكن من يريد أن يطلع على الاسماء يعرف ذلك.

بالنسبة لندوة بيروت لم تكن حول المراجعة التاريخية والهولوكست. وليس بحق اليهود وحدهم مشكلة المراجعين تكمن فى ثلاث نقاط أوردها الدكتور إبراهيم علوش هى قصة العدد، غرف الغاز، وقصة ثالثة مهمة جدا هى "قصة الفرادى"، ما يسمى بالفرادى أو بالخصوصية، مؤخرا

حصلت مظاهرة فى فرنسا أمام قصر العدل، اولاد ضحايا فرنسيين غير يهود طالبوا الحكومة بأن تحدد لهم تعويضات اسوة باولاد الضحايا اليهود. فتظاهر اليهود أمام باب المحكمة، وشتموا القاضى ـ كما لم يحصل سابقا فى فرنسا ـ وصرح (سيرجى كلارس فيلد): "ان الضحايا اليهود هم فصيلة تتمتع بالأولوية لا يجوز مساواتها بباقى الضحايا". الحكم الذى صدر بحق جارودى كان على جملة واحدة، قال فيها: "ان قتل برئ واحد سواء كان يهوديا ام غير يهودى هو جريمة بحق الانسانية"، لقد اعتبرت المحكمة أن سواء كان يهوديا ام غير يهودى هو تقزيم للجريمة لانه ساوى اليهود بالاخرين.. بغير اليهود، وهم شعب الله المختار.

كلمة الهولوكست خطأ أن نستعملها لانها تعبير دينى يهودى. يعنى حرق، حرق الضحية حتى الرماد لكى يستجيب الله للتعويض، ولذلك يقول الحاخامات أن اسرائيل هى رد الله على الهولوكست فإذن الاستغلال يتم على صعيد مالى (ناحوم جولدمان) يقول: "لم يكن لى أن اتصور قيام إسرائيل لولا التعويضات، استلمت اسرائيل قبل شهر واحد خمسة غواصات نووية ألمانية، دفعت ثمن واحدة منها فقط، وأثمان الباقى اعتبرت تعويضات.

هذا قبل شهر، إذن هناك الاستغلال المالى، هناك الاستغلال الثقافى الذى تجلى فى تهويد الثقافة الغربية وتهويد المسيحية الغربية. والثالث هو الابتزاز السياسى كما رأينا مع رئيس الوزارة.

الان تهويد للعقل العربى، إذا المراجعون لا يبرؤون النازية، نحن ندين كل العنصرية بما فيها النازية والصهيونية.

النقطة الأخرى معاداة السامية، فهذا سيف يستل فى وجه كل من يعارض اسرائيل، ولكن هذا السبب هنا يجب أن ننتبه له، هذا السبب الذى يجعل اللوبيهات الصهيونية والمؤسسات ترتعد من انتشار المراجعة فى الأوساط العربية، لانه عند العرب لا يمكن اتهامنا باللاسامية، أنهم لا يستطيعون أن يتهمونا باللاسامية، نحن الساميون، كيف يتهموننا بالسامية؟!

يقول الحاخام (كوبر) فى (ميامى هيرالد)، فى مقال جاء بأخره: "ان اخطر ما فى القضية أن ينتشر هذا الفكر فى الشرق الاوسط لأن عند ذلك سيسبب أعمال عنف لا يمكن أن تحصل فى أوروبا". فهم واعون تماما لهذه القضية.

تعاطى الإعلام العربى والعالمى للصهيونية

بن جوريون كان يقول إن يهود المنفى يستحقون ذلك (أى المحرقة)، حتى (شيمون بيريز) فى كتابه (حوار طويل) بالفرنسية يقول: "ان يهود المنفى الذين يرضون بالاندماج يستحقون ذلك". هذه نظرية يهودية صهيونية، ليس فقط عوفاديا يوسف يستحق برأيهم المحرقة واكثر ولكننا نعود فنكرر: ليس هناك محرقة يهودية، هناك محرقة فلسطينية تجرى الان، ومن العيب التآمر عليها بتكرار مقولات الإعلام الغربى.

يقول السيد مازن العليوى من السعودية (عن صحيفة الوطن): تقدم اليوم رؤية حقيقية مدى التخبط الذى تعيشه الساحة الثقافية فى بعض اشخاصها... وكذلك عن خفايا بيان المثقفين الذين يرتبطون بالمراجعة التاريخية... الذين وقعوا البيان لرفض المواجهة التاريخية من خلال عدم ربطه بالقضية بالفلسطينية مما يقود إلى فارق الرؤية والتفكير ما بين الداخل والخارج، فمن فى الداخل يرى المسألة بشكل مباشر: معاناة

حقيقية ومن فى الخارج ينظر اليها على أنها بعد فى النظر، ولكن الشارع العربى ضاع بين التيارين فى دوامة أو بين الإشكاليتين.

إشكالية البيان وإشكالية جديدة ظهرت مؤخرا هى الترجمة إلى العبرية. والإشكاليتين تتعلقان بالصهيونية من قريب أو من بعيد مع ملاحظة تكرار بعض الاسباب فى الحالتين، والحقيقة التى لمستها عن قرب فى صحيفة "الوطن" السعودية التى طرحت الإشكاليتين عبر المداخلات التى وصلتنا من القراء، وهى أن المثقفين الذين صنعوا الإشكاليتين فى واد والشارع العربى فى وادٍ اخر.

من جهة اخرى، انتقل الجدل فى شأن كتاب "صناعة الهولوكست" لليهودى الأمريكى "نورمان فينكلشتاين" إلى فرنسا، حيث صدر قبل اسبوع، وكان هذا الكتاب الذى يهاجم المنظمات الصهيونية فى أمريكا، نشر فى تموز الماضى فى الولايات المتحدة وبريطانيا ثم فى ألمانيا. ويركز على أن هذه المنظمات، بدءاً من المؤتمر اليهودى العالمى، تستغل معاناة اليهود من ضحايا المحرقة. ويعتبر أن صناعة حقيقية لهذه الذكرى نشأت منذ العام ١٩٦٧ واهدافها الرئيسية ابتزاز المال من أوروبا وتبرير سياسة إسرائيل الاجرامية حيال الفلسطينيين باسم وحدانية الابادة اليهودية.

ويتهم فينكلشتاين فى الكتاب الذى يقع فى ١٦٠ صفحة، هذه المنظمات بـ الابتزاز على حساب سويسرا وألمانيا باسم ضحايا الهولوكست الذين يشتكون من عملية جديدة لانتزاع الملكية.

الصهيونية والنازية واشكالية التعايش مع الاخر

هناك كتاب هو فى الاصل رسالة ماجستير فى العلوم السياسية من جامعة آل البيت فى الأردن، يجرى هذا الكتاب مقارنة بين الصهيونية

والنازية لتبيان اوجه الشبه بينهما فى المنطلقات الثقافية والأيديولوجية وفى الممارسات العملية لفكرة التعايش السلمى مع الاخر، وهو تحديد ألزمت به الباحثة نفسها كما يبدو مسبقا، ورغم منطقية التشابه فقد كان احرى منهجيا أن تكون مقارنة علمية مطلقة تتوصل إلى التشابه والاختلاف، وليس التزاما مسبقا بالتشابه بين المنظمتين الصهيونية والنازية.

رؤية النازية والصهيونية لمفهوم التعايش السلمى

تعرض الدراسة حقيقة التشابه بين حركتى الصهيونية والنازية فى المنطلقات الثقافية والأيديولوجية تجاه "الذات" وتجاه فكر التعايش السلمى مع الآخر وفى الممارسات العملية لها وهذا ما يؤدى إلى التشابه فى النتائج أيضًا.

تبدو النازية مختلفة عن الصهيونية فى المنطلقات الثقافية والأيديولوجيات التى تنطلق منها، والتى حالت دون أن تتعايش سلميا مع الآخر مع توضيح الممارسات العملية لها.

لكن رصد وتحليل المنطلقات الثقافية والأيديولوجية التى تستند اليها الصهيونية فى نظرتها تجاه الآخر وتجاه التعايش السلمى معه وتبيان التجسيد العملى لها، والمقارنة بينهما لدى الحركتين تظهر تشابها فى النتائج.

فكلتاهما ترفضان التعايش السلمى مع الآخر وتعليان من شأن العنف والعنصرية والشعور بالتميز والتفوق والاتجاه التوسعى الاحتلالى، فهل ستنتهى الصهيونية إلى ما انتهت اليه النازية؟يسهل أن تكون الاجابة بنعم إذا كانت هذه المنطلقات هى المسؤولة عن نهاية النازية، وهو ما يحتاج

إلى اثبات لم يظهر فى الكتاب. لكن يمكن القول منطقيا أن الصهيونية مرشحة لأن تنال مصير النازية، لكن ماذا عن الصعود الجديد للنازية فى ألمانيا والنمسا؟ وصعود اليمين المتطرف بعامة فى أوروبا؟ أليس مؤشرا على عودة ونجاح وهيمنة هذه المنظمات؟

وبالتالى ألا تبدو الصهيونية وفق هذا المعيار مرشحة للصعود والنجاح. وهو تغيير ملحوظ فى السياسات والاتجاهات الشعبية والجماهيرية فى إسرائيل، تجلى فى نتائج الانتخابات الإسرائيلية فى السنوات الاخيرة، وفى انحسار اليسار الإسرائيلى.

تعتمد المؤلفة على أن التشابه فى المنطلقات الثقافية والأيديولوجية وفى الممارسات العملية للتعايش السلمى مع الآخر بين حركتين سياسيتين أيديولوجيتين يؤدى إلى تشابه فى النتائج ايضا، وهى تعتقد أن الصهيونية والنازية متشابهتان، وهو امر يحتاج إلى جدل طويل.

تعرض الدراسة المفاهيم الأساسية التى تسعى لتطبق عليها تجربة الصهيونية والنازية، مثل التعايش السلمى، وهو مصطلح اطلقه لينين عام ١٩١٧ دون أن يحظى باهتمام، وقد اعيد احياء التعامل به مجددا خلال الحرب العالمية الثانية.

بعد ذلك تعرض الكاتبة رؤية النازية والصهيونية للمفهوم، والممارسة العملية لهما فى هذا المجال، ثم تناولت النظرة التوسعية عند كل من النازية والصهيونية بالبحث اولا فى المنطلقات الثقافية والأيديولوجية عند كل من النازية والصهيونية ومن ثم تبيان الممارسات العملية لهما عند كليهما.

كما قلنا سابقا تطرق البحث إلى أوجه التشابه بين النازية والصهيونية التى تمثلت خاصة فى أن كلا منهما تسعى نحو السيطرة والهيمنة.

والنازية قد رفعت مقولة "ألمانيا الكبرى" التى تتحقق من خلال سيادة العرق الآرى على أوروبا بدعم قوة الدولة العسكرية وباحتلال الأراضى وضمها وتحقيق تفوقها العسكرى ونفوذها الاقتصادى والسياسى وهى امور جمع هتلر بينها حينما قال أن مستوى ألمانيا الاقتصادى كان يرتفع كل مرة بتزايد نفوذها السياسى ويشتد ساعدها فى المجال الدولى الفسيح.

ويقول هتلر أن انصراف الأمة إلى الاقتصاد وحده كان يتم دائماً على حساب فضائلها القومية ومناقبها ومثلها ولا يلبث أن يسبب انهيار الاقتصاد معها، حيث لم تقم دولة قط على الاقتصاد السلمى.

وفى المقابل نجد أن الرؤية ذاتها تشكل مركزا اساسيا فى فكر الصهيونية واستراتيجيتها التى طالما سعت إلى بناء "إسرائيل الكبرى" من خلال تحقيق هيمنتها وسيطرتها على المنطقة بالتوسع باحتلال الأراضى وضمها، وكانت المشاريع الاقتصادية الإسرائيلية مخططات توسعية واستراتيجية لتكريس الهيمنة الإسرائيلية على المنطقة.

الفروق بين الصهيونية والنازية

ثمة فروق بين الصهيونية والنازية تلاحظها المؤلفة منها أن النازية فى منطلقاتها ورؤاها الفكرية وممارساتها العملية ترجع إلى اساس عرقى، بينما تستند الصهيونية فى منطلقاتها ودعواها وممارساتها العملية إلى العامل الدينى بانتقاء نصوص مختارة من التوراة والتلمود لتدعيم مزاعمها.

الصهيونية تعمل تحت ذريعة العودة إلى أرض الميعاد واستطاعت التسلل ثم التغلغل فى أرض فلسطين والاستيطان فيها تمهيدا لغزوها

واحتلالها وطرد الآلاف من الفلسطينيين لتوطين اليهود الذين جلبتهم من جميع أنحاء العالم بدلا من السكان الأصليين.

انبثقت النازية ونمت وتطورت ضمن سياق تاريخى ألمانى يحمل موروثا فكريا وثقافيا لفلاسفة ومفكرين ألمان كانت لهم اثارهم الواضحة فى الفكر النازى مع الاستفادة من المناخ الفكرى الغربى الذى كان سائدا انذاك، والذى ساهم فى تزكية بعض الافكار التى اعتنقتها النازية.

اما الصهيونية فقد ولدت ونمت فى الغرب مستفيدة من المناخ الفكرى والثقافى الذى كان سائدا آنذاك ومن ثم انتقلت إلى فلسطين لتصنع لها هناك تاريخا ووجودا وكيانا بعد أن وقع الاختيار عليها من بين بلدان عديدة.

فهى فلسفة واستراتيجية مستعارة لتطبق فى غير بيئتها وسياقها، إذ أن اليهود ليسوا شعبا أو قومية مستقلة، وعلاقتهم بالمكان والأرض (فلسطين) ليست حقيقية لتنشئ فكرا قوميا ووطنيا.

ولا يعقل أن شعبا غادر أرضه نحو الفى عام يملك هذه العلاقة مع المكان والأرض، ففى هذه الحقبة تنشأ علاقات مكانية وثقافات ولغات مختلفة ومتعددة، وهذا يشجع على استنتاج أن الصهيونية ليست فكرة يهودية، لكنها فكرة أوروبية وبالتحديد بريطانية مستمدة من مصالح واستراتيجيات الغرب ولا علاقة لها باتجاهات قومية أو فكرية وفلسفية لدى اليهود.

النازية والصهيونية وسياسات الاخر

حظيت الصهيونية والنازية بمحاولات سياسية استرضائية لتوظيفها أو تقليل عداوتها ومخاطرها. هذه السياسة التى تقوم على التهدئة وتقديم التنازلات الإقليمية أو السياسية أو التعاقدية لدولة أو قوة معادية بغية تجنب الحرب. كانت فى المحصلة استرضاء لعدو على حساب مبادئ

أو حقوق معينة تجنبا لشره وعداوته، من خلال ابرام اتفاقيات ومعاهدات يطلق عليها اسم معاهدات سلام.

فى التجربة النازية نقض هتلر معاهدة فرساى فى عام ١٩٣٥ ولم تنجح المحاولات الفرنسية البريطانية فى تحقيق تسوية تعطى للمتطرف النازى حقوقا اضافية مقابل حماية الحدود الأوروبية.

ولم يلتزم هتلر بخطابه الذى أعلن فيه أى مطامع ألمانية فى أراض فرنسية، واحترامه لمعاهدة لوكارنو التى تقضى بجعل منطقة الراين منزوعة السلاح. فاحتلت القوات الألمانية فى عام ١٩٣٦ اقليم الراين منتهكة الاتفاقات السابقة التى وقعت عليها ألمانيا.

وقدمت بريطانيا فى عام ١٩٣٧ مجموعة من التنازلات لألمانيا فى أوروبا الشرقية مقابل التزام ألمانيا باحترام سلامة الإمبراطورية البريطانية، ولكن هتلر أعلن فى عام ١٩٣٨ ضم النمسا إلى الرايخ الألمانى منتهكا المعاهدة التى عقدها مع النمسا قبل سنتين فقط، والتى اكدت فيها ألمانيا اعترافها بسيادة النمسا والتزامها بعدم التدخل فى شؤونها الداخلية.

وهكذا قد فشلت جميع الاتفاقيات التى عقدت مع هتلر وكذلك المحاولات الاسترضائية والتنازلات التى قدمتها أوروبا لتجنب الحرب واشعل هتلر حربا عالمية مرعبة.

مستقبل الصهيونية فى ضوء التجربة النازية

واخيرا تناولت الباحثة فى كتابها مستقبل الصهيونية على ضوء التجربة النازية بعد توضيح رؤية النازية والصهيونية لمفهوم التعايش السلمى مع الآخر ومن خلال تبيان منظورهما لسياسات الاخر.

وهنا تجد الباحثة أن سياسة إسرائيل تؤدى بها إلى الاضمحلال والزوال فى المستقبل شأنها فى ذلك شأن النازية التى تقل عنها من حيث

السياسة والتفوق الذى حققته فى الماضى وكل هذا راجع إلى سياسة إسرائيل الخارجية الموسومة بالتطرف والرامية دوما إلى التصعيد والاحتلال وشن الحروب بالإضافة إلى الازمات الاقتصادية والاجتماعية التى تعتريها والى حالة الفساد الداخلى التى تصدع جوانبها.

وكل هذه التكهنات تأتى استنادا إلى مبدأ تعميم النتائج لتشابه المعطيات حيث أن الامم التى تنحرف فى تصرفاتها عن المواقف المتوقعة التى تشكل شرطا لوجود المجتمع الدولى كثيرا ما تقطف ثمرة انحرافها.

بالاضافة إلى الاسباب السابق ذكرها هناك اسباب اخرى تعتبر عوامل داخلية ومأزق ومشكلات تواجهها الصهيونية التى تشكل مثار جدل بين صفوف المجتمع الإسرائيلى، وقد اشارت اليها الباحثة بالتفصيل. ويمكن ذكرها فى نقاط هى الاعلاء من شأن العرق ونقائه، والشعب المختار، وعدم الاختلاط مع الآخر بدعاوى عنصرية قائمة على التصنيف الثنائى للبشر والتمييز العنصرى، وانعكاس الرؤى والتعاليم النازية والصهيونية على المناهج التعليمية.

وتعتبر هذه الاخيرة حالات وسياسات تصطدم مع الاتجاه الفكرى والإنسانى السائد، وإذا كانت الصهيونية امتلكت بعض شروط التكيف مع المتغيرات العالمية، واستطاعت الاستمرار حتى الآن فإن ذلك التكيف لا يعنى قدرتها على الاستمرار، لأن الاتجاه العالمى ومنطقه سيتغلب فى النهاية وهو اكبر من أى انحراف تحاوله فئة منشقة من البشر.

فلسطين والنازية

ثمة من يتحدث عن علاقة فلسطين بالاشتراكية القومية (النازية)، لكن المؤرخ رينيه فيلد أنغل يبين فى دراسة له حول الموضوع أنه لا يمكن الحديث عن تأييد الجماهير الفلسطينية للنازية تأييداً متواصلاً.

غوتس نوردبروخ يستعرض هذه الدراسة

تعتبر "موسوعة الهولوكست" (موسوعة المحرقة) واحدا من اقدم المراجع المختصة فى عمليات الابادة التى تعرض لها اليهود فى ألمانيا إبان الحقبة الاشتراكية القومية (النازية) كذلك توجد فى هذه الموسوعة مقالة مفصلة حول مفتى القدس الحاج امين الحسينى. وحتى أن هذه المقالة تتجاوز فى طولها المقالة التى تتناول شخصية أدولف هتلر. اما دراسة المؤرخ رينيه فيلد أنغل التى صدرت مؤخرا فهى مكتوبة باسلوب ينم عن اعتراض على كتابة للتاريخ تتجلى بهذه الاهمية المقامة للمقالات. لا يقوم فيلد أنغل فى كتابه الذى يقع فى أكثر من اربعمائة صفحة فقط بعرض صور جديدة من اشكال تلقى وادراك الفلسطينيين المعاصرة للنازية. إذ يجدر الاهتمام قبل كل شىء بنقده الموجه إلى الدراسات والأبحاث التى اجريت حتى الآن حول موقف الجماهير الفلسطينية تجاه الاشتراكية القومية (النازية).

يعالج فيلد أنغل فى التصنيف الشامل لدراسته ضمن الأبحاث الموجودة أكثر من مرة كتابا لا يزال يقابل حتى الآن بالكثير من المديح والثناء، تم نشره فى العام الماضى من قبل كلاوس - ميشائيل مألمان ومارتين كوبرس.

نقد للابحاث التى اجريت حتى الان

يصل المؤلفان فى كتابهما الذى يحمل عنوان "هلال وصليب معقوف - الرايخ الثالث، العرب وفلسطين". والذى يتم تقديمه على أنه "اول عرض شامل" للعلاقات العربية النازية، إلى نتيجة مفادها أن الهزيمة التى منى بها الألمان فى شمال افريقيا هى وحدها التى حالت دون "ابادة ألمانية عربية مشتركة" لليهود - حسب تعبير المؤلفين.

لقد وقف المواطنون العرب فى فلسطين ولكن أيضاً فى البلاد العربية الأخرى مستعدين، فى آخر الأمر حسب نظرية مألمان وكوبرس، من أجل البدء بعد زحف القوات الألمانية إلى مصر بعملية ابادة اليهود.

لا يخفى فيلد أنغل رأيه فى هذه النظرية: لقد كانت سياسة الابادة تجاه اليهود باداء ذى بدء جريمة ألمانية، كما لا يخطر على بال احد أن يفكر بشكل جاد - مثلما يضيف فيلد أنغل - فى الحديث عن "ابادة جماعية ألمانية فرنسية" لليهود، نظرا إلى تعاون السلطات الفرنسية مع الألمان. كذلك لا يدع فيلد أنغل مجالا للشك فى وجود تعاون وتقارب أيديولوجى مع الألمان أيضاً فى فلسطين - مع الحاج امين الحسينى باعتباره مثالا بارزا. بيد أن تقييمه لمواد ارشيفية موجودة فى ألمانيا وبريطانيا وإسرائيل بالإضافة إلى تقييمه قبل كل شئ لمصادر فلسطينية معاصرة يبين أنه لا يمكن الحديث عن تأييد الجماهير الفلسطينية للاشتراكية القومية (النازية) تأييداً غير منقطع.

فهكذا كانت اتصالات الحاج امين الحسينى الايديولوجية والسياسية تواجه معارضة صريحة أيضاً بين اوساط المواطنين العرب. انعكست هذه الجدالات أيضاً فى تقارير وريبورتاجات الصحف العربية، التى كانت تنشر فيها كل من التعليقات المؤيدة والمعارضة للاشتراكية القومية (النازية).

ابتعاد عن الاشتراكية القومية

على الرغم من نشر بعض التقارير حول جهود هتلر المزعومة، إلا أن صحيفة "فلسطين" المشهورة على سبيل المثال كانت تدافع عن مجتمع ديمقراطى.

لم يستبعد الاعجاب بحالة الشغف والنشوة القومية فى ألمانيا وتأثير شخصية هتلر فى تعبئة وحشد الجماهير وجود نقد اساسى للمعتقدات الأيديولوجية الاشتراكية القومية (النازية). وحتى أن القوميين المتشددين العرب كانوا ينأون بانفسهم طبقا لذلك من وجهة نظر أيديولوجية عن المعتقدات الاشتراكية القومية (النازية).

"صحيح أنهم كانوا ينحازون جزئيا إلى معاداة السامية والعنصرية، بيد أنهم لم يشتركوا فى أى شىء مع طبيعة النظام الاشتراكى القومى (النازى)".

يصل فيلد أنغل أيضاً فيما يخص سنين الحرب إلى نتائج تختلف فى بعض النقاط الجوهرية عن فرضيات شائعة يتم تبنيها فى الأبحاث، فعلى سبيل المثال لم يقابل زحف القوات الألمانية فى شمال افريقيا بتحمس واعجاب فى فلسطين، على عكس ما كانت عليه الحال لدى بعض فئات الجماهير المصرية.

تقويم الصورة الشائعة

اذ أن اسطورة "ثعلب الصحراء" لم تجد مكانا لها فى الصحف العربية "الفلسطينية" ـ حسب وصف فيلد أنغل، هذه الاسطورة التى كثيرا ما يتم اتخاذها رمزا يدل على الاعجاب العربى بالاشتراكية القومية. "ذلك بسبب اعجاب بعض العرب فى مصر وفى بلدان عربية اخرى بهذا الجنرال الألمانى وبالحرب ضد بريطانيا العظمى كونها دولة استعمارية".

يرد فى كتاب فيلد أنغل الكثير من مثل هذه الاراء، التى تقوم الصورة الشائعة عن حالة الشغف والنشوة المناصرة لألمانيا فى فلسطين. لهذا السبب فإن هذا الكتاب يعتبر حقا بمثابة مساهمة فى الجدال المتواصل

حول العلاقات الايديولوجية والسياسية للحركات العربية فى ذلك الحين مع الاشتراكية القومية (النازية).

يبقى أن نتمنى أن تحظى دراسة المؤرخ فيلد أنغل بقدر من اهتمام مماثل للاهتمام الذى حظى به مألمان وكوبرس من خلال نظرياتهما.

النازية وصلت إسرائيل

أخر شىء كان يمكن للإسرائيليين توقعه أن تظهر بين اليهود جماعات تحمل شعارات هتلر وتحتفل بعيد ميلاده وتشن هجمات على اليهود فى حدث هز إسرائيل بعنف، وهى التى قال زعماؤها ومؤسسوها قبل قيامها بانها تؤسس دولتها خلاصا من مذابح هتلر التى قتل فيها، كما يقولون ٦ ملايين يهودى هؤلاء النازيون الجدد يهاجمون الإسرائيليين من مختلف النوعيات ويركزون بصفة خاصة على المتدينين ومدمنى المخدرات والشواذ بل والعمال أيضًا. وكشفت الشرطة الإسرائيلية عن أن هذه الجماعة لديها خطط للقتل وقد عثر لديهم على اسلحة بيضاء ومتفجرات وملابس من التى كان يرتديها النازيون وصور لهتلر. إن اكتشاف إسرائيل لوجود هذه التنظيم النازى بدأ منذ عام مضى عندما لاحظت الشرطة وجود الصليب المعقوف رمز النازية مرسوما على جدران معبد لليهود قرب تل أبيب، وظلت التحقيقات مستمرة مع الذين تم القبض عليهم طوال العام الماضى.

وينتمى اعضاء جماعة النازيون الجدد إلى عائلات من اليهود السوفيت الذين كانوا قد هاجروا إلى إسرائيل طبقا للقانون الإسرائيلى المسمى "قانون العودة" والذى يسمح لأى شخص يكون احد اجداده من اليهود بأن يصبح مواطنا إسرائيليا، وحسب القواعد الدينية المشددة فإن

عددا كبيرا من المهاجرين السوفيت لم يتم اعتبارهم يهودا بالرغم من السماح لهم بالهجرة إلى إسرائيل وتعرضوا للتمييز العنصرى فى معاملتهم بالمقارنة بغيرهم من الإسرائيليين.

ويرى بعض المراقبين أن احد اسباب هذه الظاهرة والتى اوجدت داخل إسرائيل تنظيما من ابنائها هدفه اعلان الحرب على الدولة اليهودية أن إسرائيل وإن كانت فى بداية انشائها قد سعت إلى جذب اصحاب العقول المفكرة والعلماء والمتفوقين، خاصة من الدول الأوروبية الغربية والشرقية إلا أنها بدأت بعد ذلك فى فتح الباب على مصراعيه أمام هجرة أى يهودى إلى إسرائيل دون الحرص على التأكد من النوعيات التى تهاجر اليها.

ولم يكن يهمها أن يكونوا متطرفين أو من دعاة العنف أو الفاشلين فى بلادهم. ولذلك كان من السهل أن يأتى ضمن افواج المهاجرين نوعيات لا علاقة لها باليهودية كدين حتى وإن كانوا يهودا ولا يلتزمون بأى احكام للقيم والقانون والنظام.

وقد ظهر ذلك بشكل أكثر وضوحا بين ابناء الاسر اليهودية المهاجرة من الاتحاد السوفيتى، وكان عددهم يزيد على مليون شخص، بدأ تدفقهم على إسرائيل من الاتحاد السوفيتى خلال فترة التسعينيات، وطبقا لقانون الاستيعاب والهجرة، فإن ٣٠٠ الف شخص منهم لم يتم اعتبارهم يهودا وإن كانوا يحملون الجنسية الإسرائيلية، وذلك طبقا للقواعد المطبقة دينيا فى إسرائيل فإن اليهودى هو فقط الذى كانت امه يهودية وليس اباه.

وقد نقلت صحيفة التايمز البريطانية تصريحا لوالدة رئيس هذه الجماعة، وهو إيلى بوانيتوف، وعمره ١٩ سنة، حاولت فيه تبرئة ابنها

وقالت أن السلطات الإسرائيلية لم تفعل شيئا لمساعدة المهاجرين الروس الذين يعانون فى إسرائيل من التمييز العنصرى المنظم وأن ابنها هو احد هذه النماذج وإن كانت قد حاولت نفى علاقته بالنازية واكدت أن عائلتها عانت كثيرا تحت الحكم النازى.

وقد اثار اكتشاف هذه الجماعة حالة من الصدمة الشديدة فى إسرائيل دعت الكثيرين للمطالبة بتشديد الاجراءات التى كان تخفيفها قد سمح لاعداد كبيرة من سكان الاتحاد السوفيتى السابق وكذلك اليهود الإثيوبيين لكى يصبحوا مواطنين إسرائيليين، وقالوا أن علينا أن نخلص انفسنا من هذا الشيطان الذى اصبح يسكن فى قلب إسرائيل.

وتقول صحيفة التايمز أن من المعتقد أن بوانيتوف زعيم هذه الجماعة له علاقة اتصال منتظمة مع تنظيمات النازيين الجدد فى العالم، وإن بوانيتوف ومجموعته رسموا وشما على اجسادهم يحمل شعارات النازية.

وقد صرح الضابط الإسرائيلى المكلف بالتحقيق فى هذه القضية، واسمه ميجور ريفيتال ألموج، بان هذا المستوى من العنف لدى هذا التنظيم يمثل شيئا مروعا وهذه هى أول مرة نلقى فيها القبض على هذا العدد الكبير من الافراد اعضاء جماعة منظمة من النازيين الجدد.

ان الإسرائيليين حتى وإن كانوا يعتبرون أن العرب هم عدوهم إلا أنهم يشعرون فى اعماقهم بانهم لم يعانوا طوال تاريخهم من عدو اشد مما عانوه على يد هتلر والنازية، حتى أنهم قد جعلوا من هذا الموضوع جزءاً رئيسياً من تراثهم ومادة اساسية تدرس لتلاميذهم.

واقاموا للمذبحة التى نفذها هتلر ضد اليهود المتاحف فى إسرائيل والولايات المتحدة حتى لا ينسى اليهود هذه الذكرى وتظل عالقة فى

اذهانهم، ولذلك فإن مولد تنظيم نازى داخل إسرائيل يمجد هتلر واعماله ويكون افراده من اليهود الإسرائيليين انفسهم يعتبر حدثا لابد أن يهز العقل الإسرائيلى بعنف خاصة وإن زعماء إسرائيل حاولوا منذ قيامها عام ١٩٤٨ وحتى اليوم أن يغرسوا فى عقول اليهود أن العرب هم عدوهم.

بالرغم من أن الإسرائيليين جاءوا إلى فلسطين يستولون على الأرض ويقتلون اصحابها فى مذابح جماعية للفلسطينيين الذين لم يكونوا يحملون أى عداء لليهود ولليهودية كديانة إلى أن ظهر لهم أن هناك عدوا من بينهم ومن ديانتهم يقدس كل ما ارتكبه هتلر معهم وهذا إن دل فانما يدل على أن اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفيتى أو ممن يعانون من التمييز العنصرى يواجهون مصاعب وانتهاكات وتمييز ضدهم يجعلهم يشكلون تنظيما يمثل النازيين اشد اعداء اليهود على مدى تاريخهم.

وقد ظهر عدد من الكتاب الإسرائيليين ممن نادوا بالعكس، فلنقرأ هذه الكلمات:

"لابد من مراجعة قانون العودة"، "يجب إلا تكون إسرائيل" دولة يهودية"، "الإسرائيليون اصبحوا امواتا، ولكن لم يبلغهم احد بذلك، لكنهم فى واقع الأمر اموات"، "ثمة اوجه شبه بين الدولة الصهيونية والنازية".

لو صدرت هذه العبارات عن أى شخص غير يهودى، فى الغرب أو فى الشرق، لكان ذلك كافيا لأن تكال ضده الاتهامات بمعاداة السامية (او معاداة اليهود واليهودية)، إلا أن قائلها هو "إبراهام بورج"، الذى تولى من قبل رئاسة الكنيست والوكالة اليهودية، فى كتابه الجديد الانتصار على هتلر، ولهذا اخذت كلماته على محمل الجد، واثارت وما زالت تثير جدلا واسعا فى الكيان الصهيونى.

ونظرا لأهمية اراء "إبراهام بورج" هذه، وخاصة فى سياق النقاش فى الدوائر السياسية العربية حول امكانية التعايش مع هذه الدولة والتوصل إلى "سلام" معها، يجدر القاء الضوء على اهم ما جاء فى كتاب "بورج"، الذى يعكس إلى حد كبير المزاج العام لدى كثير من الإسرائيليين بعد أكثر من ٥٠ عاما على تأسيس الدولة الصهيونية، وبعد نحو قرن من الصراع العربى الصهيونى. ويستند هذا العرض إلى المصادر التالية: (المشهد الإسرائيلى، اصدار مؤسسة مدار، رام الله، فلسطين المحتلة، ٥ يوليو ٢٠٠٧ ?حلمى موسى، "الانتصار على هتلر ام انتصار هتلر"، المشهد الإسرائيلى، ١١ يونيو ٢٠٠٧" ?صهيونية إبراهام بورج الجديدة"، مجلة فور وارد الأمريكية، ١٣ يوليو ٢٠٠٧ ?صحيفة هآرتس، ٨ يونيو ٢٠٠٧).

يرى بورج أن المجتمع الإسرائيلى يتألف من أناس معاقين نفسيا وينتابهم الرعب والخوف ويستخدمون القوة لأن هتلر تسبب لهم فى ضرر نفسى عميق.

يتعرض "بورج" فى كتابه الساخن الكاشف هذا لكثير من القضايا من اهمها قضية "الدولة اليهودية" وطبيعتها وقدرتها على البقاء، فيقول:

"ان تعريف دولة "إسرائيل" على أنها دولة يهودية هو مفتاح نهايتها، فدولة يهودية هى مادة متفجرة، لانها لا يمكن أن تكون "دولة يهودية وديمقراطية" فى الوقت نفسه... الدولة فى تصورى هى مجرد اداة، وليست قيمة روحية أو دينية. وعندما توصف "إسرائيل" بانها دولة يهودية، ثم تضاف عبارة "فجر خلاصنا". (وهى عبارة ترد فى دعاء الحاخام الاكبر لدولة "إسرائيل") فلابد أن يؤدى هذا إلى الاعتقاد بضرورة أن تستولى الدولة اليهودية على الأراضى الفلسطينية الواقعة

من النهر (نهر الأردن) إلى البحر (البحر الأبيض المتوسط) وإن تهيمن عليها كواجب دينى. فإذا كانت الدولة "يهودية"، فإنهاتستند إلى قدر من القداسة، وقد عرف موسى "التوراتى" القداسة بانها عملية مستمرة تأخذ شكل افعال ومواقف من الآخرين ومن الإله. واخشى ما اخشاه هو القداسة الإلهية، فقد تؤدى إلى التعصب القومى واقصاء الآخرين والى مظاهر سلبية كثيرة بين الافراد والامم".

ولا يكتفى "بورج" بتوجيه هذه الانتقادات إلى مفهوم "الدولة اليهودية"، الذى استندت اليه الحركة الصهيونية، بل يذهب إلى حد القول: أنه لم يعد يعتبر نفسه صهيونيا، وأنه "يجب ابقاء هرتزل خلفنا"، فى إشارة إلى صاحب فكرة "دولة اليهود" ثيودور هرتزل. على أن يبعث من جديد فى الوقت نفسه "آحاد هعام"، وهو مفكر صهيونى صاحب مدرسة "الصهيونية الروحية" التى ترى أن الدولة الصهيونية هى مجرد مركز ثقافى ليهود العالم، وليست دولة تسعى إلى جمع كل يهود العالم.

وينتقل "بورج" إلى عنصر آخر يشكل جانبا جوهريا فى الفكر الصهيونى وفى الممارسات التى تستند اليه، ألا وهو "قانون العودة"، الذى يتيح لأى يهودى فى أى مكان فى العالم أن يهاجر إلى دولة "إسرائيل" ويحصل على حقوق المواطنة فيها. ويدعو "بورج" إلى البدء فى اجراء نقاش واسع حول هذا القانون. االذى يعتبره قانونا لحماية الذات "يفرض طلاقا بيننا ويهود الشتات، وبيننا والعرب، من جهة اخرى".

ويرى "بورج" أن الدولة الصهيونية هى قوة استعمارية تعتمد على القوة فحسب وتتصرف مثل اية دولة استعمارية، كما يصف عمليات الاغتيال التى تنفذها ضد الفلسطينيين بانها فى الواقع أعمال قتل، ثم

يضيف قائلاً: "هذا ما نفعله هناك، ما الذى تريدنى أن اقوله؟ إن هذا عمل انسانى؟ إن هذا هو الصليب الاحمر؟... إن ما تنفذه "اسرائيل" فى الأراضى الفلسطينية هو جرائم حرب... إن عدد الابرياء الذين تقتلهم "إسرائيل" كبير جدا بحيث لم يعد فى الإمكان استيعاب جرائم قتل اخرى. وإذا لم تتوقف هذه الأعمال سيكون انفجارنا وانفجارهم وانفجار العالم لا نهائياً. ارى أن هذا يحدث أمام اعيننا، ارى اكوام الجثث الفلسطينية تتجاوز السور الذى اقمناه لكى لا نراها".

ويمضى "بورج" قائلاً: أن "الاحتلال هو جزء صغير من القضية، فـ"إسرائيل" هى مجتمع خائف والخوف الاكبر هو ذلك الخوف القديم المتمثل فى ستة ملايين يهودى ابيدوا فى المحرقة النازية". ويرى "بورج" أن المجتمع الإسرائيلى يتألف من أناس "معاقين نفسيا وينتابهم الرعب والخوف ويستخدمون القوة لأن هتلر تسبب لنا بضرر نفسى عميق"، ثم يضيف قائلاً:

"أنظر إلى الجدار. جدار الفصل جدار مضاد للخوف. يقال: أنه إذا اقيم سور كبير فسوف تحل المشكلة لاننى لن اراهم.... وهذه فكرة تنطوى على الجنون، خاصة فى الوقت الذى تقدمت فيه أوروبا نفسها والعالم معها تقدما مذهلا فى استيعاب دروس الكارثة، واحدثت تقدما كبيرا فى اخلاقية الشعوب، أما نحن فلا نزال قابعين فى مخاوفنا. هذه كارثة".

ولا يخلو كتاب "بورج" من هواجس النهاية، أى نهاية المشروع الصهيونى ونهاية دولته، فهو يرى أن "الواقع الإسرائيلى لا يثير حماسا والناس ليسوا مستعدين للاعتراف بذلك لكن اسأل اصدقاءك من منهم يثق بأن اولاده سيعيشون هنا، لن تجد سوى ٥٠ بالمائة فى احسن الاحوال".

ومن اهم النقاط التى يطرحها "بورج" فى كتابه تلك المقارنة بين دولة "إسرائيل" وألمانيا النازية، فهو يذهب الى أن ابرز اوجه التشابه بين الاثنتين هو الاحساس "بمركزية الايمان بالقوة فى بلورة الهوية، ومكانة ضباط الاحتياط فى المجتمع، وعدد المواطنين الإسرائيليين المسلحين فى الشارع". ويخلص من هذا إلى القول: "إننا مجتمع يعيش فى احساسه على سيفه. سيفى هو الشىء الوحيد الثابت، ولا غرابة فى أن اشبه هذا بألمانيا لأن احساسنا بأن نعيش على سيوفنا ينبع من ألمانيا".

ويرى "بورج" أن الفاشية تنتشر بسرعة فى "اسرائيل" حاليا، وإن المستقبل لا يحمل إلا مزيدا من الاخطار، ففى مقابلته مع صحيفة هآرتس (٨ يونيو ٢٠٠٧) يقول: "اسمع اصواتا تصدر عن سديروت (وهى المستعمرة التى تمطرها المقاومة الفلسطينية بالصواريخ). سنهدم لهم حيا ونهدم لهم مدينة. سنبيد ونقتل ونطرد. وهناك نقاش فى اروقة الحكومة والاحزاب عن طرد الفلسطينيين. لقد تجاوزنا الكثير من الخطوط الحمر خلال السنوات الاخيرة. ولابد أن يسأل المرء نفسه ما الخطوط الحمر التالية التى سنتجاوزها ايضا".

وفى معرض التأكيد على تنامى الفاشية فى المجتمع الصهيونى، وما يمثله ذلك من خطر على الدولة مستقبلا، يقول "بورج": "أنا أؤمن بأن هناك احتمالا لا يستهان به بأن يحظر الكنيست فى المستقبل العلاقات الجنسية بين اليهود والعرب، وأن يتخذ إجراءات ادارية تحظر على العرب تشغيل يهود كعمال فى المنازل أو غيرها من الاشغال. سيحدث كل هذا، بل إنه اصبح يحدث فعلاً".

ويعتبر بورج أن يوم تجريد "إسرائيل" من السلاح النووى سيكون "أهم يوم فى حياة دولة "إسرائيل". سيكون هذا هواليوم الذى نعقد فيه صفقة

جيدة مع الطرف الاخر، بحيث لا نحتاج إلى قنبلة. يجب أن يكون هذا هو طموحنا".

وفى مواجهة هذه الافكار التى تتسم بالجرأة والحدة فى انتقادها للمشروع الصهيونى، لم يكن غريبا أن تثور ثائرة المؤسسة الصهيونية على "بورج"، وأن تنهال عليه الاتهامات من مختلف التيارات الصهيونية. فعلى سبيل المثال، يرى زعيم المفدال السابق، افى إيتام أن بورج "ذهب بعيدا واخرج نفسه عن الاجماع الصهيونى الذى يوحدنا جميعا".

لعل اهمية كتاب "الانتصار على هتلر" تعود إلى عاملين أساسيين لمؤلفه ومضمونه الذى يعج بالنقد اللاذع والعميق والمنهجى لإسرائيل ومجتمعها اليهودى وقيمه وافكاره العنصرية.

فمؤلف الكتاب هو إبراهام بورغ الذى شغل مناصب هامة للغاية فى إسرائيل وفى الحركة الصهيونية، إذ رأس ادارة المنظمة الصهيونية العالمية، ورأس كذلك الكنيست الإسرائيلى، ونافس أيضاً على رئاسة حزب العمل الإسرائيلى، وكاد ينتخب رئيسا له، قبل أن يترك النشاط السياسى.

هو كذلك ابن يوسف بورغ الذى كان وزيرا لمدة ١٩ عاما فى الحكومات الإسرائيلية، وكان من ابرز واهم قادة الحزب الدينى القومى "المفدال".

ولعل كونه يحمل جميع هذه الصفات جعله يتجرأ على أن يخرج عن الاجماع اليهودى والصهيونى الإسرائيلى بصورة غير مألوفة من شخص نشأ وترعرع فى قلب القيادة اليهودية والصهيونية.

ومع ذلك لم تشفع لإبراهام بورغ مكانته وتدينه، بل سرعان ما وجد نفسه خارج الاجماع اليهودى والصهيونى ملفوظا خارج حدود "القبيلة" التى تجرأ على أن ينتقد قيمها العنصرية.

يتألف الكتاب من مقدمة و١١ فصلا، يجمع المؤلف فى مختلف فصول الكتاب بين روايته لتجربته وسيرته الذاتية وسيرة آبائه واجداده، خاصة سيرة والده، وبين التحليل الفكرى والسياسى الذى يحتل غالبية الكتاب.

يسعى إبراهام بورغ فى فصول الكتاب للغوص فى تحليل الروح اليهودية، تلك الروح التى يريدها أن تكون دوما انسانية ومنفتحة ومرتبطة بقيم العصر، وتنادى بعالم افضل واكثر عدالة، لا روحا يهودية استعلائية منغلقة وعنصرية ومتحالفة مع قوى الشر فى العالم.

وكابن لأب هاجر من ألمانيا النازية فى عام ١٩٣٩ إلى فلسطين، تسيطر على ذهنية المؤلف طيلة الكتاب الكارثة التى حلت باليهود، فينتقد بشدة الرواية الصهيونية للكارثة اليهودية، خاصة سعيها دوما لاحتكار مكانة الضحية الوحيدة والمتميزة، ورفضها قبول مقارنتها بالكوارث التى حلت بالشعوب الاخرى.

ويرفض بشدة السعى الصهيونى الدائم إلى استعمال الكارثة "التى باتت موجودة فى حياتنا أكثر من وجود الخالق" للتغطية على سياسات إسرائيل وجرائمها بحق الفلسطينيين والعرب.

ويوجه نقدا لاذعا للقيادة الصهيونية التى اتخذت قرارا بعد أن "تبين لها أن هتلر اباد معظم يهود أوروبا، وأن منابع الهجرة اليهودية الأوروبية قد نضبت باقتلاع يهود العالم العربى والإسلامى وتهجيرهم إلى فلسطين "كقطع غيار" ليهود أوروبا الذين أبادهم هتلر، فتسببت بخلق كارثة جديدة ليهود الشرق.

يقوم المؤلف فى الكتاب بتحليل وتشريح وتوجيه نقد لاذع للافكار العنصرية المنتشرة فى صفوف اليهود ويحاول أن يحلل أرضيتها الفكرية والسياسية.

نظرية العرق اليهودى الحديثة

ينتقد إبراهام بورغ بشدة الفكر الدينى اليهودى والمسيطر على فئات واسعة من المجتمع الإسرائيلى، خاصة فى اوساط حاخامات المستوطنين وفى صفوف اليهود "الحرديم"، ويتهم طلائع وقادة هذا الفكر أنهم طوروا وبلوروا نظرية العرق اليهودى الحديثة.

فى هذا السياق، يعطى بورغ الكثير من الامثلة على عنصرية فكر هؤلاء الذين طوروا هذه النظرية، فالحاخام يتسحاق غينزبورغ أكثر الحاخامات تأثيرا على الراديكالية الدينية العنصرية فى إسرائيل يتبنى افكارا عنصرية علانية ويدعو إلى التمييز بين دم اليهودى ودم غير اليهودى.

ويعتقد هذا الحاخام أن اليهودى يتفوق على غير اليهودى لكونه يحمل الجينات اليهودية والدم اليهودى، وأن العربى مهما اجتهد وطور من ذاته، حتى وإن اصبح بروفسورا، فسيبقى اقل درجة من اليهودى ايا كان اليهودى.

وليس هذا وحسب، فالحاخام يتسحاق غينزبورغ يدعو إلى تطهير الشعب اليهودى من "الشوائب والزبالة البشرية" التى اصابته جراء الاختلاط مع غير اليهود ليؤسس ويقيم من جديد الحاجز بين اليهودى وغير اليهودى.

وبعد تطهير الشعب اليهودى من هذه الشوائب بالإمكان تركيز كل الجهود ضد الآخر لتوسيع الحدود واستكمال الطريق للوصول إلى "حدود الأمان" فى الدولة المقدسة.

والوسيلة لتحقيق ذلك هى الحرب التى "لا متعة تضاهيها". فلا يمكن تحقيق الاهداف وطرد العرب وفق غيزبورغ دون أن نعرف كيف نكون

سيئين.. وممنوع أن نسلك الطرق السلمية وانما علينا أن نبعد كل ما هو غير يهودى من حدودنا".

يؤكد إبراهام بورغ أن الحاخام غينزبورغ لا يمثل ظاهرة منفردة، لأن امثاله كثيرون، ويعطى العديد من الامثلة لحاخامات يتبنون الفكر العنصرى، وابرزهم الحاخام عوفاديا يوسف زعيم حزب "شاس" الذى يوصف بأنه "كبير حاخامات العصر"، الذى اعتاد أن يطل على انصاره بين الفينة والاخرى بافكار عنصرية ضد العرب.

ولكن "العنصرية اليهودية" كما يقول بورغ لم تقتصر على العرب بل تعدتهم إلى السود فى أمريكا. ففى سياق تعليق الحاخام عوفاديا يوسف على إعصار نيو أورلينز ذكر أن هناك "يوجد الزنوج، وهل يتعلم ويلتزم الزنوج بالتوراة؟ الرب جاء بالاعصار واغرقهم. مات عشرات الآلاف واصبح مئات الآلاف دون مأوى، لانه لا يوجد لهم رب". ولا يقدم "كبير حاخامات العصر" لا تعزية ولا رحمة ولا يحزن بل يتشفى.

كما يؤكد المؤلف أن جذور التمييز بين ما هو يهودى وغير يهودى موجود فى التراث والتقاليد والتثقيف والصلوات اليهودية.

فاليهودى فى صلاة الفجر يستهل يومه بشكر الخالق لأنه "لم يخلقه غوى" أى لم يخلقه غير يهودى. وعبر الاجيال يستند التثقيف اليهودى على أن اليهود هم "الشعب المختار"، يصلى قائلاً: "أنت اخترتنا من كل الشعوب وأحببتنا وأردتنا ورفعتنا فوق كل الشعوب".

وفى كل سبت يقدس اليهودى فى صلاته السبت ويقول "لأنك اخترتنا نحن وقدستنا نحن من بين كل الشعوب". ويغرس هذا الفكر عند انتهاء

السبت بالقول "تبارك.. الذى يميز بين المقدس وغير المقدس بين النور والظلمة وبين اسرائيل والشعوب".

يستخلص إبراهام بورغ أن التمييز العنصرى والاستعلاء مغروس بنيويا فى النفس اليهودية، ويحذر من خطر استمرار انتشار هذه الافكار العنصرية على مستقبل اسرائيل واليهود، لانها تنزع انسانية البشر وتحولهم إلى مخلوقات من الحيوانات يجب التخلص منها.

ومن ضمن الامثلة التى يذكرها قول رئيس الاركان الإسرائيلى الاسبق رفائيل ايتان، الذى شبه الفلسطينيين "بالصراصير المسممة داخل قنينة"، ويقول أن هذا التشبيه يذكره بالدعاية النازية التى دأبت على تشبيه اليهود بالفئران التى تجب ابادتها.

إسرائيل وألمانيا النازية

يعتقد إبراهام بورغ أن خطر انتشار النازية فى إسرائيل وارد، فهى ليست محصنة ضد النازية، صحيح أن إسرائيل ليست ألمانيا كما كانت حالتها فى المراحل الاخيرة من الحرب العالمية الثانية، عند تنفيذ "الحل النهائى" بحق اليهود، ولكن إسرائيل كما يؤكد المؤلف تشبه ألمانيا فى المراحل الأولى لانهيار قيمها الإنسانية والحضارية عندما بدأت تستسلم للنازية التى حطمت كل شىء جميل فى ألمانيا.

وإسرائيل تتغير وتسير نحو الأسوأ فى كل يوم، وباتت تحت خطر وقوعها واستسلامها للنازية. فاليهودية السائدة اليوم فى إسرائيل ليست يهودية النبى موسى المتسامحة والمتفتحة والمحترمة لإنسانية الانسان، انما هى كما يؤكد الكاتب يهودية قورح الذى اختلف مع النبى موسى وتمرد عليه.

كانت نقطة انطلاق قورح أن هناك قدسية تلقائية لجميع اليهود، كافراد وكمجموع، وقدسية اليهودى نابعة من دمه ومن جيناته، وهذا يعنى أن جميع اليهود مقدسون دون استثناء، ويشمل ذلك المنحطين والسافلين والسيئين من اليهود.

ويضيف بورغ أن القدسية وفق اتباع قورح هى قدسية العرق اليهودى، واتباع قورح وفق بورغ يسيطرون فى هذه الايام، دون حدود فى تحديد وبلورة مكونات الهوية اليهودية والإسرائيلية.

ان إسرائيل باتت وفق المؤلف دولة حاخامات قورح الحديثة، آنها قبل كل شىء دولة يهودية، وفقط بعد ذلك ديمقراطية، أنها دولة توراة يهودية مشوهة، فأسس هذه الدولة هى الاستعلاء القومى وازدراء الاخر، وايمان بنظرية العرق اليهودى بدون ضوابط.

ويبدى المؤلف قلقا كبيرا مما قد تؤول اليه إسرائيل فى المستقبل غير البعيد، إن لم يتم التصدى لها وللافكار اليهودية العنصرية السائدة فيها، إذ أنها قد تقدم على تنفيذ "الترانسفير" الذى ينادى به اتباع قورح، بحق الفلسطينيين فى المناطق المحتلة فى العام١٩٦٧.

اما بخصوص مواطنيها من العرب فإن الدولة اليهودية تتجه أكثر فأكثر نحو المزيد من التمييز العنصرى ضدهم، وقد تتبع سياسة تهدف إلى اقتلاعهم من الدولة اليهودية أو تحويلهم إلى مكانة سكان "مقيمين" بدل مواطنين.

اليهود فقط هم المواطنون بينما العرب "مقيمون"، ولليهود الحياة بينما للعرب حكم "الموت للعرب" ذلك الشعار الذى يتردد دوما فى إسرائيل، كما يؤكد المؤلف.

يتوقع إبراهام بورغ أن يسن الكنيست الإسرائيلى قوانين وفق الشريعة اليهودية، تحرم وتمنع زواج اليهود واليهوديات من غير اليهود، بعد أن سن قوانين تهدف إلى منع زواج الفلسطينيين المواطنين فى إسرائيل من الفلسطينيين فى المناطق المحتلة فى العام ١٩٦٧.

ويتوقع أن يقوم الكنيست بعد سنوات ليست بعيدة، بسن قوانين تلغى زواج قائمًا "مختلطا"وتمنع اقامة علاقات جنسية بين اليهود والعرب وتمنع تشغيل عاملات يهوديات وعمال يهود عند المواطنين العرب، لكى تلغى أى إمكانية يشتم منها تفوق عربى على الشعب اليهودى، الذى يحكم الدولة اليهودية، تماما مثل قوانين نيرنبرغ التى سنها النازيون فى ألمانيا.

ويستطرد إبراهام بورغ فى تحليله وتوقعاته فيقول "كل هذا سيحدث، وقد بدأ يحدث. لا تقولوا لى لا. أصغوا! انظروا! اقرأوا صحافة اليمين. راجعوا الفتاوى الدينية، شاهدوا كل هذه الجماهير التى تتغذى من هذه الحاخامات. اذهبوا إلى المستوطنات. فكروا بما يحدث فى الاحياء والمدن اليهودية الحديدية. افحصوا مضامين برامج التعليم وحركات الشبيبة اليمينية والدينية... عندها ستدركون أنه يوجد لنظرية العرق اليهودى مواطنون واتباع".

ويواصل المؤلف فى تحليله، فيشير إلى تعاظم قوة القوى العنصرية فى اسرائيل ويرى أنها تزداد فى الجيش وفى المجال السياسى وفى الاقتصاد وفى وسائل الإعلام والرأى العام الإسرائيلى.

واحد من ممثلى هذه القوى بيغلين الذى يسعى للسيطرة على حزب الليكود من الداخل، وبات يحظى بتأييد خمس اعضاء الليكود.

ويذكر المؤلف أن مسارات وعملية التحول التى جرت فى ألمانيا، عندما وصلت إلى اقصى مداها غيرت المفاهيم والقيم، فبات الجنون هو الأمر العادى، وعندما اصبح المجنون هو الشخص العادى ابيد اليهود.

كان ذلك ممكنا هناك فى أرض الشعراء والفلاسفة. وهنا أيضاً "لم تعد اقامة دولة الحاخامات والجنرالات مجرد أضغاث أحلام"، على الاقل ليس "فى مناطق الانشلوس الإسرائيلى" فى الضفة الفلسطينية المحتلة.

اليهود خارج إسرائيل

يعتقد إبراهام بورغ أن الانقلاب الذى حصل داخل الروح اليهودية الحديث خاصة فى اعقاب حرب ١٩٦٧ لم يقتصر على اليهود فى إسرائيل، بل تعداه إلى يهود العالم.

لقد اختلف دول يهود العالم خاصة فى أمريكا، فلم يعد يهود الولايات المتحدة جزءا من ائتلاف "الاقليات" فى النضال من أجل العدالة والحريات الأمريكية.

وبدل استغلال القوة اليهودية الحديثة فى أمريكا، فى النضال ضد الظلم والقهر ومن أجل عالم افضل، اصبح يهود أمريكا "القلب النابض لفكر المحافظين الجدد"، وباتوا جزءا من المؤسسة اليمينية القومجية الاستعلائية، واصبحوا جزءاً من النسيج الاجتماعى الابيض المنعزل عن كل ما ليس ابيض.

وعلى أرضية الاستعلاء والعداء للاخر تحالف "اليمين اليهودى" فى أمريكا مع اليمين المسيحى المتطرف ووقفوا بكل قوة ضد العرب والمسلمين ايا كانوا.

يستخلص إبراهام بورغ أن فى إسرائيل شرائح خطيرة للعنصرية اليهودية التى لا تختلف فى جوهرها عن تلك العنصرية التى أبادت اليهود. إنها قريبة جدا من الناس، ولشدة التصاقها بهم فإنهم نادرا ما يرونها. أنها عنصرية غنية وتبريرية، لذلك لا يشعر الناس بخطورتها. أنها خبيثة وقابلة للتسويق.

ويضيف أن الجواب على هتلر يجب أن يكون هزيمة هذه العنصرية وتحالف كل قوى الخير فى العالم، ضد ائتلاف قوى الشر الذى يشمل الكثير من المتنفذين اليهود.

ويؤكد أنه على القوى الإنسانية فى إسرائيل أن تدرك أن جواب الاحتلال الإسرائيلى ليس فقط ضرورة الانسحاب من المناطق المحتلة، وانما أيضاً العمل من أجل خلق هوية يهودية جديدة إنسانية ومنفتحة، والانطلاق منها للنضال من أجل عالم انسانى وفق روح يهودية موسى لا وفق تراث عنصرية اتباع قورح.

ولتبرير جريمة الطرد بحق الفلسطينيين لم تكتف إسرائيل بتحريف التاريخ الحديث ليتوافق مع روايتها لحقها المزعوم فى أرض فلسطين، ولكنها وعبر الاغلبية الساحقة من نخبتها الثقافية تعيد اختراع وتحريف التاريخ القديم ليتوافق مع تبرير الجريمة الكبرى التى ارتكبتها على الأرض الفلسطينية. وهذا لا يعنى أن النخبة الإسرائيلية موحدة بالكامل حول الرواية الإسرائيلية، فهناك العديد من المؤرخين الإسرائيليين حاولوا وعبر الارشيف الإسرائيلى مراجعة التاريخ الحديث، والاقتراب من الرواية الفلسطينية وتكذيب الرواية الإسرائيلية لحرب عام ١٩٤٨ التى شهدت عمليات التطهير العرقى للفلسطينيين. ومن هذه الاسماء

الإسـرائيليـة إيلان بابيـه وايلا شـوحـط وتوم سيـغـيف وآفى شـلايم وبنى موريس وغيرهم، وقد عرف هؤلاء فى اسرائيل بتيار "المؤرخين الجدد" واعـتـبـر المؤرخـون التـقـليـديون هؤلاء "كـارهـى انفـسـهم" لأنهم اكـدوا فى اعـمـالهم اعـتـمـادا على الارشـيـف الإسـرائيلى ذاته صـحـة الـرواية الفلسطينية للصراع، وكذبوا الرواية الإسرائيلية.

شلومو زانـد استاذ فى جامعـة تل أبيب الاسـرائيلية، اسم جديد فى نقض الرواية الإسـرائيلية، فـهو مـتـخـصص بتاريخ القرن العـشرين وفى التـاريخ الثـقافى لفـرنسـا المعاصـرة تحـديدا. وكتـابه يحـمل عنـوان "متى وكيف اخترع الشعب اليهودى". يسعى الكاتب من خلاله لاثبات أن اليهود الذين يعيشون الآن فى إسرائيل واماكن اخرى من العالم لا ينحدرون من الشـعب القـديم الـذى سكن "مملكة يهـوذا". ذلك أن اصلهم اسـتـنـادا إلى زانـد: هو من شعوب مـختلفة تحولت إلى اليهودية خلال فـترات تاريخيـة مـختلفة وفى مناطق مـختلفة من حوض المتوسط والمنـاطق المجـاورة له. وهـذا لا ينطبق فقط على يهود شـمـال أفـريقـيا فـحسب، بل يشـمـل أيضـاً غـالبـية المناطق التى دان اهلهـا بالـوثنية وتحـولوا إلى اليهـودية، من يهود اليمن الذيـن تحـولوا إلى اليهـودية منذ القـرن الـرابع الميـلادى إلـى اليهـود الأشكناز فـى شـرق أوروبا الـلاجـئـين من مملكة الخـزر الذين تحـولوا إلى اليهودية فى القرن الثامن.

لم يلجـأ زاند إلـى التـاريـخ الحـديث حـرب ١٩٤٨ ومـا بعـدهـا لنقض الرواية الصـهـيـونيـة، بل ذهـب بعـيـدا فى التـاريخ الـيهـودى لآلاف الـسنين ليقوض الافتـراضات التاريخية الصـهيونية. فهو يريد أن يثبت أن الشعب اليهودى لم يوجد قط كأمة عـرقية (قـومية) بأصل معـروف، ولكنه مـزيج من مـجمـوعـات بشـرية اعتنقت اليهودية فـى مراحل مـختلفة من التـاريخ،

على عكس الرواية الصهيونية التى تقول بالاصل التاريخى الواحد لليهود. وقد جادل زاند عددا من المذاهب الفكرية الصهيونية حول المفهوم الأسطورى والملفق الذى يعتبر اليهود شعبا قديما، واعتبر ذلك يقود إلى تفكير عنصرى حقيقى. وما يقوله زاند اليوم فى إسرائيل كان يوصف قبل مدة وجيزة باعتباره معاديا للسامية.

استنادا إلى زاند فإن وصف اليهود باعتبارهم امة عزلت نفسها وتتجول فى المنافى عبر البحار والقارات ووصلوا أخيراً إلى نهاية الأرض، ومع تقدم الصهيونية فقد عادوا على شكل مجموعات إلى وطنهم اليتيم. ما هو سوى اسطورة مخترعة. وحسب زاند فإن الحقيقة تقول أنه تم اختراع الشعب اليهودى فى القرن التاسع عشر بتأثير مثقفين من اصل يهودى نشئوا فى ألمانيا متأثرين بالشخصية الوطنية التراثية للامة الألمانية، واخذوا على عاتقهم مهمة اختراع شعب يهودى عن طريق استعادة الماضى الذى يتوافق مع خلق شعب يهودى معاصر.

يرسم المؤرخون الإسرائيليون تاريخ اليهودية باعتباره تاريخ امة كان لها مملكة، هذه الأمة كانت شعبا متجولا وفى النهاية عاد هذا الشعب ادراجه إلى مسقط رأسه. وبناء عليه تقول مقدمة اعلان استقلال إسرائيل: بعد أن اجبر اليهود على الخروج من أرضهم، فانهم استمروا مخلصين لها، من خلال تصوراتهم لها (الخيال الجمعى) ولم يتوقفوا عن الصلاة بأمل العودة اليها ولم الشمل فيها لتحقيق حريتهم السياسية.

وحسب زاند لقد تم اختراع "الدياسبورا" الشتات اليهودى ويقول "إن طرد الشعب اليهودى من أرضه لم يحدث ابدا". كان بناء النموذج المثالى للوطن مطلوبا لبناء ذاكرة طويلة الامد تتخيله امة وعرقا ومطرودا لتشكل

الاساس للاستمرارية المباشرة للشعب الذى سبقها. ويشرح زاند أنه فى اطار التأثير الذى احدثه المؤرخون الذين تعاملوا مع نفس القضية فى السنوات الحديثة، فإنه يعمل على اثبات أن قضية خروج الشعب اليهودى هى أسطورة مسيحية اصيلة صورت الأحداث باعتبارها عقابا إلهيا طبق على اليهود لأنهم رفضوا البشارة المسيحية. وحسب زاند، فإن الرومان لم يطردوا اليهود، ولم يكن بإمكانهم فعل ذلك حتى لو ارادوا ذلك، حيث أنه لم تتوفر لديهم القطارات والشاحنات التى وجدت فى القرن العشرين، وما يقوله الكتاب بشكل واضح، أن المجتمع اليهودى لم يشتت ولم يطرد.

ويفسر زاند انتشار اليهود فى العالم، بان الديانة اليهودية هى التى انتشرت وليس الشعب اليهودى، على اعتبار أن الديانة اليهودية كانت ديانة تبشيرية على عكس ما هو شائع. يجادل زاند فى أن معظم الاضافات الحاسمة فى اعداد اليهود فى العالم تشكلت إثر ضعف وانهيار مملكة الخزر والتى شكلت إمبراطورية ضخمة نهضت فى العصور الوسطى. يراجع زاند هذه الفرضية والتى اقترحها المؤرخون فى القرنين الـ ١٩ والـ ٢٠ استنادا إلى أن اليهود الخزر يشكلون الاصل الاساس ليهود ومجتمعات أوروبا الشرقية. ويقول زاند: فى بداية القرن العشرين كان هناك تمركز ضخم لليهود فى أوروبا الشرقية. حيث كان هناك ٣ ملايين يهودى فى بولندا وحدها: إن الجغرافيا التاريخية للصهيونية تدعى أن اصل يهود أوروبا الشرقية هو المجتمعات اليهودية الأولى فى ألمانيا، ولكنهم لم ينجحوا فى تفسير كيفية أن عددا صغيرا من اليهود استطاعوا أن يؤسسوا شعب اليديش لأوروبا الشرقية.

من الواضح أن الزعم أن اليهود ليسوا من "مملكة يهوذا"، يقوض شرعية الوجود الإسرائيلى بوجه من الوجوه، رغم نفى زاند لذلك. ولكنه

يعتبر أن التحريف هو فى معالجة الجذور اليهودية معالجة جينية، بيولوجية، عرقية، وإن اسرائيل لم توجد كدولة يهودية، "واذا لم تتطور إسرائيل كدولة منفتحة متعددة المجتمعات فسوف نشهد كوسوفو فى الجليل" حسب تعبيره. ويدعو إلى أن تكون إسرائيل دولة لكل مواطنيها من اليهود والعرب ويقول "يجب أن نبدأ بالعمل بشكل جاد لتتحول إسرائيل بحيث لا يكون الاصل العرقى وكذلك المعتقد فى تناقض مع القانون. وإن أى شخص مطلع أو له معرفة باوضاع الشبان العرب فى إسرائيل يستطيع أن يرى أنهم لا يوافقون على العيش فى وطن لا يعترف بوجودهم، ولو كنت فلسطينيا فسوف اكون ثائرا ضد دولة كهذه".

تعمل مساهمة زاند فى كتابه على تفكيك الأساطير الصهيونية التى تم اعتمادها فى بناء الدولة بناء على الادعاءات الصهيونية بتاريخ مزور، وبالتأكيد فإن الكتاب لن يفكك دولة إسرائيل، ولكنه يطرح عليها اسئلة تحاول تجنبها وتخترع الأساطير حتى لا تواجهها.

■■■



العرب فى المحرقة النازية

تعد المحرقة النازية التى ذهب ضحيتها الملايين من شعوب أوروبا غاية فى الحساسية لدى الشعوب الأوروبية التى عانت منها.

ومع ان الملايين من البشر من مختلف الاعراق والاديان والاتجاهات كانوا ضحيتها، فإن "اليهود" تمتعوا، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية باحتكار دور الضحية فيها.

هذا الاحتكار تم مع أن النظام النازى اباد ما يقرب من عشرين مليونا من الشعوب السلافية، أى: الروس وشعوب أوروبا الشرقية، اضافة إلى ما يقرب من نصف مليون من غجر أوروبا، واقليات اخرى.

هذا الكتاب يضم دراستين هما "فى ظل القمر: ضحايا النازية من العرب"، و"ذاكرة فى خطر: معتقلون عرب فى معسكرات الابادة النازية"، ارسلها المستعرب الألمانى الراحل غيرهرد هب، إلى الناشر، متمنيا نشرها.

وهناك دراسة ثالثة عنوانها "الخطاب المكبوت: ضحايا النازية من العرب" اشرف على الاتساع فيها "معهد الشرق الحديث" فى برلين، ونشرها ضمن كتاب موسع عن علاقة العرب بالنازية، ستصدر دار قدمس ترجمته العربية قريبا.

وقد كان المؤلف الراحل، العالم الكبير، ينوى التوسع فى دراسة الموضوع اعتمادا على ما توفر من وثائق، إلا أن ذلك المرض اللعين هاجم دماغه الكبير واخذه منا. لكنه تمكن قبل ذلك من أن يترك لنا ارثا مهما يمكن الراغبين من التوسع فى البحث ووضع الامور ذات العلاقة ضمن الاطار التاريخى الصحيح.

وكانت قناة الجزيرة قد بادرت إلى اجراء لقاء تلفزيونى مع المؤلف الراحل عرض فيه الخطوط الرئيسية لابحاثه عن الموضوع. ويمكن العودة اليها فى ارشيف قناة الجزيرة على الانترنت.

ضحايا من العرب

البحث الأول كتبه المؤلف تحت عنوان (فى ظل القمر: ضحايا النازية من العرب) يطرح فيه المؤلف مدخلا للبحث، ويتساءل فيه عن السبب الذى أدى إلى تجاهل الباحثين ضحايا النازية من العرب، مسلمين ومسيحيين، بينما تم التركيز على نحو غير معقول، وعلى نحو دعائى على علاقات بعض العرب بالحكم النازى.

المؤلف يخص بالذكر الباحثة إينا فريدمن، التى تجاهلت "غير المسيحيين!" فى كتابها المخصص لضحايا النازية من غير اليهود. وهنا كتب المؤلف أن المسلمين، ,الهندوس والبوذيين والشنتيون، وحتى الملاحدة، لم يكن لهم مكان فى ذلك الكتاب الذى اتى على ذكر ابادة النازيين خمسة ملايين مسيحى!.

ويعيد المؤلف السبب فى تجاهل العرب وغيرهم، إلى محدودية افق اجيال من الباحثين، ومحدودية طاقة تصورهم لشمولية القبضة النازية واتساع دائرة اضطهادها.

فى المقال الثانى (الخطاب المكبوت: ضحايا النازية من العرب)، الذى لم يتمكن المؤلف من اكماله، واستكملته الباحثة التركية تركان يلماز، لخص غهرد هب اضطهاد النازيين للعرب ضمن اطر محددة منها مضايقات وايذاء المهاجرين العرب فى ألمانيا والنمسا، وتعقيم "الهجناء" المغاربة، واعتقال المدنيين العرب عند اندلاع الحرب العالمية الثانية، ومعاملة اسرى الحرب من العرب الذين كانوا يحاربون مع القوات الفرنسية.

يضاف إلى ذلك استخدام العرب والزامهم بالخدمة فى فرنسا وشمالى افريقيا، وملاحقتهم البوليسية فى أوروبا المحتلة، اضافة إلى ملاحقة المعأرضين للنازية من العرب.

وفى كل من هذه التصنيفات يقدم المؤلف مجموعة من الامثلة والاسماء التى اخذها من محفوظات النظام النازى، رغم المصاعب التى تواجه الباحث فى العثور على تبعية الضحايا إذ توضع اسماء كثير منهم تحت الدولة التابع لها، مثلا: فرنسا.

ويعدد المؤلف، مع ذكر اسماء كثيرة وتفاصيل مثيرة عن بعض المعتقلين، الدول التى كان بعض مواطنيها المسلمين من ضحايا النازية كأفريقيا والبانيا وبلغاريا، وفرنسا واليونان، وايطاليا ويوغسلافيا وهولندا وبولندا والاتحاد السوفيتى وتركيا.

اما الضحايا العرب فكانوا من المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر وفلسطين والعراق ولبنان واليمن.

ويتعرض المؤلف لمختلف الذرائع التى استخدمها النظام النازى فى ألمانيا لاعتقال العرب واضطهادهم، ومنها على سبيل المثال انتهاك بنود

عقود العمل، والتعطل عن العمل، والابتعاد عن مكان العمل، اضافة إلى ما سمى "الجرائم بحق اقتصاد الحرب".

كما ذكر فى عرضه المسهب اجبار العرب على العمل فى معسكرات السخرة أو ما اطلق عليه "معسكرات التربية على العمل". أو "معسكرات الاشغال الشاقة".

واشار إلى الذين وجهت اليهم تهم بأنهم "مُستخفون"، و"مفسدو الشعب"، و"مجفلون من العمل"، و"مفسدو المجتمع"، إذ اودعوا فى "معتقلى شرطة"، وفى "معسكر الابعاد عن البلاد".

ومع أن مقالات الكتاب الثلاثة مختصرة، إلا أن الباحث الراحل شدد على ضرورة متابعة التقصى فى المحفوظات الألمانية.

فهو قد تمكن من رصد مئات الاسماء العائدة لعرب القت بهم السلطات النازية فى مختلف معسكرات الاعتقال.

ومن العرب من قدم فى الكفاح تضحيات، أى اعدم على سبيل المثال فى العشرين من سبتمبر / أيلول عام ١٩٤١ أنطوان الحاج، اللبنانى المولد.

ولقى المصير ذاته فى يناير / كانون الثانى عام ١٩٤٢ السيد حداد، وفى أول اغسطس / أب عام ١٩٤٢ أُردى الممرض الجزائرى محمد سليمان قتيلا فى السجن الباريسى "لا سانتيه"، وكان ينتمى إلى مجموعة "ديوت" التابعة لـ "المنظمة الخاصة"، وقد شارك فى عدد من الاغتيالات.

وكان ابن بلده، محمد تهامى الاخضر، قد وزع، قبل أن ينضم إلى منظمة "قناصة وانصار"، منشورات ضد المحتلين النازيين، فى باريس،

وقد القى القبض عليه فى ٣١ يناير / كانون الثانى عام ١٩٤٣ وأُعدم فى العام ذاته.

عرب فى المحرقة

كما ذكر المؤلف حوادث محددة اعتقل فيها العرب بصفتهم رهائن ومن بينهم طاقم السفينة المصرية "زمزم" التى نسفتها السفينة الحربية الاستطلاعية الألمانية المساعدة "أطلانطس"، بالطوربيد فى السابع عشر من ابريل / نيسان، جنوبى الأطلسى، قبالة الساحل الأفريقى، بحجة أنها كانت تحضر لنقل بضائع ذات اهمية فى الحرب إلى بلد فى حالة حرب مع ألمانيا.

الحقيقة هى أن السفينة قد استقبلت على متنها، فى نيويورك نحو أكثر من مائة مبشر أمريكى كندى مع افراد اسرهم وذويهم، وكانوا يريدون ممارسة نشاطهم فى افريقيا.

كما اعتقل بحارة اخرون كانوا يعملون على متن سفن لا تحمل إعلام دول عربية ومن ذلك سفينة الشحن الهولندية، "بارنفلد"، التى اغرقتها البحرية الألمانية شمال جزيرة القديسة هيلانة.

كما وضع العرب فى معسكرات خاصة بالجبهة مخصصة لكل جنس على حدة اقيمت على الأرض الفرنسية المحتلة، منها على سبيل الذكر إبينال، وشومون، وجوانيى.. الخ.

المعتقلون العرب لم يكونوا مجهولى الهوية، بل هم بشر ذوو اسماء، منها محمد كاتب إلياس، وكاتب ياسين، واحمد إسماعيلى الذى حكم عليه بالقتل بسبب نضاله ضد النازية، وكذلك معمر بن برنو، ومحمد أرزقى بركانى ومهند أموكرين خليفانى وأحمد ميزيرنا.

وكذلك محمد بدسى، والعربى بوعالى وعمار أوزيفان، وقدور بلقايم، وعلى ربيعة، وعلى ديبابيش ومحمد دوار.

والباحث عثر على معتقلات ومعتقلين عرب فى معسكرات الابادة النازية ايضا، وعددهم ايضا، ومن ذلك مثلا: ٣٤ فى أوشفتس، و٢١ فى برغن - بلزن، و١٤٨ فى بوخنفلد، و٨٤ فى دخاو، و٣٩ فى فلسنبرغ، و١١٢ فى غروس-روزن، و٦٢ فى ماوتهوزن، و٣٩ فى متلباو-دورا، و٢٧ فى نتستفايلر، و١١٠ فى نوينغمه، ٢٥ فى معتقل النساء رافنزبرك، و٤٢ فى زكسنهاوزن، و٤ فى معسكر الابادة لبلين-ميدنك.

وكانت اغلبية المعتقلين ترجع إلى شمال افريقيا: الجزائر والمغرب وتونس، وبعضهم كان من مصر، والعراق، ولبنان، وفلسطين، وسوريا.

ويصل الكاتب إلى نتيجة، وهى أن الأبحاث المتعلقة بضحايا النازية من العرب لا تزال فى بدايتها الأولى، وأنه يجدر بها إلا تقتصر على المعتقلين فى معسكرات الاعتقال، الذين ناضلوا نضالا فاعلا ضد النازية والفاشية، كما ينظر إلى المدافعين عن الجمهورية فى الحرب الاهلية الاسبانية (١٩٣٦-١٩٣٩)، والى المشاركين فى المقاومة الفرنسية، وفى المقاومة فى البلدان المحتلة الاخرى، وكذلك إلى الجنود والضباط فى جيوش الحلفاء.

■ ■ ■



لقد فتحت ابحاث المستعرب الألمانى الراحل، البروفيسور غيرهرد هب ابوابا جديدة أمام تقويم دقيق لمرحلة مهمة من تاريخ علاقة العرب بألمانيا النازية وكيفية التعامل معها.

وسيكون من الامور المفيدة أن يقوم العرب باستكمال هذه الأبحاث اعتمادا على محفوظات ألمانيا، تماما كما فعلت الباحثة التركية تركان يلماز التى قدمت بتوسعها فى الموضوع خدمة جليلة فى الكشف عن ماض اراده البعض أن يبقى طى النسيان خدمة لهدف "احتكار دور الضحية".

ان استكمال هذه الأبحاث أكثر اهمية لنا، بما لا يقاس، من اضاعة الوقت والجهد فى التشكيك فى "المحرقة".

ولكن لابد من استكمال الأبحاث تلك بالتعامل مع التعاون الصهيونى - النازى، وكشف دور الحركة الصهيونية فى مصير يهود أوروبا.

عودة الارهاب السياسى إلى ألمانيا

خلف فوز حزب اليمين المتطرف ودخوله إلى برلمان ثالث ولاية ألمانية هزة فى الاوساط السياسية الألمانية، كما يشكل تهديدا واضحا للدولة

الألمانية التى تحاول المصالحة مع ذاتها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وبعد حصوله على نسبة متقدمة هذه المرة بالمقارنة مع الانتخابات السابقة، استطاع الحزب المتطرف احتلال موقع سياسى مهم بولاية ماكلنبورغ الواقعة جغرافيا بألمانيا الشرقية، وسمح للصوت النازى بدخول ثالث برلمان ألمانى وفق القوانين الألمانية التى تقر بضرورة الحصول على نسبة ٥ فى المائة على الاقل من اصوات الناخبين لولوج مبنى البرلمان.

حدث انتصار اليمين المتطرف يأتى فى ظرف حرج تعرف فيه ألمانيا العديد من التظاهرات ضد انتشار المد النازى بالبلاد، وعلى سبيل المثال لا الحصر، الاحتجاجات التى يقوم بها بين الفينة والاخرى سكان مدينة ديمنهورست الواقعة جنوب شرق ألمانيا ضد اقدام يورغن غيغر، وهو محام ألمانى قرر شراء احد الفنادق وسط المدينة، والسبب يعود إلى اعتبار هذا المحامى من مناصرى اليمين المتطرف بألمانيا. وبغض النظر عن سلامة عملية الشراء من الناحية القانونية، فإن السكان يحتجون ضد شراء هذا الفندق الذى سيتحول حسب رأيهم إلى مقر للنازيين الجدد بالمنطقة مما يشكل تهديدا للاستقرار بالمنطقة.

ووفقا لتصريحات الساسة الألمان والتقارير الألمانية، يمثل الحضور النازى بألمانيا حاليا، خطرا حقيقيا من شأنه أن يعصف باصلاحات ومشاريع حكومة برلين التى يواجهها تحديا اكبر من أجل التصدى للخطر النازى المجسد لعقدة الألمان التاريخية.

دلالة النازية فى القاموس الألمانى

ومما لاشك فيه أن الحديث عن جذور النازية يفرض علينا التدقيق فى ما تحمله كلمة نازى من دلالة فى اللغة الألمانية. فهى تعنى اختصارا اسم

حزب العمال الألمانى القومى الاشتراكى الذى تأسس فى مدينة ميونخ عام ١٩١٩ تحت اسم حزب العمال الألمانى ـ Nationalsozialistische Deutsche Arbeiterpartei ـ الذى انضم اليه أدولف هتلر فى نفس العام قبل أن يتسلم رئاسته بعد وقت قصير، فقام بتعديل اسمه باضافة مفردتى القومى الاشتراكى. ويوظف هذا الاصطلاح أيضاً للدلالة على ما يتعلق بالحكم الديكتاتورى فى ألمانيا النازية بين الاعوام ١٩٣٣ و١٩٤٥ أو ما يعرف باسم الرايخ أو المملكة الثالثة. ويدافع اتباع النازية عن مجموعة من الافكار القائلة بأن العرق الآرى متفوق على باقى العروق والاجناس الاخرى، بل يروجون للتفوق العنصرى الألمانى كدولة مركزية قوية، ويتخذ النازيون الصليب المعقوف شعارا لهم يوظفونه من أجل التميز والظهور فى التظاهرات العمومية. اما حزب اليمين المتطرف الألمانى فإن مؤيدوه يدافعون عن ضرورة تحمل حزبهم للمسؤولية فى الحكم مما يقابل بالرفض القاطع من طرف الطبقة السياسية بألمانيا.

ألمانيا تقع تحت تهديد النازية الجديدة!

وإذا كان القانون فى ألمانيا الحديثة يحرم النازية، فإن بقايا ودعاة الرجوع اليها مازالوا موجودين لحد الساعة، وبداية، يجب الإشارة إلى كون اليمين المتطرف يختلف عما يصطلح عليه بالنازيين الجدد، ويمكن توضيح هذا الأمر ببساطة فالنازية الجديدة هى جزء من اليمين المتطرف الألمانى والعكس غير صحيح، فمثلا نجد ممارسة الفعل السياسى المتطرف مباحة وتضمنها حقوق الانسان ومبادئ الحرية الألمانية فى حدود معينة طالما لا تمس بالدستور الألمانى. وخير مثال على ذلك الحزب الديمقراطى القومى (NPD) الذى يعد اقدم حزب نشأ بعد الحرب العالمية الثانية وعمره ٤٠ عاما وتأسس ردا على الأحزاب

التقليدية التى حصلت على تراخيص العمل من قوات الاحتلال. ويضع العديد هذا الحزب تحت يافطة النازية لانه يعتمد فى أيديولوجيته على افكار مستقاة من ايديولوجية أدولف هتلر خاصة الايمان بقيادة ديكتاتورية والنظرة السلبية إلى الاقليات وكذلك التمسك بالقومية. ولعل أول مظاهرة كبرى خرج بها الحزب منذ نهاية الحرب العالمية الثانية كانت عام ١٩٨٩ بمدينة لايبزيغ، كما اكد أكثر من مرة عن ميولاته النازية وخير مثال على ذلك، فى شهر يناير / كانون الثانى من عام ٢٠٠٥ رفض نواب الحزب الديمقراطى القومى الوقوف دقيقة صمت حدادا على ضحايا النازية فى الحرب العالمية الثانية، وغادروا قاعة البرلمان مما تسبب فى ضجة اعلامية وغضبا داخل البرلمان وخارجه.

وحسب استطلاع تم لحساب مجلة "ديرشبيغل" المعروفة، تأكد أن ٦٢ فى المائة من الألمان يؤيدون حظر نشاطات الحزب القومى الألمانى اليمينى المتطرف، لكن كيف يتم هذا الأمر والحكومة الألمانية سبق وإن فشلت فى الحصول على قرار يحظر نشاطات هذا الحزب المتطرف من قبل المحكمة العليا، حتى أن المستشار السابق شرودر طلب من مساعديه إعادة النظر بالسبل القانونية للتقدم بدعوى جديدة لمنع نشاطات الحزب القومى نهائيا، ومن المعروف أن شرودر كان يفكر فى النتائج الوخيمة التى تحصدها ألمانيا والسمعة السيئة فى العالم خصوصا فى الولايات المتحدة وإسرائيل، حين يتظاهر النازيون الجدد أمام النصب التذكارى لضحايا الهولوكست. وينظر العديد من جيران ألمانيا بنوع من الريبة والقلق إلى تنامى انتشار النازيين الجدد داخل المجتمع الألمانى، وهم يسعون إلى الزحف من برلمان داخل الولايات نحو بلوغ البرلمان الاتحادى فى برلين، وهذا امر مستبعد لكنه يمكن أن يتحقق فى أى وقت من الاوقات.

أشكال جديدة من النازية تورط الدولة

والمثير للاستغراب هو أن الدولة التى تعد طرفا فى هذا الصراع، تمول بفعل القانون نشاطات اليمين المتطرف، ذلك أن القانون يسمح بحصول كل حزب على مبلغ مالى معين لقاء كل صوت مؤيد له حصل عليه فى الانتخابات. وهكذا حصل النازيون الجدد مثلا على مبالغ كبيرة مقابل حصولهم على ١٩٠ الف صوت فى انتخابات ولاية سكسونيا عام ٢٠٠٣ ?ويذكر أن وجود اليمين المتطرف لا يقتصر على الأحزاب والتيارات المعروفة، بل يتعداه إلى اشكال وحركات عديدة مثل حليقى الرؤوس التى لا تتوانى عن اظهار ولائها المطلق للأيديولوجية النازية اضافة إلى الخلايا والتنظيمات السرية التى يصعب الوصول إلى معرفتها. وتقول التقارير الصحفية، بأن هناك ظاهرة نازية جديدة تنتشر داخل المجتمع الألمانى وتعرف باسم "فصيل الجيش البنى"، وهو اسم مستعار مأخوذ من اسم "فصيل الجيش الاحمر" اليسارى المنحل. هذا، إلى جانب حزب اتحاد الشعب الألمانى، الذى يجمع ما بين النزعتين الانتقامية والانضمامية مع بعض الميل إلى إعادة الاعتبار إلى المرحلة النازية، ويستقطب فى المناطق الشرقية من ألمانيا، قسما من الشباب المهمشين، ومن الطبقة العاملة الذين غالبا ما يحنون إلى عملية الدمج الاجتماعية والاقتصادية فى جمهورية ألمانيا الديموقراطية.

وعموما، تنقسم كل هذه الحركات المتطرفة بدورها إلى نوعين أساسيين: اليمين المتطرف المستعد أو الذى يمارس العنف المادى. والحركات المتطرفة السلمية، وبناء على احصائيات المكتب الفيدرالى لحماية الدستور الألمانى العام الماضى - وهو عبارة عن مصلحة حكومية تراقبها كل من وزارة الداخلية، البرلمان الفيدرالى، البوندستاغ،

والبرلمانات بالولايات وكذلك الصحافة باعتبارها السلطة الرابعة- يوجد بألمانيا ١٦٨ منظمة يمينية متطرفة تضم قرابة ٣٩ الف شخص، من بينها ٢١٥٠٠ شخص يمارسون نشاطاتهم داخل احزاب وتيارات معروفة، وعلى رأسها كل من الجمهوريين، الحزب الديمقراطى القومى واتحاد الشعب الألمانى. وقد سجلت السنة المنصرمة انضمام ٤٥٠٠ عنصرا جديدا إلى اليمين المتطرف بزيادة تقدر بـ ٣٠٠ شخص مقارنة مع عام ٢٠٠٤. وتقول معطيات المكتب الفيدرالى لحماية الدستور الألمانى أن حوالى ٤٠٠١٠ متطرف مستعد لممارسة العنف. وفى نفس السياق، عرفت مدينة دوسلدورف فى السابع والعشرين من يوليو عام ٢٠٠٠ اعتداءات ارهابية ضد مجموعة من الروسيين المقيمين بألمانيا، مما اثار موجة من الذعر دفعت الكثير من السياسيين والمتتبعين إلى دق ناقوس خطر التطرف الألمانى الذى ينتشر كالنار فى الهشيم داخل المجتمع.

ولم يقتصر التطرف اليمينى الألمانى على الفضاءات العمومية من خلال التظاهر والاحتجاج مرددين شعرات يحملون فيها الأحزاب الكبيرة مسؤولية تدهور حال البلاد، بل يوظفون تكنولوجيا الإعلام الحديثة وخاصة المواقع الالكترونية والملتقيات والدردشات الفورية والتى يصل عددها إلى قرابة الف موقع على الانترنت. وتشير المعطيات إلى أن النازيين الجدد يعقدون تجمعاتهم ويقيمون مهرجاناتهم فى القرى والمدن الصغيرة الواقعة فى الجزء الشرقى من البلاد والتى تتجاهلها الأحزاب الاخرى.

ولمحاربة الحركات المتطرفة التى تتحول انشطتها إلى ممارسات تمس بالدستور، قامت وزارة الداخلية فى الحكومة الاتحادية ومثيلاتها بالولايات المختلفة بمنع العديد من المنظمات المتطرفة، إذ سجلت سنوات

التسعينات منع العشرات من المنظمات المنتمية إلى اليمين المتطرف، وهذا يدفع الكثير من المحللين إلى التساؤل حول دواعى الانتشار الواسع للتطرف اليمينى وخاصة بعد سقوط جدار برلين؟

انتشار التطرف اليمينى يهدد الأجانب

يعتبر العديد أن توحيد ألمانيا شكل عبئا ثقيلا على الاقتصاد الوطنى وأبطأت من نمو البلاد الاقتصادى فى السنوات التالية، مما اعطى الفرصة للاحزاب اليمينية التى استغلت الوضع الاجتماعى والاقتصادى المتردى فى شرق البلاد، كى توسع من نشاطاتها وتكسب اعضاء جدد فى صفوفها عن طريق تحميل اللاجئين والاجانب مسؤولية المشاكل الامنية. وفى هذا الصدد، سجلت موجة من الاعتداءات العنصرية على الاجانب وعلى ممتلكاتهم الشخصية خاصة خلال نهاية التسعينيات على يد النازيين والمتعاطفين معهم سقط ضحيتها الكثير من المهاجرين. وعلى إثر ذلك، قامت الحكومة الألمانية بمحاولة لحظر الأحزاب النازية. واتخذت المحاولة منحى أكثر جدية بعد تأثر سمعة ألمانيا كبلد آمن وديمقراطى بسبب هذا المد اليمينى المتطرف.

ويرجع العديد من المراقبين للشأن الألمانى نجاح الأحزاب المتطرفة النازية إلى استغلال تذمر المواطنين من سياسة الاصلاح والتقشف التى تتبعها الحكومة الألمانية خلال السنوات الاخيرة وخاصة فى الجزء الشرقى من البلاد، لذلك تجد المقولات العنصرية المتعلقة بقلة فرص العمل بسبب وجود الاجانب صدى فى هذه المناطق. اما البعض الاخر، فيرى أن الجذور الهتلرية مازالت مرسخة فى بنية المجتمع الألمانى وحاضرة بثقلها داخل فئات كثيرة من المجتمع.

وتستمر عقدة الماضى فى الحاضر الألمانى... !

وبعد مرور أكثر من ستين سنة على الحرب، مازالت ألمانيا تحاول المصالحة مع التاريخ وتنظر إلى نفسها على أنها عاجزة عن محو أيديولوجية أدولف هتلر والتى أعلن عنها فى اطروحته المعروفة يوم الرابع والعشرين من عام ١٩٢٠ بمدينة ميونخ. هذا الوضع المتوتر دفع بحكومة برلين إلى المزيد من المراقبة والضغط على المنظمات المتطرفة حتى اصبح التلفظ بكلمات مثل امة أو اظهار الشعور بالانتماء إلى الوطن عيبا اجتماعيا بعد أن كان فى خانة المحرمات السياسية سابقا لأن ذلك يتم ربطه دائماً بالتراث النازى. وتعبر عن هذا الغبن الألمانى كلمات احد مغنيى الروك الألمان، ويدعى أولمان الذى قال مرة أن الانتماء إلى ألمانيا لا يمثل افتخارا. ولعل الضجة التى أثارتها اعترافات الكاتب الألمانى الشهير غونتر غراس بعضويته السابقة فى فرق الوحدات النازية الخاصة، لدليل على عودة شبح النازية الذى يقض مضاجع الألمان ويجعلهم يعيشون ماضيهم باستمرار فى حاضرهم!

كما تسبب نواب الحزب القومى الديمقراطى الألمانى (الحزب النازى الجديد/ NPD) فى اثارة ضجة كبيرة ببرلمان مقاطعة سكسونيا الواقعة شرق ألمانيا، فقد انسحب نواب الحزب معلنين رفضهم المشاركة فى الوقوف دقيقة حدادا على ارواح ضحايا الحكم النازى، الأمر الذى شكل صدمة للشارع السياسى الألمانى. وفى ضوء ذلك تجددت الدعوات المطالبة بحظر نشاط الحزب من قبل مختلف الأحزاب السياسية الأخرى. ومن المعروف أن الحكومة الألمانية بدأت محاولة لتمرير قرار بحظر هذا النشاط عام ٢٠٠١، لكنها فشلت بسبب قرار من المحكمة الدستورية.

وصول النازيين المفاجئ إلى برلمانات محلية

وصل النازيون إلى مقاعد البرلمان بعد انتخابات محلية خلال العام الماضى. وشهدت ولاية سكسونيا الشرقية مفاجأة كبيرة بنجاح الحزب القومى الديمقراطى الألمانى فى الحصول على نسبة تقترب من ١٠ بالمائة من الاصوات، أى ١٢ مقعدا فى برلمان الولاية. واثارت نتيجة الانتخابات سجالا واسعا فى الحياة السياسية الألمانية كونها المرة الأولى التى يجلس فيها نواب نازيون فى برلمان ألمانى منذ عام ١٩٦٨، كما جددت المخاوف من الاخطار التى قد تتهدد العملية الديمقراطية.

هولجر ابفل زعيم الكتلة البرلمانية للحزب النازى فى سكسونيا

ارجع المراقبون نجاح الحزب النازى فى انتخابات ولاية سكسونيا آنذاك إلى الافادة من تذمر المواطنين من سياسة الاصلاح والتقشف التى تتبعها الحكومة. فالولاية كانت جزءا من ألمانيا الشرقية سابقا، وهى كغيرها من الولايات الشرقية الأخرى لا تزال تعانى من ضعف البنية التحتية وقلة الموارد والدخول رغم الجهود الحكومية المبذولة فى هذا المجال. لذلك تجد المقولات العنصرية المتعلقة بقلة فرص العمل بسبب وجود الاجانب صدى فى هذه المناطق.

وسبق لموجة الاعتداءات العنصرية على الاجانب وعلى ممتلكاتهم الشخصية أن تصاعدت نهاية التسعينيات، وقد قام بها النازيون والمتعاطفون معهم وسقط اثناءها الكثير من الضحايا. وعلى إثر ذلك قامت الحكومة الألمانية بمحاولة لحظر الأحزاب النازية. واتخذت المحاولة منحى أكثر جدية بعد أن تأكد أن تبعات تلك الاعتداءات ليست داخلية فحسب ولكنها خارجية أيضًا. فقد تأثرت سمعة ألمانيا كبلد آمن

ديمقراطى ونصحت وكالات السياحة والسفر بعدم زيارة بعض المدن الألمانية لخطورتها. وقد استمرت الاجراءات القانونية نحو عامين إلى أن تعثرت بشكل نهائى عام ٢٠٠٣ بسبب الفشل فى تقديم شهود يعتد بهم فى طلب الحظر، فقد كان معظم الشهود الذين قدمتهم إلى المحكمة الدستورية عملاء لجهاز الشرطة، وبالتالى لا يمكن قانونيا الاعتماد على شهادتهم.

ردود أفعال غاضبة

يتبنى الحزب النازى افكارا صريحة فى عنصريتها كالايمان بتفوق الجنس الابيض وكراهية الاجانب عامة واليهود خاصة اضافة لتبرير جرائم الحكم النازى. وهى افكار وشت بها كلمة هولجر أبفل زعيم الكتلة البرلمانية للحزب النازى والتى اعقبت عودته إلى قاعة البرلمان بعد مقاطعته دقيقة الحداد. فقد اعتبر فى كلمته القصف المدمر لمدينة دريسدن (عاصمة الولاية) من قبل قوات الحلفاء خلال الحرب العالمية نوعا من القتل المنظم والمتعمد. كما وصفه بأنه محرقة قنابل على غرار محرقة اليهود، منتقدا اهمال ذكرى الضحايا الألمان. يذكر أن مدينة دريسدن من أكثر المدن التى لحقها الدمار أثناء الحرب العالمية الثانية إذ يقدر عدد ضحاياها بنحو ٤٠٠ الف شخص.

اوتو شيلى وزير الداخلية الألمانى

ويدل مضمون كلمة أبفل على أن محرقة اليهود ليست فريدة فى بشاعتها، فهناك محرقة شبيهة أوقدها الحلفاء ضد المواطنين الألمان، وقد قام بذلك على طريقة دس السم فى العسل وهى الطريقة التى انتهجها الحزب النازى. فما يرمى اليه ليس احياء ذكرى الضحايا الألمان

الابرياء وانما التقليل من بشاعة الجرائم النازية. وقد تبع تصريحات أبفل ردود افعال غاضبة من مختلف الاتجاهات، فقد قدم نواب كافة الأحزاب الأخرى الجالسين فى برلمان المقاطعة طلبا إلى النائب العام لفتح تحقيق فورى فيما قاله نائب الحزب النازى باعتباره يثير مشاعر العداء والكراهية. وصرح وزير الداخلية الألمانى اوتو شيلى أن ما حدث يسىء إلى سمعة ألمانيا فى العالم، واضاف لن نقف مكتوفى الايدى ونحن نرى شبابنا يتعرضون إلى دعايات عنصرية وفاشية صريحة. اما السياسى المختص بالشؤون الداخلية ديتر فيفيلسبوتز من الحزب الاشتراكى الديمقراطى الحاكم فدعا مواطنى المقاطعة إلى القيام بانتفاضة سلمية للإعراب بوضوح عن رفضهم لما يقوم به الحزب النازى على اساس أن ولاية سكسونيا لا تمت بصلة إلى ممارسات الحزب النازى. وقالت رئيسة حزب الخضر "كلاوديا روت" أن اركان جريمة إثارة مشاعر العداء قائمة ومتحققة فيما قاله أبفل، فهى تقليل مقزز من حجم جريمة محرقة اليهود، ودعوة صريحة لعداء السامية، اما باول شبيغل رئيس المركز المركزى للطائفة اليهودية فى ألمانيا فصرح بأن مقارنة دمار دريسدن بمحرقة اليهود هو تقليل خبيث من حجم الجريمة على حساب آلاف الضحايا. واعرب عن خيبة امله فى نجاح جهود السياسيين لمحاربة المد اليمينى المتطرف، وحذر من النمو المتزايد لعداء السامية.

محاولات جديدة لحظر نشاط الحزب النازى

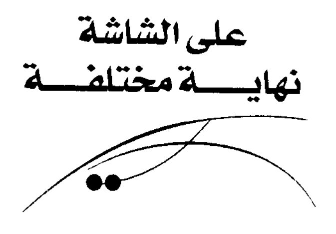
كرستيان شتروبله نائب حزب الخضر ادت الضجة التى اثارها الحزب النازى إلى تجديد النقاش والعمل حول حظره، فقد تقدم الحزب المسمى الديمقراطى وحزب الديمقراطية الاشتراكية (الحزب الشيوعى سابقا) بطلب لاعادة محاولة حظره. اما الهدف من ذلك فهو وقف الدعاية

العنصرية التى ينشرها وقطع الطريق على أى مكاسب سياسية يسعى إلى تحقيقها. فى هذه الاثناء عأرض النائب كرستيان شتروبله من حزب الخضر هذا التوجه، فهو يجادل أن الحل ليس الحظر والمنع ولكن المواجهة السياسية مع النازيين. فالحظر لن ينهى الخطر اليمينى المتطرف بل قد يزيد منه حسب قوله. كما أن محاولة اخرى فاشلة للحظر كالتى حدثت عام ٢٠٠١ لن تتمخض سوى عن زيادة اكيدة فى شعبية الحزب. ويرى وزير الداخلية الألمانى شيلى كذلك أن فرص نجاح محاولة جديدة لحظر الحزب النازى قليلة. لذلك ينصح باللجوء إلى المواجهة السياسية المفتوحة مع اكاذيبه.

عودة النازيين إلى الحياة السياسية الألمانية يطرح تحديا هائلا على العملية الديمقراطية الألمانية، فالدستور الألمانى يكفل حرية الرأى للجميع طالما لم يساء استخدامها فى التحريض على الكراهية والعداء. اما الرهان الاكبر فهو أن تنجح الديمقراطية فى تصفية خطورة اليمين المتطرف دون اللجوء إلى إجراءات غير قانونية.

■ ■ ■

على الشاشة
نهايـــة مختلفـــة



قصة نهاية هتلر الحقيقية

فيلم "السقوط" يفرض المقارنة المتناقضة بين برلين وبغداد أول فيلم ألمانى ينقل بتجرد الساعات الاخيرة لهزيمة أدولف هتلر وترى مجلة "درشبيجل" أن فيلم "السقوط" يتحدى عالم "البروباغندا" والدعاية الكاذبة التى حبكت تفاصيل الساعات الاخيرة للسقوط النازى ولشخصية الزعيم، فشوهت الحقائق وطمستها، خدمة لأهداف المنتصر، وتنظر صحيفة "دى فيلت" من ناحيتها إلى فيلم "السقوط" بأنه أول دليل واقعى غير مشوه وغير كاذب حول نهاية الحكم والزعيم النازى. اذا، التاريخ هنا "لا يكتبه الاقوياء" بل تكتبه الوقائع والادلة والمذكرات التى كانت مخفية فى ادراج الاجهزة الاستخباراتية. كما تكتبه الذكريات الحية التى نطق بها بعض مرافقى هتلر، من القيادات العسكرية والسياسية، والذين عاشوا معه فى "البونكر" (الملجأ) منذ اطلالة الجيش السوفيتى الاحمر، منتصف شهر نيسان عام ١٩٤٥ على ضواحى برلين، حتى لحظة انتحاره فى نهاية الشهر. سكرتيرة هتلر تراودل يونغى.. اصدق مذكرات حول السقوط والجديد فى عملية التأريخ للساعات الاخيرة من سقوط برلين ونهاية الزعيم وحكمه النازى، أن هذا التأريخ لا يأتى من ادراج

استخبارات الحلفاء أو مكاتب الدراسات اليهودية، بل هو خط بقلم سكرتيرة هتلر تراودل يونغى التى عاشت مع هتلر وفريق عمله القيادى داخل "البونكر" هذه المرأة الشابة الموثوقة والمخلصة جدا للزعيم، رافقته فى ساعاته الاخيرة كما رافقت وزير الدعاية النازية جوزيف غوبلز وعائلته. فسجلت بصدق واخلاص للتاريخ، كامل التفاصيل فى لحظات الضعف والقوة قبل السقوط والانهيار. وبالاضافة إلى ذلك يشكل فيلم "السقوط" فاتحة الافلام والوثائق الحقيقية للتاريخ النازى، والتى بدأ الألمان بالكشف عنها منذ الاحتفال بالذكرى السنوية الستين لنزول قوات الحلفاء على شواطئ النورماندى. ومن المقرر أن تكون سلسلة افلام فى العام المقبل (مستقاة من مذكرات جوزيف غوبلز الشخصية) كما سلسلة معأرض، لتكشف الوجه الآخر غير المشوه والمكتوب باقلام مشاهدين للحدث، لا زال بعضهم حيا يرزق، وعمد المخرج الألمانى برند آيشنغر إلى رسم الشخصيات التاريخية بدقة واختار اهم الممثلين الألمان للقيام بادوار تتطلب الموضوعية وعزل مشاعر الممثل الشخصية عن الدور، فنجح بذلك إلى اقصى الحدود. والجديد فى فيلم "السقوط" أن المخرج الألمانى لم يهتم هذه المرة لردود الفعل خاصة اليهودية على فيلمه، فلم يبادر كما جرت العادة إلى تشويه هتلر أو اظهاره بشكل كاريكاتورى هزلى، كنا فعلت هوليوود الأمريكية، بل هو نقل الوقائع، التى كشفت بان هتلر انسان كسواه من البشر. فى داخله مكامن للقوة والضعف كما للحب وللكراهية. وفى أول تعليق صحفى ألمانى على مضمون الفيلم جاء أن "هتلر دخل مجددا إلى حياة الشعب الألمانى ولم يعد الحديث عنه وعن خصائله معصية أو جرم يخضع صاحبه للمعاقبة". ويلاحظ فى هذا السياق أنه على الرغم من الدور التاريخى الذى لعبه أدولف هتلر فإن صوره

الشخصية على شبكة الانترنت تكاد تكون معدومة، حيث لا يسمح بإطلالته إلا عبر صور هزلية دعائية سخيفة.

"بونكر" غرفة العمليات قضى الزعيم النازى أدولف هتلر الشهر الاخير من حياته داخل "بونكر" أى ملجأ تحت مبنى المستشارية هو عبارة عن نفق كبير تبلغ سماكة جدرانه اربعة امتار من الاسمنت المسلح. وهو يقع على مسافة ٥٠ مترا من مبنى البرلمان الألمانى (البوندستاغ) الحالى فى وسط برلين بالقرب من بوابة براندنبورغ. ابرز نزلاء البونكر بالإضافة إلى هتلر كانت عشيقته (لاحقا زوجته) إيفا براون ووزير الدعاية النازية جوزيف غوبلز وعائلته (زوجة وستة اطفال) والسكرتيرة الوحيدة تراودل يونغى (توفيت قبل عامين بعد نشر مذكراتها) ومجموعة من ضباط الاستخبارات والشعب العسكرية والحرس الشخصى لهتلر. هؤلاء عاشوا معا أجواء الساعات الاخيرة فى "بونكر" مجهز بمختلف انواع المأكولات والتبريد والتدفئة والتهوية ووسط حراسة مشددة وتفتيش دقيق لا يسمح بمرور أو خروج أى شىء من دون تصريح.

وزير الدعاية جوزف غوبلز وعائلته.. اختار الموت على الاستسلام وجرى تجهيز البونكر بكافة وسائل الراحة. وخاصة باللوحات الفنية الثمينة التى يحبها هتلر. كما كان مكتبه الشخصى ضيقا (ثلاثة مقاعد) ومتواضعا بمساحة ثلاثة امتار مربعة لكنه مجهز بما يلزم من وسائل الاتصال. هذا "البونكر" اضطرت القوات السوفيتية إلى نسفه وتدميره فى العام ١٩٤٧ بعد أن تحول إلى محجة سياحية واحتفظت ألمانيا الشرقية بجميع موجوداته، وباستطاعة الزائر اليوم مشاهدة بعض اثار هذا البونكر الذى لم يدمر بكامله. وتكشف مذكرات سكرتيرة هتلر أن الزعيم لم يفكر لحظة بالاستسلام بل كان مستعدا للقتال حتى آخر

مواطن وكان يكرر امامها وامام ضباطه: "اذا كان شعبنا الألمانى غير جدير بالدفاع عن أرضه فيجب أن يزول هذا الشعب"!. وكان هتلر يعنى ما يقول فهو اعطى الاوامر بنسف الجسور وتدمير البنى التحتية وقطع مياه الشرب وقطع الاتصالات الهاتفية وطالب بتجنيد الاطفال بعمر ١٦ عاما وإرسالهم على الجبهات والدفاع عن عاصمتهم وهم من دون ادنى تدريب عسكرى.. "كان يريد التضحية بكل شىء" تكتب السكرتيرة يونغى فى مذكراتها. وينقل الفيلم دمعة هتلر وهو يسمع عن بعض الخيانات، وخاصة عند سماعه بان رئيس جهاز الاستخبارات (إس. إس) هملر حاول توقيع الصلح مع السوفيت من دون علمه. كما ينقل الفيلم مشاهد عن حفلات السكر والرقص داخل البونكر فى اليوم قبل الاخير للهزيمة، لا حبا بالفرح بل يأسا من الحياة واستعدادا للموت. هنا لاول مرة، يظهر هتلر إنسانا متألما حزينا مغايرا للصورة التى نقلها الحلفاء عنه بأنه سعيد لاحتراق شعبه وبلاده.

الدفاع عن برلين حتى آخر ألمانى. فى التاسع من شهر اذار ١٩٤٥ وصل الجيش الاحمر الروسى إلى مسافة ٧٠ كيلو متر من العاصمة برلين ووصل الحلفاء إلى نهر الالب. يومها وجه هتلر امرا بالدفاع عن برلين حتى آخر رصاصة. فى الساعة الثالثة من فجر ١٦ نيسان ١٩٤٥. يتلقى الجيش الأحمر أوامره باحتلال برلين، وبعد اربعة أيام تبدأ الاستعدادات للاحتفال بعيد ميلاد هتلر الـ٥٦ داخل البونكر بالترافق مع اصوات المدفعية الروسية التى تدك العاصمة. ترتدى عشيقة هتلر إيفا براون اجمل فساتينها. وتتقبل إلى جانب هتلر التهانى بعيد ميلاده. وعلى الرغم من تزايد الضغط الروسى على العاصمة الألمانية وحدة القصف والقتال العنيف، معتبرا أن العاصمة هى رمز البلاد الأول والقيادة تكون

منها وليس من الجبال البعيدة. ادركت القيادة العسكرية الألمانية أن سقوط العاصمة برلين بات حتميا على الرغم من ضراوة المقاومة الألمانية من منزل إلى منزل. لم يكن هناك معادلة حسابية تفتح الامل على الانتصار: ٤٦٥ الف جندى روسى و١٥٠٠ دبابة روسية مقابل ٩٠ الف جندى ألمانى و١٠٠ دبابة ألمانية. المعركة غير متكافئة، لكن احصاء ٨٠ الف جندى روسى قتيل فى برلين يثبت حجم المقاومة الألمانية دفاعا عن عاصمتهم.

ثلاث محطات قبل الموت

فى ٢٢ نيسان ١٩٤٥ اعترف هتلر بالهزيمة وبدأ التفكير بالاخراج النهائى للفصل الأخير من حياته. طلب إلى عشيقته إيفا براون وسكرتيرته مغادرة البونكر والفرار: "بعد ساعة تسافران على متن طائرة إلى جنوب ألمانيا" . هنا ترفض براون المغادرة وترجوه أن يسمح لها بالبقاء إلى جانبه.. ولاول مرة يقبلها على فمها علانية بحضور السكرتيرة. وينقل احد ضباط البونكر فى مذكراته (برند فرايتاغ): "لم يعد لدينا ما نقوم به. لقد انصب تفكيرنا على افضل طريقة للانتحار، هل نتجرع كبسولة سم زيانكالى، أم نطلق النار داخل الفم أم على الصدغ؟" . وتجدر الإشارة هنا إلى أن المؤرخ ريتشارد لاكوفسكى يشير إلى أن أكثر من ١٠٠ الف مواطن ألمانى وضعوا فى الساعات الاخيرة من حياة العاصمة الألمانية حدا لحياتهم بواسطة الانتحار. كان الموت اهون من الاستسلام للعدو.. وينقل الضابط فرايتاغ لا مبالاة هتلر بالموت ورفضه اقتراحا بالهرب بواسطة مركب سريع وإصراره على أن يكون الجندى الاخير المقاتل فى ألمانيا.

يبدأ المشهد الأول فى كوارث النهاية. فى ١٩٤٥/٤/٢٨ حيث يعقد هتلر قرانه على إيفا براون فى حفل هو مزيج من الفرح والحزن. هنا يشرب العريسان الشامبانيا على وقع الموسيقى ويتقبلان معا التهانى. اما المشهد الثانى، فيبدأ قبل تناول هتلر لطعام الغداء (سباغتى - هتلر نباتى لا يأكل لحم) حيث يطلب حارسه الشخصى أوتو غوتشى وخادمه لينغى وينقل اليهما الأمر التالى: سوف اطلق النار على نفسى كما تنتحر زوجتى إيفا وانا آمركما بحرق جثتى بعد موتى تماما.. وقال هتلر لخادمه بعد سماع صوت الرصاص بعشر دقائق تدخل غرفتى وتطلق النار مجددا على ثم تحرق جثتى".. وللتأكد من فعالية السم الذى سلمه اليه طبيبه الخاص، احضر هتلر كلبه "بلوندى" وحقنه بالسم فمات. عندهما اطمأن هتلر إلى الفعالية. ودخل هتلر وزوجته إيفا إلى الغرفة حيث تناولت هى السم وبعد أن تأكد من وفاتها اطلق النار على نفسه ليدخل حارسه الشخصى بعد عشر دقائق ويجهز عليهما برصاص الرحمة كما امره.. بعد ذلك قام الحارس بنقل الجثتين إلى احد مخارج البونكر واحرقهما.. هذه الوقائع حول الوفاة، نقلها لاحقا كل من الخادم والحارس فى المعتقل الروسى. وفى المشهد الكارثى الثالث داخل البونكر، تنقل السكرتيرة مشهدا لواقعة رهيبة: انتحار الوزير جوزف غوبلز وزوجته ماجدة واطفالهما الستة، وتفضيلهم جميعا الموت على الاستسلام!. هذا الحدث التاريخى ينقله فيلم "السقوط" بتجرد توثيقى لاول مرة بعد مرور ستين عاما على الهزيمة الألمانية فى الحرب العالمية الثانية. وبعيدا عن الاسباب والنتائج، فإن سير المعارك وطبيعة المواجهة وادارة المعركة فى برلين تفتح الذاكرة الطرية العود على بغداد وسقوطها. هتلر فى بونكر تحت الأرض يدير المعركة العسكرية ويفضل الانتحار على الاستسلام

للعدو ووزيره غوبلز ينتحر وتنتحر عائلته، كذلك يدافع سكان العاصمة الألمانية عن مدينتهم ولا يرفعون الرايات البيضاء. حتما سيكون باستطاعة المشاهد العربى لفيلم "السقوط" رسم المقارنة بين سقوط العاصمتين الألمانية والعراقية، وسوف تحضر الملابسات والوقائع إلى ذهن المشاهدين، ولكل منهم حرية التفكير واستخلاص العبر.

■ ■ ■





■ مقدمة 5

■ تمهيد 7

■ طفولتى 9

■ أعوام الدراسة والمعانـــــاة فى فيينا 21

■ كتاب غير معروف.. الولايات المتحدة هى العدو 47

■ صورة عامة 61

■ مشوار الفوهرر من الألف إلى الياء 87

■ الحرب العالمية الثانية 153

■ ميراث هتلر 193

■ من المسئول عن الحرب العالمية الثانية؟.. 217

■ الملف الساخن.. اليهود وأشياء أخرى 235

■ أصدقاء هتلر.. ومعاونوه 255

■ من هم الكوكلوكس كلان؟.. 303

■ العرب فى المحرقة النازية 355

■ الخاتمة 363

■ على الشاشة نهاية مختلفة 375

